

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
كلية الآداب واللغات والفنون
قسم اللغة العربية وآدابها

الصورة البلاغية
بناؤها وأبعادها التواصلية في ضوء
المنهج التوليدي التحويلي
" دراسة تطبيقية "

رسالة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علوم اللغة والاتصال

إعداد الباحث : عبد القادر بن عسلة

تحت إشراف الأستاذ الدكتور : أحمد عزوز

أعضاء لجنة المناقشة

جامعة مستغانم	أستاذ التعليم العالي	. الرئيس : السيد مختار لزعر
جامعة وهران	أستاذ التعليم العالي	. المشرف : السيد أحمد عزوز
جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	الأعضاء : . السيد عباس محمد
جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	. السيد عبد الجليل مرتاض
جامعة مستغانم	أستاذ محاضر " أ "	. السيد أحمد شعلال
جامعة مستغانم	أستاذ محاضر " أ "	. السيد حنيفي بن ناصر

السنة الجامعية : 2013 / 2014

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيَّ مِنْ بَعَثْتَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ

لقد أحدثت الدراسات اللغوية واللسانية في الآونة الأخيرة ثورة شاملة ساهمت في بلورة بعض المفاهيم، وظهور العديد من المناهج التي ذاع صيتها وكان لها أثرها الجلي في التطور الذي عرفته هذه الدراسات لدرجة أنه أصبح من العسر بمكان على الدارس والباحث الإلمام والإحاطة بها .

ولعل من أبرز هذه المناهج التي أصبحت أكثر تداولاً بين الباحثين في منتصف القرن الماضي ، المنهج التوليدي التحويلي الذي يعود الفضل في وضع أسسه وبلورته العالم الألسني نعوم تشومسكي الذي عرف كيف يستثمر التراث الإنساني من خلال ما جادت به قريحة سابقه في اللغة والبلاغة ، إذ تبدو آثار وبصمات العلماء العرب والغرب جلية وواضحة في منهجه ، وإن لم يشأ أن يذكر شيئاً عن ذلك .

وهذا ما استنهض همم الباحثين العرب الذين أنجزوا العديد من الدراسات والبحوث محاولة منهم لإبراز الخطوط الرفيعة والرئيسة التي تدل على تأثر تشومسكي بالنحو والبلاغة العربيين ، كما يرى كل من جاسم على جاسم في بحث له تحت عنوان " تأثير النحو العربي في نظرية تشومسكي " وأحمد جرموش العبد الله في رسالته الموسومة بـ " عبد القاهر الجرجاني في ضوء الألسنية الحديثة " وغيرهما من الدراسات التي يؤكد أصحابها على أن تشومسكي استلهم نظريته من التراث العربي . وهذا من خلال اللغة العبرية التي بنى علماءها نحوها وصرفها على شاکلة النحو العربي الذي كان سائداً في الأندلس والتي ترجمت فيما بعد إلى اللغات الأوروبية التي استفاد منها تشومسكي .

ففي ظل هذه المناهج المتعددة المتشابهة أحيانا والمتباينة تارة أخرى تطورت

الدراسات اللغوية واللسانية، وأصبحت أداة طيعة في أيدي الباحثين والدارسين فأفادوا منها ، واعتمدوا عليها في استنتاج التراث لغويا ونحويا وبلاغيا قصد الإفادة منها في مختلف اللغات على تباينها واختلافها ، ومنها اللغة العربية التي يسعى علماءها في شتى أنحاء الوطن العربي إلى استثمار هذه المناهج، وفي مقدمتها المنهج التوليدي التحويلي الذي تم إسقاطه على النحو العربي في العديد من الدراسات التي خلصت إلى إمكانية الإفادة منه في هذا المجال ، وعلى الخصوص في ما يتعلق بطرق تحويل الجملة النحوية والوقوف على بنيتها السطحية والعميقة ، وهوما تبين لي من خلال الدراسة التي أنجزتها في رسالة الماجستير الموسومة بـ " تعليمية القواعد في ضوء المنهج التوليدي التحويلي " التعليم الثانوي نموذجاً " تحت إشراف الأستاذ أحمد عزوز بجامعة وهران التي توصلت فيها إلى نتائج مفادها إمكانية اعتماد هذا المنهج نحوياً .

ولعل الإشكالية المطروحة في هذا الصدد ، هي أنه وإن كان قد استثمر هذا المنهج في النحو العربي وأعطى ثماره ، فهل يمكن الإفادة منه في تحليل التراكيب بلاغياً وفق النظرية التشومسكية ؟ وهل يمكن تفكيك الصور البيانية وبناءها والوقوف على بنيتها السطحية والعميقة وتحديد طرق تحويلها بالكيفية ذاتها التي اعتمدت في التراكيب النحوية ؟

وهوما أسعى للإجابة عنه من خلال هذه الرسالة الموسومة بـ " الصورة

البلاغية : بناؤها وأبعادها التواصلية في ضوء المنهج التوليدي التحويلي :

" دراسة تطبيقية " .

ولعل من أبرز الدوافع التي حفزتني على اختيار هذا الموضوع هو اطلاعي على

هذا المنهج من خلال رسالة الماجستير ورغبتي في التعامل مع المنهج ذاته في حقل

آخر من حقول العلوم اللغوية ، وهو البلاغة .

والجدير بالملاحظة أنه وإن كانت الدراسات التي أفادت من هذا المنهج نحوياً كثيرة

ومتعددة ، فإن الدراسات التي أفادت منه بلاغياً تبقى محدودة جداً ، إذ تكاد

تتخصر في المحاولة التي أجزها الباحث أحمد جرموش العبد الله كما سبقت الإشارة وعمد فيها إلى إدخال القواعد التحويلية التي يقوم عليها المنهج التوليدي التحويلي إلى بعض مباحث البلاغة العربية ، بالإضافة إلى ما يتصل بالبنية السطحية والبنية العميقة لمعرفة أغوار التركيب والوجه المختلفة لمعانية الفنية ، وخلصت هذه الدراسة إلى إمكانية اتخاذ هذا المنهج أداة لتحليل التركيب بلاغيا ، ففي هذا الاتجاه تصب هذه الرسالة التي تعاملت فيها مع المنهج الوصفي لتحليل الصورة البلاغية إلى عناصرها البيانية والدلالة والمنهج المقارن بحسب ما أمثته طبيعة الفصول .

تتشم هذه الدراسة على مدخل وبابين ، ويندرج تحت كل باب فصلان

. المدخل : اللغة خصائصها ووظائفها

ترتبط الصورة بالعملية التواصلية ، وعليها تتوقف أبعادها ، فالصورة شكل من أشكال التواصل لها خصائصها ومقوماتها وشروطها يتعين على المرسل والمستقبل الإلمام والإحاطة بها حتى تؤدي الرسالة وظيفتها التي تكمن في الإفهام .

لقد تعرضت في هذا المدخل إلى على مفهوم اللغة ووظائفها وميزت بين مفهومي الاتصال والتواصل لما بينهما من تداخل فعناصر العملية التواصلية : الملقى ، المتلقي ' الرسالة القناة وترميز الرسالة وفكها ، ومنها انتقلت إلى خصائص العملية التواصلية وأركان الاتصال .

. الباب الأول : اللغة والتواصل

- الفصل الأول : اللغة مفهومها وخصائصها في ضوء المنهج التوليدي التحويلي

شرعت في هذا الفصل بمفهوم اللغة من وجهة نظر أصحاب هذا المنهج فمبادئه وأسسها ، ثم مفهوم النحو الكلي ، ومنه سلطت الضوء على جذور ومقومات هذا المنهج الذي استثمر فيه زعيمه نعوم تشومسكي جهود سابقه

من علماء العرب والغرب على السواء وأفاد منها كثيرا . ومن جملة القضايا لا مناص من تناولها : الكلمة والفونيم Phoneme والفون Allophone والمورفيم Morpheme بما ينطوي تحته من سوابق ولواحق ومحددات التي لم يغفلها هذا المنهج ثم مفهوم النحو عند تشومسكي فالإسناد وعناصر التحويل من حذف وتقديم وتأخير وإضمار وإحلال وغيرها ، فالبنية السطحية والبنية العميقة فالمركب الاسمي والمركب الفعلي . فقد رأيت أهميته بأئنة وملحة لتهيئة المستقبل للدخول في صلب الموضوع ، ويكون على بينة من مجمل القضايا التي تقوم عليها الصورة من حيث تحليلها وتحديد عناصر التحويل فيها ومن ثمة بنيتها العميقة والسطحية .

- الفصل الثاني : الصور في التراث العربي

تتاولت في هذا الفصل مفهوم الصورة في التراث البلاغي العربي وعلاقتها بالعملية التواصلية فموقع علم البيان من البلاغة ثم مقومات الصورة فالصورة الكلية والجزئية التي تقوم على التشبيه بمختلف أقسامه والاستعارة والكناية وأنواعهما والمجاز المرسل وعلاقاته مع اعتماد نماذج منتقاة عن كل نوع منها .

. الباب الثاني : الصورة البلاغية والعملية التواصلية

- الفصل الأول : الصورة في التراث الغربي

أفردت الصورة في التراث الغربي بفصل مستقل ، وذلك حتى يتسنى الوقوف على نظرة الغربيين إلى الصورة وأهميتها وكيفية التعامل معها من جهة وحتى يتسنى لنا مقارنتها بما هي عليه في التراث العربي ، ومن جملة القضايا التي ركزت عليها في هذا الفصل : مفهوم البلاغة في التراث الغربي ومفهوم الصورة : Figure وأشكالها من تشبيهه : Comparaison استعارة

Métaphore وكناية : Métonymie ومجاز : Synecdoque والصورة والنظرية

التأويلية وأخيرا طرق تحويل الصورة .

- الفصل الثاني : دراسة تطبيقية على نماذج من الصور البلاغية

خصت هذا الفصل للتطبيق على بعض نماذج من الصور البلاغية

المستمدة من القرآن الكريم وكلام فحول الشعر والأدب حيث شرعت فيها

بالتشبيه بما فيه من تشبيه مرسل ، مؤكد، مجمل بليغ ، تمثيلي وغير تمثيلي

ومنه إلى الاستعارة : التصريحية والمكنية، فالكناية عن صفة وعن موصوف

وكناية عن نسبة، فالمجاز المرسل الذي اقتضت فيه على بعض من علاقاته

متوقفا في كل ذلك عند البنية السطحية والبنية العميقة النحوية وكذا البنية

العميقة البلاغية للصورة وما طرأ عليها من عناصر التحويل .

والجدير بالإشارة أني جمعت في هذه الدراسة بين النحو والبلاغة ، إذ لا

يمكن دراسة أحدهما بمعزل عن الآخر ، فكلاهما مكمل للآخر لأن المعنى

يتوقف على كليهما ، فمن الخطأ تربويا الفصل بينهما .

لا يخلو بحث أو دراسة من مشاق وصعوبات ، فالموضوع كما هو جلي

متشعب لا يمكن الإلمام والإحاطة به أمام تعذر وصول الباحث إلى المصادر

التي تعينه في عمله ، ومن هنا فلا مفر من الرجوع إلى بعض المواقع الألكترونية

التي يجد فيها ضالته .

وفي الأخير أتقدم . للأستاذ الدكتور المشرف الذي تحمل عبئا كبيرا من

متاعبي . بأسمى عبارات الشكر والتقدير والامتنان . وشكري موصول لأعضاء

اللجنة الموقرة التي تحملت هي الأخرى عبء الاطلاع فالمناقشة .

المدخل : اللغة خصائصها ووظائفها

- مفهوم اللغة ووظائفها
- بين الاتصال والتواصل
- العملية التواصلية
- عناصر العملية التواصلية
- خصائص العملية التواصلية
- أركان الاتصال وأنواعه

مفهوم اللغة ووظائفها :

للغة علاقة وطيدة بالكلام واللسان ، فإذا كان الأول ((نوع من السلوك الفردي الذي يتجلى عن طريق كل ما يصدر عن الفرد من أقوال ملفوظة أو مكتوبة)) (1) ، فإن الثاني يدل على ((النظام العام للغة ، ويضم كل ما يتعلق بكلام البشر ، وهو بكل بساطة لسان أي قوم من الأقوام ، ويتكون من ظاهرتين مختلفتين " اللغة " و" الكلام ")) (2) أما الثالث وهو اللغة ، فهي تتشكل في الأساس من السمات المشتركة في كلام الأفراد ، وما استقر عليه منها في أذهانهم عبر تعاقب الأجيال ،

(1). محاضرات في علم النفس اللغوي ، د/ حنفي بن عيسى ، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية الجزائر ، ط 1 ، 1993 . ص : 63 .

. ينظر .

Cours de linguistique générale : Saussure 2 edition - 1994 Enag – P 38

. ينظر اللسانيات النشأة والتطور ، أحمد مومن ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ب . ط ، 2002 . ص : 124 .

. في علم اللغة العام ، د/ عبد الصبور شاهين ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط 3 . 1980 . ص : 29 .
فلسفة اللغة واللسانيات ، نور الدين النيفر ، مؤسسة أبو وجدان للطبع والنشر والتوزيع ، ط 1 ، 1993 . ص : 76 ، 167 .

(2) . في علم اللغة العام ، د/ عبد الصبور شاهين . ص : 123

. ينظر اللغة والتواصل : اقترابات لسانية للتواصلين الشفهي والكتابي ، د/ عبد الجليل مرتاض ، دار هومة ، ب . ط ، ب . ت . ص : 49 .

. ينظر .

Cours de linguistique générale : Saussure - p : 23 - 145

. ينظر المرايا المقعرة ، نحو نظرية نقدية عربية ، د/ عبد العزيز حمودة ، عالم المعرفة الكويت ، ط 1 . 2001 . ص : 207

. ينظر دراسات في اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات ، أحمد حساني ، ديوان المطبوعات الجامعية ب . ط ، 2000 . ص : 06 .

- Cours de linguistique générale Saussure - p : 39

ومم هنا فاللغة ((موجودة لدى الجماعة الناطقة على شكل آثار متموضعة في كل دماغ وهي أشبه ما تكون بمعجم ، تكون جميع نسخه المتماثلة موزعة بين الأفراد لكنها خارجة عن إرادتهم)) (1) وعليه فاللغة في نظر دي سوسير ((واقعة اجتماعية وخصوصياتها ليست مجردة بل متواجدة بالفعل في عقول الناس وبعبارة أخرى فهي مجموع كلي متكامل كامن ليس في عقل واحد بل في عقول جميع الأفراد الناطقين بلسان معين ، ونلاحظ أن دي سوسير يشبه اللغة بالقاموس الذي يمثل في الأصل الذاكرة الجماعية لما يحتويه من علامات لا يطبق الفرد الواحد أن يختزنها في دماغه)) (2) ، إلا أنها ((مستقلة في ماهيتها عن الفرد)) (3) ذلك أنه يجب على الفرد الانصياع المطرد إلى لغته ولا يمكن له مخالفة ضوابطها إلا في حالة أشكال الإبداع الخلاق على حد تعبير عبد الجليل مرتاض . (4)

إن اللغة ومن وجهة النظرية الديسوسيرية نظام ، ذلك أنه يعتبرها ((نسقا معيننا مضبوط الحدود وهي الجانب الاجتماعي من الكلام الخارج عن نطاق الفرد لأن الفرد الأحد غير قادر على أن يخلقها أو أن يحورها ، وهي لا توجد إلا بمقتضى نوع من التعاقد بين أعضاء المجموعة البشرية الواحدة)) (5)

(1) – Cours de linguistique générale Saussure – p : 39

(2) . اللسانيات : النشأة والتطور ، أحمد مومن . ص : 123

. ينظر في علم اللغة العام ، د/ عبد الصبور شاهين . ص : 31 .

(3) . اللغة والاتصال ، د/ عبد الجليل مرتاض . ص : 06 .

(4) . ينظر اللغة والاتصال ، د/ عبد الجليل مرتاض . ص : 06 .

(5) . فلسفة اللغة واللسانيات ، نور الدين النيفر . ص : 97 .

وهي عنده ((نتاج اجتماعي لمكلة اللسان ، وهي مجموع التواضعات الضرورية التي يتبناها الجسم الاجتماعي لتمكين الأفراد من ممارسة هذه الملكة)) (1) ، وهذا النتاج ((يكتسبه الفرد عفويا وانفعاليا وهي لا تفرض تفكيرا مسبقا أبدا ، ولا يتدخل التفكير إلا في النشاط التصنيفي)) (2) حيث تمثل اللغة ((ذلك المظهر الرسمي الموروث للتراث اللغوي ، ذو النظام النحوي المتجانس المستعمل بين كل أفراد المجتمع.)) (3) بمعنى أن اللغة كما يرى أصحاب نظرية الاصطلاح والتواطؤ " التواضع " تمت مواضعة أي بصورة اعتباطية ، وأنه لا يمكن للمتكلم إذا ما أراد أن يتواصل مع غيره من أفراد مجتمعه أن يخالف نظام اللغة المتعارف عليه بينهم ، فمن المعلوم ((أن التفاهم بأية لغة من اللغات يتم بتوحد خصائصها وانسجام مسلكها واطراد عناصرها في غالب الأحيان)) (4) ، بل اللغة ((طريقة إنسانية خالصة للاتصال الذي يتم بواسطة نظام من الرموز التي تُنتج طواعية فاللغة نظام ، ولا يستطيع المتكلم أن يغير تتابع الكلمات إذا أراد الإفهام.)) (5) الملاحظ أن هذا النظام يتشكل من مجموعة من الأنظمة الفرعية أو مجموعة من المستويات أو أركان الاتصال المترابطة والمتكاملة فيما بينها، وهي : المستوى الصوتي ، المستوى الصرفي ، المستوى النحوي ، والمستوى الدلالي وهذا ما سأتناوله لاحقا .

(1) – Cours de linguistique générale – p : 23

(2) . فلسفة اللغة واللسانيات ، نور الدين النيفر . ص : 31 .

(3) . أسس علم اللغة ، ماريو باي ، تج د/ أحمد مختار عمر ، عالم الكتب القاهرة ، ط 1

1983 . ص : 115 .

(4) . أصول النحو العربي ، د/ محمد عيد . ص : 08 .

(5) . أساسيات تعليم اللغة العربية ، الدكتوران محمد كامل الناقبة وفتحي يونس ، دار الثقافة للطباعة

والنشر ، ب . ط ، 1977 . ص : 08 .

من أبرز الخصائص العامة التي تشترك فيها جميع اللغات البشرية ما يأتي :

1. اللغة سمة إنسانية :

بمعنى أنها خاصة بالإنسان وحده دون بقية المخلوقات، وبها يتميز عنها، ذلك أنها مرتبطة بالقدرة العقلية التي تفتقر إليها هذه الأخيرة ، حيث في إمكان الإنسان ((أن يتصل بالأشياء مثله في ذلك مثل الحيوانات الأخرى بالتذوق أو اللمس أو الشم أو الرؤية.. إلخ ، لكن الإنسان علاوة على ذلك يمكنه أن يتصل بهذه الأشياء وباللغة، وهو وحده الذي لديه القدرة على تسمية مفاهيمه)) (1) ، ومن هنا فاللغة ((تحقق إنسانية الإنسان، ومعنى هذا أن اكتساب النظام الرمزي خاصة إنسانية ، من هذا يُعرّف الإنسان أحيانا بأنه حيوان رمزي ، كذلك يمكن القول إن اللغة هي الإنتاج الأكثر للغة هي الإنتاج الأكثر غموضا للعقل الإنساني والأعظم خطورة .)) (2)

2. اللغة صوتية :

بمعنى أنها تقوم على النطق ، ذلك أنه وعلى الرغم ((من تعدد اللغات وتنوعها فكلها تحمل خصائص مشتركة أولها وأهمها أن كل اللغات تتكون من أصوات تصدرها أعضاء النطق الإنسانية هذه الأصوات . لتصبح ذات معنى . يجب أن توضع في شكل تتابعي محدد ومعين ، مكونة من كلمات أو مجموعة من الكلمات هذه الكلمات أو مجموعها يجب أن تكون محل اتفاق أعضاء المجموعة اللغوية باعتبارها قيما رمزية تستحضر . ولو على وجه التقريب . في أذهانهم أفكارا معينة .)) (3)

(1) . أساسيات تعليم اللغة العربية ، الدكتوران محمد كامل الناقة وفتحي يونس . ص : 08

(2) . أساسيات تعليم اللغة العربية ، الدكتوران محمد كامل الناقة وفتحي يونس . ص : 08

(3) . أسس علم اللغة ، ماريو باي . ص : 41 .

بمعنى أن إصدار الأصوات لا يكون كيفما اتفق وإلا فهي وفي مثل هذه الحال أشبه ما تكون بتلك الأصوات التي تصدرها الحيوانات ، ومن هنا وجب ((أن تكون الأصوات الصادرة عن الجهاز النطقي ذات معنى ، وتنقل رسالة محددة معينة من عقل إنسان إلى آخر .)) (1)

وإذا كانت الطبيعة الصوتية هي الأساس للغة ، فإن المدارس الحديثة توصي بضرورة اعتماد الشكل الشفوي في تعليمية اللغات لأن الشكل المكتوب ما هو في حقيقة الأمر إلا ترميز للمنطوق وأنه يأتي في مرحلة تالية له من الوجود ، وفي هذا المعنى يقول دي سوسير: ((اللغة مخزن للصور السمعية والكتابة الشكل الملموس لهذه الصور)) (2) ، مع الإشارة إلى ما هنالك من الفروق بين المنطوق والمكتوب الذي وإن كان صورة للأول فهو يفتقد الكثير من خصائص المنطوق في العملية التواصلية كالتنغيم والنبر وغيرهما

3. اللغة نظام :

يتكون من مستويات *Systeme* جميع اللغات البشرية ما هي في الواقع إلا نظام : ويتشكل من وحدات خاصة ورموز لها معان متعارف عليها ، بها يتواصل الناس ويحصل الإفهام والتفاهم بينهم شريطة الالتزام بهذا النظام وما يتميز به من ضوابط وقواعد ، فالمتكلم وإن كان ينتج اللغة فهو ((لا يتصرف بحريته المطلق بل تبعا لنظم اقتضاها العرف الاجتماعي للغة ، فهناك فرق بين مجرد الحديث باللغة والحديث بها موحدة الخصائص حسب نظام معين في توارد الكلمات وشكلها ، الأول مرجعه شخصي ، والثاني طابعه اجتماعي ، الأول هو عمل المتكلم ، والثاني مهمة

(1) . أسس علم اللغة ، ماريو باي . ص : 38

(2) – Cours de linguistique générale : Saussure – p : 32 .

الباحث ((. (1)

4. اللغة سلوك مكتسب :

اللغة ملك من يتعلمها ، ولا أثر فيها للوراثة أو الجنس ، بمعنى أن اللغة سلوك مكتسب من المجتمع ، إذ عن طريق الاحتكاك بالأفراد يتمكن الإنسان من عاداتهم اللغوية الشائعة ، فيحاكيهم في استعمال الأساليب ويجاريهم في كلامهم ، فبمحاكاة وتقليد الناطقين من حوله وبالتدرج يكتسب لغة الوسط الذي يعيش فيه ، ولعل من العوامل التي تساعد الفرد على اكتساب هذا السلوك ((التعليم والتدريب المستمر .. تماما كما يكتسب المظاهر الاجتماعية الأخرى من تقاليد وعادات ، وحتى تصبح اللغة بالنسبة له أمرا عاديا لا يكاد يشعر به حين يستعمله)) (2) ، وإذا كان الإنسان لا يمكن أن يستغني عن الماء والهواء ، فهو لا يمكنه من جهة ثانية الاستغناء عن اللغة ، لأنها ((شيء لا غنى عنه ، وهي ملك مشاع لكل طبقات المجتمع من أعلاها إلى أدناها ، ليس كل الناس يكتبون ، وقليل منهم نسبيا من يهتمون بصناعة الأدب ، ولكن كل الناس يتكلمون .)) (3)

5. اللغة نامية :

لا تكاد تستقر اللغة أية لغة من لغات العالم على حال ، فهي في تغير مستمر تخضع في ذلك لأحوال الأفراد وتطور المجتمعات ، وهذا بفعل العديد من العوامل المختلفة الداخلية منها والخارجية الحضارية والفكرية والسياسية والاجتماعية فاللغة إذا ((وثيقة الصلة بعلم الإنسان وعلم الاجتماع باعتبارها نتاج علاقة اجتماعية

(1) . أصول النحو العربي ، د/ محمد عيد ، عالم الكتب القاهرة ، ب . ط ، 1973 . ص : 275

(2) . في اللغة ودراساتها ، د/ محمد عيد ، عالم الكتب القاهرة ، ب . ط ، 1974 . ص : 05

(3) . أسس علم اللغة ، ماريو باي . ص : 43

ووسيلة نقل الثقافة التي تعتبر من وجهة نظر علم الإنسان مجموعة تقاليد الشعب وأوجه استعمالاته للغة ، وبالنظر إلى وظيفة اللغة كتعبير عن الفكر يمكن اعتبار اللغة جزءا من علم النفس . كذلك تطرق اللغة كل أبواب النشاط الإنساني المشترك من عقيدة وحرب وسياسة وقانون وترفيه ، واللغة . إلى جانب ذلك . تعمل كأداة للفكر الراقى ، فالخطابة والأدب والشعر والفلسفة والعلوم ، كل أولئك لا بد أن تتناول عن طريق اللغة ((1)

إذا كانت اللغة لا تكاد تنفصم ولا تنفصل عن كافة مناحي الحياة ، فإن أدنى تغيير أو تطور في أي منها يؤدي بالضرورة إلى تغيير . ولو نسبي . في اللغة إلا هذا التغيير في اللغة ((يبقى محصورا في كلماتها القاموسية وحقولها الدلالية كلما احتاجت اللغة إلى التعبير عن مفاهيم ثقافية وتكنولوجية جديدة)) (2) ، والقول ((إن اللغة تتطور في قواعدها ما لا نذهب إليه)) (3) .

ولعل من أبرز ميادين هذا التعبير هو ميدان الكلمة حيث ((إذا تتبعنا تاريخ الكلمة في أي لغة فسنرى شيئا عجيبا ، فمعاني الكلمة تتغير دائما وتنتقل من ميدان إلى آخر فهناك معنى عام وآخر خاص ، وهناك معاني حقيقية وأخرى مجازية وقد يكون للكلمة أكثر من معنى ، وقد تؤدي عدة كلمات إلى معنى واحد)) (4) ، ففي هذا القول إشارة ضمنية إلى الصورة البلاغية التي تخرج فيها الكلمة عن المعنى الحقيقي

(1) . أسس علم اللغة ، ماريو باي . ص : 43

(2) . اللغة العربية والاتصال ، د/ عبد الجليل مرتاض ، محاضرات لطلبة الماجستير ، 2005/2004

جامعة وهران . ص : 13

(3) . اللغة العربية والاتصال ، د/ عبد الجليل مرتاض . ص : 13

(4) . أساسيات تعليم اللغة العربية ، الدكتوران محمد كامل الناقة وفتحي يونس . ص : 10

إلى معنى مجازي أي انتقال الكلمة من حقل دلالي إلى حقل دلالي آخر في لغة الكتابة، ولغة الكلام التي يرى البعض أنها ((تميل إلى الجمود والتمسك بالتقاليد)) (1) فهذا قول مردود لأن لغة الكلام تتطور هي الأخرى ونميل فيها في غالب الأحيان إلى اعتماد الصورة البيانية في تواصلنا مع المحيطين بنا .

مما سبق نتبين أن العلاقة بين الفكر واللغة علاقة وثيقة كما أقر بذلك الجرجاني في حديثه عن النحو ومن جاء بعده من العلماء أمثال تشومسكي ، ومن هنا فإن التغيير الفكري الحاصل في المجتمع ينعكس بالضرورة على اللغة، والعكس صحيح فنمو اللغة يعني نمو أهلها ، وفي النمو حياة وتطور وجمودها يعني جمودهم ، وفي الجمود موت وانقراض ، وعليه ف ((اللغة هي التي تصنع الأمة)) (2) ويصح أيضا أن يقال : " إن الأمة هي التي تصنع اللغة " .

وظائف اللغة :

تتجلى أهمية اللغة في الوظائف التي تؤديها ، وقد حظي هذا الجانب باهتمام العلماء الذين حاول كل منهم بحسب المدرسة التي ينتمي إليها تحديد وضبط هذه الوظائف ، فمنهم من نظر إليها من زاوية فلسفية نفسية ، ومنهم من نظر إليها من زاوية اجتماعية ، ومنهم من جمع في نظرتهم إليها بين الجانبين معا .

ولعل ما يستوقفنا في بداية هذا المبحث قول ابن جني الذي جمع فيه بين تعريف اللغة وبين وظائفها ، وهو تعريف جامع يستخلص منه معظم وظائف اللغة التي تشعب فيها المحدثون ، وملخص قوله : ((إن اللغة أصوات يعبر بها كل قوم

(1) . علم أسس اللغة ، ماريو باي . ص : 61

(2) - Cours de linguistique général ; Saussure – p : 35

عن أغراضهم، وهي فعلة من لغوت إذا تكلمت (((1) ، فهو وبالإضافة إلى تلميحه لوظيفة التواصل الأساسية للغة التي نستشفها في فعل " يعبر " ، يشير إلى بقية الوظائف الأخرى التي تؤديها اللغة من خلال قوله " أغراضهم " بصيغة الجمع مفرد " غرض " ، وهو بمعنى الحاجة التي تتطوي تحتها الحاجة النفسية الفكرية ، الشعورية، الاجتماعية... إلخ ، وهو ما استعاض عنه المحدثون بلفظ " الوظيفة " ، فالاختلاف إذاً في المصطلح .

وما عليه إجماع الباحثين إن اللغة ((تؤدي وظائف مختلفة تتعدد بتعدد استعمالاتها وموقعها)) (2) ، إلا أن هذه الوظائف كما يرى جاكبسون ((تتوزع على مكونات التواصل اللغوي المرسل والمستقبل والإبلاغ والشفرة والاتصال والظرف)) (3) ، ومن هنا فبالنظر إلى هذه العناصر مجتمعة يمكن التمييز بين وظيفة وأخرى ، لأنه قد تلتبس علينا الوظائف أحيانا ، ولا ملاذ لنا إلا الرجوع إلى موقف المرسل أو المستقبل أو الظرف أو الرسالة أو السياق الذي ترد فيه وهذا ما سنفصل فيه القول عند حديثنا عن وظيفة التواصل التي ارتأيت تأجيلها وإفرادها بمبحث خاص لأهميتها ومن جملة وظائف اللغة نذكر :

1. وظيفة التعبير عن الأفكار والعواطف والانفعالات :

تعتبر اللغة . من وجهة نظر بعض اللغويين الذين ينظرون إليها على أنها تابعة لميادين الفلسفة والمنطق والعواطف . أداة لنقل الأفكار والأحاسيس وكل ما يختلج

(1) . الخصائص ج 1 ، ابن جني، تح محمد علي النجار ، عالم الكتب ، ب . ط ، ب . ت

ص : 33

(2) . فلسفة اللغة واللسانيات ، نورالدين النيفر . ص : 150

(3) . فلسفة اللغة واللسانيات ، نورالدين النيفر . ص : 150

بصدر الإنسان ، لأن هذا الأخير حينما ((ينطق ببعض الكلمات إنما يفعل ذلك لكي يعبر أي ينقل العواطف والأحاسيس والأفكار من الداخل إلى الخارج)) (1) ، ومن هنا فاللغة ((تتيح لكل إنسان تبليغ تجربته الشخصية إلى نظائره ، ويشمل مفهوم التجربة كل ما يشعر به الإنسان أو يلاحظه ، سواء أخذت هذه التجربة صيغة يقين أم شك أو رغبة أو حاجة ، ويمكن للتبليغ أن يتم في قالب إثبات أو استفهام أو طلب أو أمر دون أن يخرج من إطاره الخاص)) (2) وغالبا ما يلجأ المتكلم للتعبير عن عواطفه ومشاعره إلى الصورة فيجسدها في صور محسوسة مجسدة في التشبيه أو الاستعارة أو الكناية بما يضيف على لغته شيئا من الجمال بغية التأثير على المستقبل وهذا ما سأتناوله لاحقا .

والجدير بالتنبيه أن هذه الوظيفة تتداخل مع بعض الوظائف الأخرى التي أشار إليها هاليداي Halliday ، ومنها على وجه التحديد ((الوظيفة النفعية : Fonction instrumentale فاللغة تسمح لمستخدميها منذ طفولتهم المبكرة أن يشبعوا حاجاتهم ، وأن يعبروا عن رغباتهم وما يريدون الحصول عليه من البيئة المحيطة ، وهذه الوظيفة هي التي يطلق عليها وظيفة " أنا أريد ")) (3) و ((الوظيفة الشخصية Fonction personnelle من خلال اللغة يستطيع الفرد . طفلا وراشدا . أن يعبر عن رؤاه الفردية ومشاعره واتجاهاته نحو موضوعات كثيرة ، وبالتالي فهو يستطيع من خلال استخدامه للغة أن يثبت هويته وكيانه ، ويقدم أفكاره للآخرين ويمكن أن تكون شفوية ومكتوبة كما

(1) . محاضرات في علم النفس اللغوي ، د/ حنفي بن عيسى . ص : 73

(2) . اللسانيات العامة الميسرة : 1 - علم التراكيب ، سليم بابا عمر ، أنوا الجزائر ، ب . ط

1990 . ص : 69

(3) . فلسفة اللغة واللسانيات ، د/ نور الدين النيفر . ص : 151

في الأدب والشعر . (((1)

2. تصريف وتنظيم شؤون المجتمع :

للغة مغزى اجتماعي ، وعليه فهي من وجهة نظر المدرسة الفكرية حقيقة اجتماعية باعتبارها أداة تساعد على تسيير شؤون المجتمع وتصريف أموره وتوجيه أفرادها لما يتعين أن يكون عليه من سلوكات ، فالكلمة ((إنما تستعمل في أداء الأعمال وإنجازها)) (2) ، وهذا ما يؤكد يسبرسن الذي يرى ((أن كلمات اللغة في الاختلاط الاجتماعي لا تستعمل في أكثر الأحيان لتنتقل الأفكار أو لتوضيح أشياء من هذا القبيل أو حتى للتعبير عن الشعور ، ولكنها تستعمل لتشبيح الاشتياق إلى النزعة الاجتماعية والمصاحبة التي يهواها الإنسان .)) (3)

وقد اصطلح على تسمية هذه الوظيفة بالوظيفة التنظيمية : Fonction régulatoire ، إذ يستطيع ((الفرد والمجتمع من خلال اللغة أن يتحكم في سلوك الآخرين ، يحثهم ويستثيرهم ، وينسق فعلهم ، وهي تعرف باسم وظيفة " افعل كذا ولا تفعل كذا " كنوع من الطلب أو الأمر لتنفيذ المطالب أو النهي عن أداء بعض الأفعال .)) (4) يتجلى دور اللغة في الناحية الاجتماعية أيضا في تقويم سلوك الفرد بما يتماشى وتوجهات المجتمع باعتبارها حاملة للقيم والمثل التي توارثها جيل عن جيل ، كما أنها تقوم سلوكه اللفظي من حيث النطق السليم للحروف والاستعمال الصحيح للمفردات واعتماد الأساليب الملائمة بمعنى ((إن اللغة لها وظيفة " تحديد أو

(1) . فلسفة اللغة واللسانيات ، د/ نور الدين النيفر . ص : 152

(2) . أساسيات تعليم اللغة العربية ، الدكتوران محمد كامل الناقة وفتحي يونس . ص : 11

(3) . أساسيات تعليم اللغة العربية ، الدكتوران محمد كامل الناقة وفتحي يونس . ص : 12

(4) . فلسفة اللغة واللسانيات ، د/ نور الدين النيفر . ص : 151

" أو التوجيه وفق قانون : Code ثقافي هو الرمز ، ففي القرآن . مثلا . يتم الزواج بمجرد النطق بألفاظ معينة وكذلك في المحكمة حينما يقول القاضي " حكمت المحكمة بكذا " ، فإن هذه الكلمات تتحول إلى فعل فاللغة تقطع الواقع وتركبه وتوزعه وتضبطه (((1) ، أي أنها ((تبلور الخبرات وتجارب الأمم في كلام مفهوم ، يمكن أن يستفيد منه الغير وتدون التراث الثقافي وتحتفظ به جيل بعد جيل .)) (2)

3. الوظيفة النفسية :

تتمثل هذه الوظيفة عند ثورندايك : Thorndike في إحداث استجابات لدى المتلقين وإثارة أفكارهم وعواطفهم ومن هنا فهي ترتبط بقانون " الإثارة والاستجابة " ، وهذا بخلاف ما يذهب يسبرسن الذي يحصر هذه الوظيفة في الجانب الترفيهي للغة ، كونها وسيلة من وسائل الراحة والترفيه عن النفس والتحرر من القلق والاضطراب ، لأن المرء حين يغني أو يتحدث بحديث لا هدف من ورائه ، فهو إنما يفعل ذلك ليرفه عن نفسه ويمتع الآخرين ، إذ ((لا يعيش الإنسان بالخبز وحده ، فاللغة لها وظائف أخرى علاوة على كونها أداة اتصال ، وهي لا تستخدم فقط في الكلام بل في الغناء أيضا ، والحديث لا هدف له في الغالب إلا مجرد اللعب بالأصوات ليمتع الفرد نفسه ويمتع الآخرين ، فليست الحياة اليومية جدا كله بل هناك فرص ينبغي أن لا نفكر فيها، وذلك حينما نترك العمل جانبا ، وفي مثل هذه الظروف لا تؤدي اللغة وظيفة حل المشكلات ، بل لها في هذه الأوقات وظائفها ، فهي وسيلة من وسائل

(1). فلسفة اللغة واللسانيات ، د/ نور الدين النيفر . ص : 151

(2). محاضرات في علم النفس اللغوي ، د/ حنفي بن عيسى . ص : 68

الراحة وتقليل الاضطراب وكسر حواجز الغربة بين الفرد ومن يشاركه الحديث ، وإقامة علاقات تتأى عن العلاقات التقليدية (((1) ، ولكن ومع هذا كله تبقى اللغة حتى في مثل هذه الحالات والظروف وسيلة تواصل فالمرء حين يغني أو يتحدث بأي حديث فهو يتواصل مع المحيطين به .

تلتقي هذه الوظيفة بما يسمى الوظيفة التخيلية : *Fonction imaginative* التي تسمح اللغة من خلالها للفرد ((بالتححر نسبيا من ضغوط الواقع عن طريق وسيلة من صنعه هو ، وتتمثل في ما ينتجه من أشعار وفنون وإبداع في قوالب لغوية ، تعكس انفعالاته وتجاربه وأحاسيسه كما يستخدمها الإنسان للترويح أو لشحذ الهمة والتغلب على صعوبة العمل وإضفاء روح الجماعة كما هو الأمر في الأغاني والأهازيج التي ترددها الأفراد في الأعمال الجماعية أو عند التنزه ، ويمكن رصد خصوصيات لكل خيال لغوي .)) (2)

ما يلاحظ أن أصحاب هذه المدرسة يفرقون بين وظيفة اللغة في حالة الجد وفي حالة غير الجد فهي عندهم تواصلية في الحالة الأولى وغير تواصلية في الحالة الثانية ، وهذا ما يرفضه المنطق لأن المرء يتواصل حتى في حالة انفراده فهو يتواصل مع ذات ينتزعه من ذاتيته ، فهو لا يتسلى من خلال تلاعبه بألفاظ اللغة كما يقول هؤلاء ، وإنما يبث رسالة تحمل رأيا أو فكرة موجهة لفئة من المتلقين ، وهو أيضا لا يتحرر من ضغوط الواقع في حالة الإبداع الأدبي ، وإنما يكون أشد التصاقا بهذا الواقع ، لأنه يريد أن يقول شيئا في لغة أدبية راقية فيها من الأخيلة

(1) . أساسيات تعليم اللغة ، الدكتوران محمد كامل الناقة وفتحي يونس . ص : 12

(2) . فلسفة اللغة واللسانيات ، د/ نور الدين النيفر . ص : 154

والصور ما يأخذ بالألباب .

4. الوظيفة الاستفهامية :

الفرد ابن بيئته ومحيطه ، فهو يتخذ من اللغة أداة لمعرفة ما يحيط به واستكشاف أسرار ما يجري من حوله ومن هنا ((فهي ما يمكن أن نطلق عليه الوظيفة الاستفهامية بمعنى أنه " الفرد " يسأل عن الجوانب التي لم يعرفها في بيئته حتى يستكمل النقص في معلوماته عن هذه البيئة ويكون صورة عنها .)) (1) يمكن لهذا الفرد أن يعيش في هذا المحيط الذي يعد جزءا منه من دون أن يتفاعل مع الآخرين فلا مناص إذا من استخدام اللغة كأداة للتواصل معهم لأننا ((نستخدمها ونتبادلها في المناسبات المختلفة ونستخدمها في إظهار الاحترام والتخاطب مع الآخرين ((2) . والجدير بالتنبيه أن لهاتين الوظيفتين الاستفهامية والتفاعلية صلة وثيقة بالوظيفة التنظيمية كونهما جزءا منه وإن عدها هاليداي وظيفتين منفصلتين (3) وهناك وظائف أخرى للغة استلهمها جاكبسون من نظرية الاتصال ، وهي ست وظائف : الوظيفة التعبيرية ، وظيفة النزوع ، وظيفة إقامة الاتصال ، الوظيفة الإنشائية ، الوظيفة ما وراء لسانية والوظيفة المرجعية . (4)

(1) . فلسفة اللغة واللسانيات ، د/ نور الدين النيفر . ص : 153

(2) . فلسفة اللغة واللسانيات ، د/ نور الدين النيفر . ص : 153

(3) . فلسفة اللغة واللسانيات ، د/ نور الدين النيفر . ص : 153

(4) . ينظر اللسانيات : النشأة والتطور ، أحمد مومن . ص : 148

. ينظر فلسفة اللغة واللسانيات ، د/ نور الدين النيفر . ص : 156

. ينظر مدخل إلى التحليل اللساني : اللفظ ، الدلالة ، السياق ، العربي قلايلية ، ديوان المطبوعات

الجامعية ، ب . ط ، ب . ت . ص : 04

5. اللغة أداة للتواصل :

مما عليه الإجماع أن وظيفة اللغة الأساسية هي التعبير أي التواصل ، بمعنى أنها وسيلة لتبادل الأفكار ونقل الأخبار بين الأفراد ، ولعل في حديثنا عن الاتصال والتواصل ما يوضح أكثر هذه الوظيفة .

أ. الاتصال :

الاتصال لغة من " و ص ل " ، ومن معانيها : بلغ وانتهى : حيث يقال :

((" و ص ل " (وصلت) الشيء من باب وعد و " صلة " أيضا و " وصل " إليه يصل وصولاً أي بلغ .)) (1)

- اتصل : بمعنى ((دعا دعوى الجاهلية ، وهو أن يقول : " يا فلان " ، قال

تعالى : " إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ " / النساء : 90 / أي يصلون)) (2) ،

ومنه ((وصل الشيء بغيره فاتصل ، ووصل الحبال وغيرها توصيلاً :

وصل بعضها ببعض ... ووصلت شعرها بشعر غيرها ، " ولعن الله الواصلة

والمستوصلة ")) (3)

- انتمى : حيث يقال ((ووصل إلى بني فلان واتصل : انتمى ، قال الأعشى :

(1) . مختار الصحاح ، الرازي ، دار الكتاب العربي بيروت ، ط1 ، 1967 . ص : 723

. ينظر لسان العرب ج11 ، ابن منظور ، دار بيوت للطباعة والنشر ، ط1 ، 1968 . ص : 736

(2) . مختار الصحاح ، الرازي . ص : 725 .

. ينظر اللغة العربية والاتصال ، د / عبد الجليل مرتاض . ص : 15

(3) . أساس البلاغة ، الزمخشري ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ب . ط ، 2000 . ص :

إِذَا اتَّصَلَتْ قَالَ : أ بَكَرَ بَنَ وَائِلٍ ِ *** وَبَكَرٌ سَبَبَتْهَا وَالْأُنُوفُ رَوَاغِمُ)) (1)

وقد تأتي بمعنى " علم ، تطف " وهذا بحسب السياق الذي ترد فيه (2)

ب . التواصل :

التواصل من " تواصل " على وزن تفاعل الذي يدل على :

((1 . المشاركة بين اثنين فأكثر ، مثل :

. تقاتل زيد وعمرو

. تجادل زيد وعمرو وعلي

2 . التظاهر : ومعناه الادعاء بالاتصاف بالفعل مع انتقائه عنه ، مثل :

تناوم . تكاسل . تجاهل . تعامى

3 . الدلالة على التدرج أي حدوث الفعل شيئاً فشيئاً ، مثل :

. تزايد المطر

. تواردت الأخبار

4 . المطاوعة : وهو يطاوع وزن " فاعل " ، مثل : باعدته فتباعد ، واليته فتوالى .))

(3)

. بين الاتصال والتواصل :

من خلال ما سبق يتضح أن " الاتصال " و " التواصل " مشتركان في الجذر

اللغوي " وصل ، وكلاهما مصدر ، فالأول " اتصال للفعل المزيد " اتصل " على

(1) . أساس البلاغة ، الزمخشري . ص : 679

(2) . ينظر أساس البلاغة ، الزمخشري . ص : 679

(3) . التطبيق الصرفي ، د / عبده الراجحي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ب . ط ، 1974

وزن " افتعل " قلبت فيه الواو " تاء " على الشكل الآتي : وصل ← اوتصل
 ← اتصل . اتصل ، قلبت الواو تاء ثم أدغمت في التاء المزيدة . والثاني
 " تواصل " للفعل المزيد " تواصل " على وزن " تفاعل " ومن هنا . وعلى الرغم من
 كونهما لا يأتيان في غالب الأحيان إلا متلازمين . يختلفان في المعنى وإن كانت ((
 هذه الاشتقاقات لا تكاد تبتعد عن المفهوم العام لما تتركب منه شبة لاتصال من
 عناصر حددتها نظريات الاتصال والإعلام تحديدا واضحا .)) (1)
 ويعود هذا الاختلاف لاختلافهما في البنية المورفولوجية ، فوزن " افتعل " وإن كان
 من معانيه كما يقول الصرفيون " الاشتراك " (2) فإن فعل " اتصل " لا يدل على هذا
 المعنى ، لأنه لا يقع من فاعل واحد ، وهو في ما نرى لا يتعدى في معناه الوضعي
 مجرد إقامة علاقة مع شيء أو شخص عن طريق وسيلة معينة ، ولا يدل على معنى
 التواصل ، وهو ما يقابله في اللغة الفرنسية : Etablir une relation ou un lien وفي
 الإنجليزية : Establish a relationship or link أما الفعل الثاني " تواصل " فهو يدل على كما
 سبقت الإشارة على المشاركة في القيام بالحدث بين أكثر من اثنين في وقت واحد ولا
 يمكن أن يحدث فعل التواصل من حيث الزمان . إذا ما ربطناه في معناه الإنساني بفعل
 التخاطب والتحاور بين شخصين أو أكثر . إلا بعد فعل لاتصال ، بمعنى أن التواصل
 يلي مرحلة الاتصال ، أو بعبارة أخرى لا يمكن أن يكون هناك
 تواصل من دون اتصال ، وإن كانت هناك مواقف خاصة واستثنائية يحدث فيها
 اتصال ، لكن من دون تواصل ، وذلك إما لغياب أحد الطرفين في العملية التواصلية "
 المرسل والمستقبل " أو لسلبيتها أو لغياب الرسالة .

(1) . اللغة العربية والاتصال ، د/ عبد الجليل مرتاض . ص : 15

(2) . ينظر التطبيق الصرفي ، د/ عبد الراجحي . ص : 36

ومن ذلك كما يحدث للبعض أحيانا أن يشكل رقما هاتفيا لاتصال بشخص ما ولكن بمجرد أن يرفع هذا الشخص السماعة يلتزم الطرف الآخر الصمت أو ينقطع الخط بينهما ، فهل هذا اتصال أم تواصل ؟ مما لا شك فيه أنه اتصال وليس تواصل .
 ومن هنا يمكن القول إن الاتصال لا يعني أحيانا التواصل ، في حين قد يعني التواصل الاتصال وعليه فمفهوم التواصل في ما نرى أوسع من الاتصال ، وهو ما يعبر عنه باللغة الفرنسية : Communiquer (1) ، وباللغة الإنجليزية : Communicate ، لأنه ينطوي على معنى فعل Etablir un contact ou un lien التي تعني " اتصل " وهو ما يخالف ما ذهب إليه عبد الجليل مرتاض الذي يقول : ((إننا نؤكد ما ألمحنا إليه آنفا من أن الاتصال أكثر عموما من التواصل والتوصل والمواصلة .)) (2)
 يرتبط التواصل في بعده الإنساني بالتخاطب والتحاور بين شخصين فأكثر ، بمعنى أن التواصل يقتصر على الممارسة الفعلية الاجتماعية للغة التي تتمثل في الإبلاغ والإخبار والاطلاع من خلال المشاركة في ما يجري بين الأفراد من أحاديث .
 وعليه فهو ((يخص التخاطب البشري ، ويختص بدراسة العلاقات بين الأشخاص الذين يفسرونها ويتأثرون بها)) (3) ، وهذا يعني أن التواصل يقوم على ((نشاطين رئيسيين هما : الكلام والاستماع ، هذان النشاطان لهما أهمية بالغة لدى عالم النفس باعتبارهما نشاطين عاليين للجهاز العصبي يحملان في ثناياهما عمليات تعكس طبيعة العقل البشري وقدرته .)) (4)

(1) . ينظر : 201 . S.N..L Le Robert 1977 P . Micro-Robert : dictionnaire du Français primordial ;

(2) . اللغة العربية والاتصال ، د/ عبد الجليل مرتاض . ص : 18

(3) . فلسفة اللغة واللسانيات ، د/ نور الدين النيفر . ص : 157

(4) . فلسفة اللغة واللسانيات ، د/ نور الدين النيفر . ص : 157

عمليات تعكس طبيعة العقل البشري وقدرته .)) (1)

والملاحظ أن هذين الشرطين لا يتوفران إلا في اللغة المنطوقة أي في الكلام ، وهذا لا ينطبق على اللغة المكتوبة التي تعد من ضمن طرق الاتصال ، وعليه يمكن الاستعاضة عنهما فيها بالقراءة والرؤية ، ومن ثمة يمكن القول إن التواصل يقوم على الشروط الآتية : الكلام والاستماع أو القراءة والرؤية .

ومما سبق نتبين أن مفهوم التواصل ينحصر أساسا في الممارسة الفعلية للغة ، شفوية كانت أم خطية ، في حين يقتصر الاتصال على الوسائل والأدوات والطرق التي تساعد على تحقيق وتجسيد هذه الممارسة في الواقع الملموس ، والوسائل طبعا متعددة ، فمنها اللغة، الكلام ، الكتابة الرموز ، الإشارات ، العلامات والرسوم ...إلخ . ومن هذه الوسائل ما يستدعي وسائل أخرى ففي الكلام مثلا قد نحتاج إلى الهاتف أو الصورة ، وفي الكتابة نحتاج إلى الفاكس البرقية الأنترنيت ...وما إلى ذلك مما توفره التكنولوجيا الحديثة ، وهذا طبعا بحسب موقف وموقع كل من طرفي العملية التواصلية .

وعلى الرغم من التباين في دلالة المصطلحين ، فقد يراد بالاتصال عند البعد أحيانا التواصل والعكس صحيح ، وهذا بالفعل ما أفرزته التقنية الحديثة في مجال الاتصال حيث أصبح ((التواصل يعني انتقال المعلومات ومعالجتها وتقليبها : Manipulation في كل الأنظمة العلامية Semiologiques)) (2) ،

ومن هنا فلا داع للاستغراب حينما نرى هذا الخلط في استعمال المصطلحين حيث لم يعد هناك ما يميز الاتصال عن التواصل في كثير من التعاريف ، فقد جاء في معجم التربية أن ((الاتصال هو " نقل خبر ما من شخص إلى آخر ، وإخباره به

(1) . فلسفة اللغة واللسانيات ، د/ نور الدين النيفر . ص : 157

(2) . فلسفة اللغة واللسانيات ، د/ نور الدين النيفر . ص : 157

وإطلاعه عليه ، ويعني التواصل وحدتي التواصل والتوصيل أي إقامة علاقة مع شخص ما أو شيء ما ، كما يشير إلى فعل التوصيل ، كما أنه يعني التبليغ أي توصيل شيء ما إلى شخص ما وإلى نتيجة ذلك الفعل ، كما يدل على الشيء أي يتم تبليغه والسائل التي يتم التواصل بفضلها (((1)

ومن جملة التعاريف التي ورد فيها التواصل بمعنى الاتصال تعريف سامي ذبيان الذي يقول : ((الاتصال عملية تتم بين طرفين يتخاطبان ، يستطيعان عن طريق الاتصال بينهما أن يتشاركا في فكرة أو رأي أو شعور أو عمل ما ، ويمكن أن يكون كل طرف من الطرفين شخصا واحدا والآخر عدة أشخاص ، فيكون الاتصال عن طريق التخاطب بين شخص ومجموعة "حال المدرس والتلاميذ" أو "حال زعيم سياسي يخطب في جماهيره ، وأحيانا يكون التخاطب بين شخص واحد أو عدة أشخاص وبشكل غير مباشر كحال المذيعين الذين يتوجهون إلى مستمعهم (((2)

هذا ما هو جار عليه العرف ، وما هو متداول بين علماء اللغة ورجال الإعلام والاتصال ، وما دام الأمر كذلك فلا مناص من تبني هذا الاتجاه ومجارة هؤلاء فيما أجمعوا عليه وهذا بهدف تجنب التشويش الذي ينجر عم مخالفتهم في استعمال كل مصطلح في ما وضع له كما بينت آنفا .

(1) . معجم علوم التربية : مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك : 01 . سلسلة علوم التربية : 9-10

عبد اللطيف الفاربي ، عبد العزيز الغرسان ، محمد آيت موحى وعبد الكريم غريب ، ب . ط ،

ب . ت . ص : 81

Micro – Robert : dictionnaire du Français primordial ; P . 20

. ينظر

(2) . مدخل نظري وعملي إلى الصحافة اليومية والإعلام : الموضوع والتقنية والتنفيذ ، سامي ذبيان ،

دار المسيرة لبنان ، ط 1 ، 1979 . ص : 76

العملية التواصلية :

لقد تحدثت عن بعض جوانب العملية التواصلية في أثناء حديثي عن الاتصال والتواصل وذكرت بعضا من التعاريف من باب توضيح مفهومي المصطلحين والفرق بينهما ، وهذا في ما أرى لا يمكن من الإحاطة بالعملية التواصلية لأنها أوسع من أن تحصر في التعاريف السابقة ، ومن هنا أفردتها بهذا المبحث لأهميتها في هذه الدراسة .

إن اللغة في نشأتها الأولى تعود إلى بداية نشأة المجتمعات الإنسانية حيث وجدت بوجود الإنسان الذي أخذ يتكيف وبمرور الزمان مع البيئة عن طريق الاتصال والاحتكاك بما يحيط به بدافع الفضول والرغبة في معرفة أسرار الوجود معتمدا على حواسه من لمس وشم وبصر وذوق ، وراح في مرحلة لاحقة يحاكي ما يسمعه من أصوات ، فكان له بذلك أول عهد باللغة التي لم تخرج في هذه الفترة بالذات من كونها مجرد أصوات تعبر كما يرى البعض عن الخوف والخطر والفرح وما إلى ذلك ، وبفعل الممارسة المستديمة لهذه الأصوات انتقل الإنسان إلى مرحلة تشكيل الكلمات ثم الجمل التي راح يتصل بها بمن يحيطون به من بني جنسه ويتواصل معهم .

ومن هنا كانت بداية الاتصال ، وقد ازدادت الحاجة إليه وأصبح ضرورة حتمية حينما تكاثرت الناس ووجدوا فيه ما يحقق وجودهم ويعينهم على قضاء حاجاتهم وإشباع رغباتهم ، لهذا ((نجد أن عملية الاتصال لم تكن وليدة القرون الحديثة ، وإنما ظهرت منذ ظهور الخليقة على هذا الكون ، لكن الحاجة إلى الاتصال ازدادت اتساعا وانتشارا في العصر الحديث ، وذلك لما له من أهمية في حياة الشعوب والأمم حتى تتقارب مع بعضها)) (1)

(1) .قراءات في طرق التدريس : كتاب الرواسي : طرق التدريس ، ناجي تمر باتنة ، ط1

ولكن لا يتحقق هذا التعاون على حد تعبير ابن خلدون (ت : 808 هـ) إلا عن طريق ما يسميه بالمفاوضة أي التواصل إذ ((أدرك الناس آنذاك أن التعاون لا يمكن أن يتم إلا عن طريق المفاوضة التي تجري بالمشافهة اللسانية والكتابة .)) (1) لأنهم أي الناس ((محتاجون إلى العبارة عن المقاصد لطبيعة التعاون والاجتماع وبيان العبارة أخف)) (2) أو لأنهم ((لو أجبروا على التعامل بالبضائع بدل الكلمات لهلكوا تحت ثقل حملها .)) (3)

إن الوظيفة الأساسية للغة ومنذ القدم كانت التواصل ، ويتجلى هذا في تواصل العامة من الناس وخاصتهم وفي اتصال وتواصل الأنبياء والرسل . عليهم الصلاة والسلام . مع أقوامهم الذين اتخذوا من اللغة أداة لتبليغ أوامر الله ونواهيه ، ودعوة شعوبهم إلى الإيمان بالله عز وجل وتوحيده وعبادته ، كما اعتمد عليها المصلحون الاجتماعيون عبر التاريخ وكذا الخلفاء والخطباء وغيرهم في توجيه أفراد مجتمعاتهم وإسداد النصح لهم أو تنبيههم إلى خطر أو تحذيرهم من عدو وغير ذلك . والجدير بالإشارة أنه إذا كانت عملية الاتصال قديمة ، فإن الحديث عنها ليس بجديد ، إذ التفت إليها علماء اللغة منذ عصور خلت ، وفي مقدمتهم العلماء العرب الذين تحدثوا باقتضاب عن التواصل والاتصال مع خلال تعرضهم لمفهوم النحو والخطابة والبلاغة أو ما له علاقة باللغة بصفة عامة . فسيبويه (ت : 180 هـ) يشترط الإفادة في الكلام أي الجملة التي تعد نواة التواصل ، وابن خلدون ربط البلاغة بالعملية التواصلية

(1) . البلاغة والعمران عند ابن خلدون ، محمد صغير بناني ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ب . ط .

1996 . ص : 110

(2) . البلاغة والعمران عند ابن خلدون ، محمد صغير بناني . ص : 110

(3) . البلاغة والعمران عند ابن خلدون ، محمد صغير بناني . ص : 110

حيث يقول : ((البلاغة هي بلوغ المتكلم الغاية من إفادة مقصوده للسامع)) (1) ، ولن يبلغ المتكلم هذه الغاية أو هذا المبلغ إلا إذا ((حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال ، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع ، وهذا هو معنى البلاغة .)) (2) وفي هذا إشارة صريحة إلى العناصر التي تقوم عليها عملية التواصل ، فالمتكلم هو المرسل والسامع هو المستقبل والتركيب والتأليف هما ترميز أو تشكيل الرسالة .

وفي السياق نفسه يقول ابن القيم الجوزية (ت : 751 هـ) في مؤلفه " بدائع الفوائد " نقلا عن عبد الرحمن الحاج صالح : ((الكلام له نسبتان ، نسبة إلى المتكلم به نفسه ، ونسبة إلى المتكلم فيه إما مطلبا أو خبرا ، وله نسبة ثالثة إلى المخاطب ، لا يتعلق بهذا الغرض وإنما يتعلق تحقيقه بالنسبتين الأوليين)) (3) ، وهذا ما يعكس سبق علماء العرب في تناول العملية التواصلية قبل غيرهم حيث كانوا ((يعيرون اهتماما كبيرا جدا لدور المتكلم وتصرفاته بحسب أغراضه وبمقتضى الحال ، وكذلك أحوال السامع ، وغير ذلك مما له دور هام في عملية التخاطب .)) (4) لقد انعكس التطور الذي عرفته الإنسانية عبر مراحل تاريخها بصورة إيجابية على كافة المجالات وعلى الخصوص مع الانطلاقة الفعلية للثورة الصناعية منذ عصر

(1) . المقدمة ، ابن خلدون ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، ب . ط ، ب . ت . ص : 1971

(2) . المقدمة ، ابن خلدون . ص : 1971

(3) . التحليل العلمي للنصوص : بين الأسلوب وعلم الدلالة والبلاغة العربية ، د/ عبد الرحمن الحاج

صالح ، محاضرات لطلبة التبريز ، دفعة 1997 ، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة الجزائر

(4) . التحليل العلمي للنصوص : بين الأسلوب وعلم الدلالة والبلاغة العربية . ص : 15

النهضة العلمية والفكرية في أوروبا ، إذ وبفعل الاكتشافات في مختلف الميادين وعلى رأسها الميدان الصناعي والتكنولوجي ساعدت الإنسان على تذليل الكثير من العقبات حيث يسرت سبل الاتصال والتواصل ، وهذا في ظل الاهتمام المتزايد لقطاع الإعلام لأهميته في حياة الشعوب ، وخصوصا في الوقت الراهن الذي اشتد فيه السباق على تسويق الأخبار والترويج للدعايات ونقل المعلومات في كافة أنحاء العالم .

بفعل هذا التطور الحاصل في مجال الإعلام فقد اختصرت المسافات واقتصد الكثير من الجهد والوقت والمال ، إذ أصبح في إمكان أي كان الاتصال والتواصل مع من شاء ومتى ومن أين شاء بالصوت فقط أو بالصوت والصورة معا أو بالكتابة باعتماد الوسائل التقنية المختلفة المتاحة .

ولعل من جملة ما أفرزه هذا التطور السريع الحاصل في كافة مناحي الحياة وفي شتى العلوم والفنون هو تفرع هذه العلوم لدرجة أن أصبح كل فرع منها يشكل علما قائما بذاته ، وهذا حال الإعلام والاتصال الذي استقل بنفسه وغدا تخصصا توليه الدول عناية خاصة .

على الرغم من حداثة هذا العلم الذي لم يتبلور مفهومه بشكل دقيق وواضح إلى مع مطلع العصر الحديث ، فإنه ليس من اليسر الإحاطة بكل دقائقه ، وذلك لغزارة مادته وكثافتها ، وهذا ما يعكس بالفعل مدى العناية التي أولاها العلماء لهذا العلم الذي تعددت مفاهيمه .

وللمزيد من توضيح هذه المفاهيم ، فلا مناص من الحديث مجددا عن العملية التواصلية التي يعرفها بأنها ((فعل Acte ويقوم هذا الفعل على " نقل المعلومات من مصدر إلى هدف" ويتحقق ذلك بين فردين أو بين مجموعة من الأفراد وعملية

التواصل تشمل مجموعة من العناصر هي : المرسل والرسالة والقناة والشفرة أو المرجع . والمكون الثاني هو : عملية التواصل تحدث من خلال اتصال فردين يشتركان في سجل معرفي وقيمي ، أما المكون الثالث فهو اختلاف المقاربات التي تعالج الاتصال ونماذجه .)) (1)

ويرى آخرون أن ((التواصل هو الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقات الإنسانية وتتطور إنه يتضمن كل رموز الذهن مع وسائل تبليغها وتعزيزها ويتضمن أيضا تعابير الوجه وهيئات الجسم والحركات ونبرة الصوت والكلمات والكتابات والمطبوعات والقطارات والتلغراف والتلفون ، وكل ما يشمله آخر ما تم من الاكتشافات في المكان والزمان .)) (2)

عناصر العملية التواصلية :

ما دامت العملية التواصلية كما يقول جون ديوي نقلا عن حسين حمدي : ((هي عملية مشاركة في الخبرة)) (3) فإنها تستدعي وجود عناصر أساسية لا يخلو منها أي اتصال ، لأن هذه المشاركة لا تكون إلا بين شخصين أو أكثر وعبر وسائل وطرق معينة يتعين الاعتماد عليها ، وخصوصا إذا ما علمنا أن عملية الاتصال لم تعد قاصرة على نوع واحد بل اتسعت مجالاتها وتعددت ميادينها واختلفت أنواعها إذ أصبحت تعني ((جميع الطرق التي يتم خلالها التبادل والمشاركة في المعلومات والأفكار وتشمل وسائل الاتصال بين الأفراد ، وتضم اللغة والرموز والإشارة

(1) . معجم علوم التربية : مصطلحات في البيداغوجيا والديداكتيك ، عبد اللطيف الفاري وآخرون .

ص : 44

(2) . معجم علوم التربية : مصطلحات في البيداغوجيا والديداكتيك ، عبد اللطيف الفاري . ص : 43

(3) . التكنولوجيا والتربية ، د/ حسين حمدي الطويجي ، دار القلم الكويت ، ط3 . 1983 . ص : 36

وتعبيرات الوجه والصور والمطبوعات والكلمة المسموعة والأفلام والتلفزيون وغير ذلك ، وكل ما يتم من خلاله توصيل المعاني والقيم السلوكية من شخص لآخر.)) (1) وهذا ما يراد به التبليغ الذي يعني ((نقل خبر من نقطة إلى أخرى ، وبما أنه توجد طرق عديدة تبلغ بها الأفكار وينقل بها الخبر من مكان إلى مكان كالصوت والكتابة والإشارة باليد والإيماء بالرأس واستعمال رموز خاصة كشفيرة مثلاً.)) (2) إلا أنه ومهما اختلفت الطرق في الاتصال فإن عملية التبليغ تقوم على ستة عناصر أساسية لأن الخبر المراد نقله وإيصاله لا بد أن يكون له مصدر : Source ، منتهى : Destination ، رسالة : Message ، جهاز إرسال : Poste emetteur ، ممر : Canal ، جهاز التقاط : Récepteur . والملاحظ أن العملية التواصلية لا يمكن أن تتم إلا بتوفر هذه العناصر مجتمعة ، فغياب أو تجاهل أي منها أو ما يتعلق بكل منها من شروط وخصائص يخل بالعملية نفسها وينعكس سلباً على الغاية منها ، وهي الإفهام والتفاهم ومن ثمة ارتأيت أنه من المفيد أتناول كل عنصر من هذه العناصر بشيء من التفصيل .

1 . الباث : Emetteur ; Expéditeur

هو الملقى أو المرسل أو المبلغ ، وهو العنصر الأول والأساسي في العملية

- (1) . التكنولوجيا والتربية ، د/ حسين حمدي الطويجي . ص : 33
- (2) . ينظر دور اللغة في عملية الاتصال ، د/ أحمد عزوز ، مجلة التربية ، وزارة التربية والتعليم الدوحة قطر ، العدد 142 ، سنة 2004 . ص : 25

التواصلية لأنه يشكل محور دورة الخطاب (1) ، فهو الذي يصوغ الرسالة التي يتوقف إدراك محتواها أو فحواها أحيانا على ربطها بمصدرها ومعرفة أحواله ووضعيته ، وهو بالنظر إلى هذه الوضعيات وطرق التواصل التي يلجأ إليها " شفوية أو كتابية " قد يكون متكلماً أو خطيباً ، كاتباً أو أدبياً أو شاعراً .

ولعل من ضمن مواصفات الباحث أو الملقى التي يؤكد عليها اللسانيون أن يكون مؤهلاً لإجراء التواصل أي أن يمتلك القدرة أو الكفاءة التواصلية التي تتمثل في ((قدرة لغوية تترجم معرفة الفرد بقواعد استعمال اللغة في سياق اجتماعي قصد أداء نوايا تواصلية معينة حسب مقام وأدوار محددة وهي بذلك كفاية فهم وإنتاج اللغة في وضعيات تواصلية)) (2) ، وهي ما عبر عنها ابن خلدون بالملكة أو بالكفاءة عند تشومسكي (3) ، وبعبارة أخرى أن تكون للمرسل تجربة تواصلية تأتيه من ((العلاقة التفاعلية التي تربط شخصين على الأقل داخل العالم المعيش وفي إطار التوافق اللغوي بين الذات ، ومن ثم فإن كل شخص أو فاعل يملك القدرة على الكلام والفعل ، ويمكنه أن يشارك في التواصل ، وأن يعلن عن ادعاءاته للصلاحية لكن شريطة أن يراعي مقاييس المعقولية والحقيقة والدقة والصدق)) (4)

إن الكفاءة التواصلية تكمن في القدرة على إنتاج اللغة أي المعرفة الكافية بقواعد اللغة ، نحوها وصرفها وطرق تركيب الجمل وتحويلها وما يطرأ عليها من تقديم

-
- (1) . تكاد تجمع جميع المدارس على أن المرسل يمثل حجر الأساس في العملية التواصلية باستثناء البنيوية التي تهتم على حد تعبير الدكتور لحاج صالح بالنص المنتج دون أية عناية بأحوال إحداثه ، ومن هنا نقصي المتكلم من العملية التواصلية ، ينظر التحليل العلمي للنصوص . ص : 15
 - (2) . معجم علوم التربية ، عبد اللطيف الفاربي وآخرون . ص : 44
 - (3) . ينظر فلسفة اللغة واللسانيات ، د/ نور الدين النيفر . ص : 126 ، 126
 - (4) . مدخل إلى التحليل اللساني : اللفظ ، الدلالة ، السياق ، العربي قلايلية . ص : 60

وتأخير وحذف وإضمار وغيره وما يقع فيها من انزياح وعدول وحقيقة ومجاز أي ما تتضمنه من صور بلاغية من استعارة ، وتشبيه ، وكناية ، ومجاز والوقوف على الأغراض البلاغية والتواصلية منها .

يحيل الحديث عن المعقولية والحقيقة والصدق إلى أخلاقيات التواصل التي يتعين على كل طرف في هذه العملية الالتزام بها ، وهي عند هابرماس العقل التواصلية الذي يقوم على ((الخطاب البرهاني الذي يحفز على خلق اتفاق بدون ضغوط ، وعلى تحقيق إجماع داخل بنية ديمقراطية أو بالأحرى داخل مجال عمومي لينتزع فيه الفرد من ذاتيته الضيقة لينخرط في المجهود الجماعي المؤسس على التفاهم والتواصل العقلي ((. (1) ، لأن الهدف من ((التواصل هو الوصول إلى نوع من الاتفاق يؤدي إلى العلاقات المشتركة بين الذوات وإلى التفهم المتبادل والثقة المتبادلة وإلى التقارب في النظرات والآراء ((. (2)

ويندرج ضمن هذه الأخلاقيات حسن صوغ الرسالة باعتماد لغة مشتركة وفق النظام اللغوي المتعارف عليه ، بمعنى أن يضع موقف المستقبل في الحسبان ويأخذ قدراته العقلية ومستواه الثقافي وكفاءته التواصلية وإمكانياته في الأداء بعين الاعتبار ومن هنا فحرية الملقى كما هو الحال لدى المتلقي نسبية في صوغ الرسالة وفهمه ، ذلك أنه وإن كنا جميعا نشترك في الحواس ولاعتماد عليها في الاتصال بالعالم الخارجي " البصر ، الشم ، الذوق ، اللمس والسمع " فإننا ومن دون شك نتفاوت فيها من حيث استقبال المثيرات الخارجية ، وعليه فلا يوجد شخصيان يستجيبان بنفس الدرجة لموقف واحد .

(1) . فلسفة اللغة واللسانيات ، د/ نور الدين النيفر . ص : 112

(2) . فلسفة اللغة واللسانيات ، د/ نور الدين النيفر . ص : 113

وعلى المرسل أن يعي دوماً أن عملية التواصل تقوم على عنصر المشاركة كما سبقت الإشارة وأنها لا تسير في اتجاه واحد من مصدر الرسالة إلى مستقبلها ولكنها ((ترتد ثانية إلى المصدر حتى يتبين أنها حققت أهدافها ، وهذا ما نسميه بالتغذية الراجعة : Feed – back التي يمكن أن تكون فورية .)) (1)

وللمرسل أن يربط في مواقف التواصل مع غيره بين المنطوق اللفظي للنص وبين المفهوم الذهني الناتج عن هذا المنطوق ، وله أن يميز بين مختلف التراكيب اللغوية التي تنقسم إلى ((أربعة أنماط وذلك طبعا لآليات العلاقة بين المنطوق اللفظي والمفهوم الذهني ، النوع الأول هو " النص " ، وهو الدال بمنطوقه على معنى لا يحتمل غيره ، والنوع الثاني هو الظاهر ، وهو الدال بمنطوقه على معنيين ، المعنى الظاهر منهما هو المعنى الراجع من المنطوق ، والنوع الثالث هو التأويل ، وهو الذي يدل منطوقه على معنيين يكون المعنى الراجع ، هو المعنى غير الظاهر ، وذلك عكس النوع الثاني ، والنوع الرابع هو الغامض " الذي يحتمل معنيين سواء على سبيل الحقيقة أو على سبيل المجاز ، ويصعب تحديد المعنى المراد من المنطوق وهذا الغامض يطلقون عليه أحيانا " المجمل " ، وهذه الأنواع الأربعة كلها خاصة بالعلاقة بين منطوق التركيب اللغوي وبين المعنى أو الدلالة .)) (2)

إن النوع الثالث من هذه الأنواع المذكورة ينطبق على الصورة البيانية وخاصة الكناية والمجاز اللذين يحتملان معنيين ، أحدهما قريب وهو غير مقصود والآخر بعيد وهو المقصود ، وسأعرض لذلك لاحقا .

(1). التكنولوجيا والتربية ، د/ حسين حمدي الطويجي . ص : 34

(2). مفهوم النص : دراسة في علوم القرآن ، د/ نصر حامد أبو زيد ، الهيئة المصرية العامة

للكتاب ، ب . ط ، 1993 . ص : 201

تستوجب هذه الأنواع المذكورة على المرسل والمستقبل في آن واحد التعامل بحذر مع أنواع الخطاب والتكيف مع كل موقف تواصلية ، ونعني بالتكيف التكيف العقلي اللغوي ، النفسي والحركي بما يتلاءم ووضعية المستقبل الذي قد يكون فردا أو جماعة لأن التواصل مع الجماعة يختلف عن التواصل مع الفرد ، كما أن التواصل مع الجماعات يختلف في حد ذاته فهو يتنوع بتنوع الفئات والشرائح التي يوجه إليها الخطاب ، ومن هذا القبيل فإن التواصل مع تلميذ يختلف عن التواصل مع فوج من التلاميذ ، والشيء نفسه يقال عن بقية فئات المجتمع ، فكل تواصل وبحسب الفئة الموجه إليها مضمونه ، لغته ، مصطلحاته وأهدافه ، وعليه يمكن تقسيم التواصل إلى عدة أقسام منها :

التواصل الاجتماعي ، التواصل السياسي ، التواصل الإعلامي ، التواصل الاقتصادي الخ فليس من العبث إن قالت العرب : " لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ " أي لكل موقف رسالة وموضوع معين أو تواصل .

إن التكيف في المواقف التواصلية يفرض على المرسل وضع خطة تيسر عليه عملية التواصل والاتصال ، تكون بمثابة المعالم التي يهتدي بها أو المراحل التي يتعين مراعاتها ، ويتمثل الإطار العام لهذا التصميم في طرح مجموعة من الأسئلة العامة كما هو معمول به لدى رجال الإعلام والمربين ، وهي : ماذا ؟ ، كيف ؟ ، لماذا ؟ ، وما هي النتيجة ؟ ويمكن له أن يتوسع فيها من باب الدقة بطرح أسئلة فرعية أخرى كأن يضيف مثلا : أين ؟ ، متى ؟ لتحديد المكان والزمان .

وقبل الشروع في تناول النقاط التي تندرج كل سؤال من هذا الأسئلة يتعين أن نشير إلى أنني وإن كنت قد فضلت أن أربط بعضا من هذه الأسئلة بالعنصر الذي يناسبها في العملية التواصلية ، فقد أدمجت بعض الآخر منها في عنصرين أو أكثر والبداية تكون مع السؤال الأول ، وهو " ماذا ؟ لا شيء إلا لأنه يعني المرسل الذي أنا بصدد الحديث عنه .

يتعلق هذا السؤال كما هو جلي بفكرة أو محتوى أو مضمون أو فحوى الرسالة التي ((يتوجه بها الخطيب / أي المرسل أيا كان موقفه / إنها عبارة عن أفكار وأراء ومفاهيم يرغب المرسل في أن تصل إلى الآخرين ، وأن يتعلمها الناس ويأخذوا بها)) (1) ، ويشترط فيها أن تكون واضحة دقيقة بعيدة عن الغموض وسوء التأويل لأن الغموض يعيق وصولها وإيصالها إلى المرسل ، وبالتالي لا تتحقق الغاية من العملية التواصلية وعلى المرسل أن يعلم أن مسألة الدقة والوضوح . التي تعد من مهامه وواجباته تجاه المستقبل . مرتبطة ارتباطا عضويا بطريقة صوغ الرسالة واللغة والوسائل المستخدمة .

2. الرسالة أو المرسل : Message

تتمثل الرسالة في الملفوظ أو المكتوب من الكلام ، وهي ما يسمى بالخطاب أو الخبر في قطاع الإعلام الذي يتضمن مضمونا أو موضوعا محددًا، وهي ما ((يجسد تلك اللغة المشتركة ، ويحددها في إطار زمني ومكاني ، ويجعلها خاصة بمقام دون آخر بحيث يخرجها من دائرة اللغة باعتبارها عامة شاملة إلى دائرة الكلام باعتباره خاصا ومحددا يحمل دلالات معينة وأفكارا معينة وتصورات معينة يراد إيصالها إلى المخاطب)) (2)

إن حرص المرسل على الوضوح والدقة في الرسالة يجعله أن يتساءل " كيف يتم ذلك " ، ولعل ما يجب أن يراعيه هذا الأخير ما يأتي :

- تحديد الفكرة العامة وترتيب أفكاره الجزئية بحسب الأهمية والأولوية .
- تحديد شكل الرسالة : فهو مخير وحسب الظرف بين الشكل المنطوق

(1) . مدخل نظري وعملي إلى الصحافة والإعلام ، سامي ذبيان . ص : 77

(2) . مدخل إلى التحليل اللساني : اللفظ ، الدلالة ، السياق ، العربي قلايلية . ص : 12

والشكل المكتوب ، لأن هناك من مواقف التواصل ما يستدعي بل يفرض نمطا محددًا لأنه أفضل وأنجع من الآخر في عملية التواصل ، وهناك من المواقف ما يستدعي الشكلين معا في آن واحد لما فيهما من مزية التأكيد .

- ترميز الرسالة : أي التعبير عن الفكرة باعتماد لغة مشتركة بينه وبين المتلقي على أن هذه اللغة في متناول المرسل إليه من حيث الألفاظ والعبارات والتركيب ، وفيها من الطاقات التعبيرية أو ما يسمى بعناصر التحويل ما يوضح الفكرة ويعمل على ترسيخها في ذهن المستقبل ، ومن هذه الطاقات التقديم والتأخير والحذف والزيادة والإضمار والإظهار... إلخ

وهذا بحسب ما يتطلبه الموقف وبحسب حال المخاطب ، وفيها أيضا ((من عنصر الإثارة والتشويق ما يجذب الاهتمام)) (1) ، على أن يتجنب في كل ذلك . إلا عند الضرورة . الإطناب أو ما اصطلح على تسميته بالحشو في الاتصال لأن ((السامع على ضوء معرفته العامة بالسياق وسابق خبرته بموضوع الحديث لا يحتاج لاستمرار المحادثة إلى تمييز كل الأصوات المعروضة المقدمة فيها الرسالة ، وإنما ربما يحتاج إلى نصفها وقد وضع خبراء الاتصال مصطلحا هو الحشو : Redundancy ليطلق على حالة الاتصال حينما تظهر وحدات فونيمية في الرسالة أكثر من القدر العقلي المحتاج إليه للغتهم ، ومحصل قوة هذا العامل تقل بدرجة ملحوظة إذا كان السامع حديث عهد باللغة التي يتحدث بها ، أو على سابق خبرة بموضوع الحديث ، وهو تحت هذه العوامل يرهف أذنيه ليلتقط كل وحدة صوتية ممكنة ، ويحاول على قدر مهارته أن يستفيد من الإشارات أو اللمحات التي تصاحب الحديث)) (2)

(1) . مدخل نظري وعملي إلى الصحافة والإعلام ، سامي ذبيان . ص : 78

(2) . أسس علم اللغة ، ماريو باي . ص : 91

إن الحشو كما يتضح مما سبق عامل مرهق ومتعب ليس للمستقبل فحسب ، بل للمرسل ذاته حيث يكلفه جهدا زائدا لا طائل من ورائه ، وفي هذا قال علماء البلاغة العربية قديما : " خير الكلام ما قل ودل " و " خير الكلام ما أغناك قليله عن كثيره " وفي هذا دعوة صريحة إلى الاقتصاد اللغوي الذي أفرزته عوامل الاتصال الحديثة ، ومن هنا يوصي علماء الاتصال بما يسمى التخطيط اللغوي أو السياسة اللغوية في عملية التواصل على المستوى الرسمي ، وهو ((مصطلح جديد يدل على توجه الدولة المعاصرة إلى جعل التواصل بين البشر سهلا وميسورا وجعل الوسائل الإعلامية والتعليمية المختلفة يتكامل عملها في إطار خطة لغوي واحدة)) (1) لأن عدم الالتزام بخطة لغوية واضحة ((يؤدي إلى أن تتخذ المؤسسات اتجاهات مختلفة قد تكون متعارضة ومتناقضة، فإذا اتفقنا على كون اللغة العربية الفصحى هي اللغة المنشودة فلا يجوز أن نعزلها ونجعلها مجرد مادة دراسية ، ونترك باقي مجالات الحياة تؤدي باللهجات المحلية أو بلغات أجنبية ، وإذا كان مجمع اللغة العربية يضع مصطلحات للعلوم ، فمن التناقض أن تكون المؤسسات المعنية بالعلوم بحثا وتدرسا لا تتعامل باللغة العربية، وكأن الأمر لا يعنيهم في شيء)) (2)

وإذا كان للتخطيط اللغوي هذه الأهمية على المستوى الرسمي ، فإنه ومن مصلحة المجتمع العمل به على المستوى الشعبي الذي يبقى في حاجة إلى توثيق العلاقات والتفاهم والتعاون ، ولا سبيل إلى هذا إلا التواصل .

- طريقة تقديم أو إلقاء الرسالة : هذا الجانب يتعلق بالشكل المنطوق الذي يتطلب أن يتضمن من الإيقاع والنبر والتنغيم ما يساعد على فهم الرسالة ، وما يكون له من

(1). البحث اللغوي ، د/ فهمي حجازي . ص : 124

(2). البحث اللغوي ، د/ فهمي حجازي . ص : 124

أثر في وقع الرسالة في نفسية المستقبل ، ما يتبع ذلك من استجابة أو رد فعل ، لأن من الأشياء التي تدخل ضمن الإبلاغية في المنطوق والمكتوب على حد سواء ((القيم الانفعالية في اللغة ، وتناغم الأصوات ، والإيقاع وإبراز عناصر محددة في العبارة ، وتداعي الأفكار والاتجاه إلى التذکر ، والأساليب والتعبير الأدبية المتسمة بالفصاحة والبلاغة واستخدام العبارات الدارجة وإنزالها منزلة لائقة .)) (1)

- تحديد الوسائل : بما فيها جهاز البث والاستقبال والقناة أو المرر ، إن تحديد الوسائل جانب مهم في عملية التواصل ، وعليها بتوقف وصول وإيصال الرسالة إلى المرسل ، إلا أن اختيارها مرتبط بشكل التواصل الذي تم تحديده من قبل ، فشكل المكتوب وسائله وأدواته ، وللمنطوق وسائله وأدواته أيضا ، ويدخل ضمن الوسائل كافة الأجهزة الحديثة التي تدخل كوسيط لتحقيق أهداف العملية التواصلية وتتجلى أهمية الوسائل في تبسيط الحقيقة وعرضها في صورة جديدة لأن الكلام وحده أحيانا كما أثبتت التجارب يبقى محدودا ما لم يدعم بوسائل صالحة ليس فيها من التشويش أو الخلل ما يعيق عملية الاتصال والتواصل .

إذا كان لا بد على المرسل أن يولي موضوع الرسالة والوسائل هذه العناية الخاصة فالسؤال يطرح ههنا " لماذا ؟ والغرض منه هو تحديد الغاية أو الأهداف من عملية الاتصال ، وما عليه الإجماع كما سبقت الإشارة في أثناء حديثي عن وظائف اللغة أن الخطاب أيا كان نوعه ومصدره لا يخلو من فكرة أو رأي ، كما أنه وحتى في حالات المزاح لا يخلو من هدف ، والهدف في مفهومه العام يتمثل في إحداث استجابة أو رد فعل لدى المستقبل على أن يلاحظ ذلك في التغيرات التي تطرأ على سلوكه ، ويكون قابلا للقياس ، وفي هذه النقطة بالذات يكمن في مهارة المرسل وقدرته على التأثير

(1) . الإبلاغية في البلاغة العربية ، سمير أبو حمدان ، منشورات عويدات الدولية بيروت ، ط 1

في المستقبل ، ومن هنا وجب على المرسل أولاً أن يكيف كلامه بحسب حالة المستقبلين وعددهم ، لأن ما يصلح أن يخاطب به المستقبل الواحد لا يصلح بالضرورة أن يخاطب به الجموع والعكس صحيح ، وهذا لتفاوت المخاطبين في القدرات العقلية من حيث درجة الفهم والإدراك ، وثانياً أن يراقب كلامه ويكيفه . إن اقتضى الأمر ذلك . بعد ملاحظة الأثر الذي يحدثه خطابه في المستقبلين ، وعليه ((فأنا أستطيع على كل حال أن ألاحظ الأثر الذي أحدثه في السامعين ، وهذا ما يجعلني أغير كلامي إذا ما أحدث أثراً سلبياً وأعدل صوتي إذا ما خالطه ما يفسد أي أثر التلقي في الإرسال وله *Rétroaction* صفاءه وهذا ما يعرف بالأثر الرجعي : أهمية أكبرى في فهم قضايا اللغة فالخطيب مثلاً يراقب كلامه في الجمهور ، والكاتب يلتزم بمبادئ معينة تجاه قرائه ، والسياسي يزن كلامه بحسب مقتضيات الأحوال ، فهم يتخيرون من الألفاظ والعبارات ما يثير عواطف المتلقين ويهز مشاعرهم ، وإثارة أحاسيسهم .)) (1)

إن المرسل ويسلوكه اللفظي يستطيع أن ينفذ إلى قلوب سامعيه وعقولهم ، ويستطيع من خلال ذلك أن يهز مشاعرهم ويثير عواطفهم وأفكارهم ، ويؤجج فيهم نار الحب والكراهية والرضا والسخط والذل والإبء ، والنشاط والخمول ، وما إلى ذلك مما يرتضيه لهم ، وهذا من جملة ما سبق لعلماء البلاغة أن أشاروا إليه في أثناء حديثهم عن الخطابة وقدرة الخطيب في جذب انتباه السامعين والتأثير فيهم وعليهم ، وحال الخطيب لا يختلف في شيء عن كل من يتواصل مع غيره من عامة الناس وخاصتهم ، المهم أن يسعى جاهداً لتحقيق ما يصبو إليه من أهداف وما يرغب فيه من انطباع يريد أن يتركه في المستقبل ، وخاصة إذا كان المرسل ينتقي من الصور البيانية والأخيلة والأساليب الراقية ما يستهوي المستقبل ويثير إعجابه ويهز وجدانه فالتأثير يكون

(1) . محاضرات في علم النفس اللغوي ، د/ حنفي بن عيسى . ص : 91

أشد وأبلغ وأقوى وأنفذ .

وهذا لن يتأتى إلا من خلال معرفة نفوس المخاطبين ومستوياتهم وحاجاتهم ، وهو ما يعرف بالتفاعل الاجتماعي ، أو ما يسميه البعض بالسلوك التكاملي الذي يحدد علاقة المرسل بالمستقبل ، وفائدة ذلك في عملية التواصل . لقد أضحت معرفة حاجة المستقبل ((عنصرا أساسيا ، يجب أن يليها ذاك الاتصال وتلك الرسالة ، فالوضع الاقتصادي والاجتماعي للمستقبل أو لمتلقي الرسالة مهم)) (1) ، كما يتعين على المرسل من جهة أخرى إذا ما أراد الوصول إلى مبتغاه أن يركز على وظيفة اللغة التي تمكنه من ذلك . وفي هذا المعنى يقول دال كرناجي Cale Carnegie ((في كل موقف خطابي تجتمع ثلاثة عناصر : الملقى ، الرسالة والمتلقي ، إن القاعدة الأولى والثانية من هذا الفصل خصصتا لأهمية الموضوع بالنسبة للملقي ، ولحد الآن يمكن الحديث عن " موقف خطابي " الذي يبدأ عندما يأخذ المحاضر الكلمة أمام الجمهور ويكون العرض قد هيء بجدية من قبل على أن يتناول فيه مشكلة حساسة تهتم المتلقي ببدء أنه وللحصول على نجاح باهر يتدخل عامل آخر ، وهو أن يثير اهتمام الحاضرين بموضوعه إذ لا يكفي أن يكون حماسيا بل يجب أن ينقل حماسه . إن الخطباء الذين اشتهروا عبر التاريخ كانت لهم موهبة نقل أفكارهم ، وأن الخطيب الكفاء هو الذي يسعى بحدة أن يشاركه المتلقون في أحاسيسه ، ويقتنعون بآرائه ويقومون بما يراه صالحا لهم ويعيشون معه تجاربه الخاصة ، ويكون همه الوحيد هو الجمهور .

(1). ينظر تحليل العملية التعليمية : مدخل إلى علم التدريس ، محمد الدريج ، الرباط المغرب ، ط1 .

1991 . ص : 29 ، 56 ، 110

. ينظر كيف تدرس بواسطة الأهداف ، عبد اللطيف الفاربي وعبد العزيز القرصاف ، دار

الخطابي للطباعة والنشر ، ط3 ، 1989 . ص : 138.... 151

. ينظر تدريس العربية وآدابها دعوة إلى التجديد ، مخلوف عامر ، C.M.Editions ، ب . ط

1997 . ص : 79

إن نجاح أو فشل عرضه لا يتوقف على ما يعتقدوه هو ، بل على ما يشعر به المتلقي في عقله وقلبه . (((1)

3. المستقبل : Decodeur ; Destinataire ; Recepteur

هو المستقبل للخطاب أو المبلغ أو المخبر أو المرسل إليه ، وهو عنصر مهم في العملية التواصلية كونه يمثل الطرف الثاني فيها ، فبدونه تفقد هذه العملية جوهرها باعتبارها ذات بعد ثنائي أو جماعي ، ومن هنا فوجوده ضروري حتى في حالة تواصل الإنسان مع نفسه لأنه ينتزع من ذاته شخصا آخر يبادل أطراف الحديث كما يفعل الأطفال الصغار في ألعابهم ومن ثمة لا يمكن أن نتصور عملية تواصلية من دون الباث أو المستقبل ، فإن كان الأول يمثل مصدر الرسالة فالثاني مستقبلها ، وهو تحتويه . المقصود بها والمعني بتفكيك رموزها والمعنى أيضا بما تحمله من أفكار وما من آراء وعواطف .
أركان الاتصال :

إن الحديث عن وظائف اللغة يستدعي أن أعرج على النظام اللغوي ، لأن اللغة توصف بأنها نظام : Systeme ((من العلامات ، ولا تعد الأصوات إلا عندما تعبر عن الأفكار أو تنقلها وإلا فهي مجرد أصوات ، ولكي تعبر الأصوات عن الأفكار أو تنقلها ينبغي لها أن تكون جزءا من نظام من الأعراف يربط بين الأصوات والأفكار وبعبارة أخرى ينبغي لها أن تكون جزءا من نظام من العلامات، والعلامة هي اتحاد بين شكل يدل ، يسميه سوسير الدال : Signifiant وفكرة يدل عليها تسمى المدلول : Signifié)) (2) بمعنى أن اللغة نشاط اجتماعي له ضوابطه وقواعده أصبحت وبفعل قوة العرف

(1) - Comment parler en public ;Dale Carnegie , maison hachette , 1ere publication 1990-P :56

(2) . المرايا المقعرة ، د/ عبد العزيز حمودة . ص : 202

. ينظر دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، سلسلة أنيس ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،

الجزائر ، ب . ط ، 1991 . ص : 65

الاجتماعي قانونا لا ينبغي أن يحيد عنه مستخدمو اللغة لا يكفي من وجهة نظر اللسانيين أن يكون المرسل والمستقبل على دراية تامة ومعرفة واسعة بالدوال ومدلولاتها حتى تتحقق العملية التواصلية ، وإنما يتعين عليهما الإحاطة بمختلف المستويات التي تقوم عليها اللغة والقواعد التي يخضع لها كل مستوى من هذه المستويات ، فالناس لا يتواصلون بالأصوات وحدها ، ولا بالكلمات كيفما اتفق ، وإنما يتواصلون بالجملة ، وللجملة نظامها الصرفي ، النحوي التركيبي الدلالي والبلاغي ، ولا يتسنى أن تتحقق الغاية من العملية التواصلية إلا بمعرفة هذه الأمور مجتمعة ، وهذا ما يمثل النظام أو ما يعرف عند الجرجاني (ت : 471 هـ) بالنظم (1) وفي حدود هذا النظام اللغوي يتواصل أفراد المجتمع ، وله ينساق الجميع ، فهو بمثابة العقل الجمعي الرقيب عليهم . (2) .

يتشكل هذا النظام من ثلاثة مستويات ، وهي : مستوى البنية الصوتية ومستوى البنية القواعدية " الصرفية النحوية " و مستوى البنية الدلالية لمعجم مفردات اللغة وهي ما تمثل على حد تعبير عبد الجليل مرتاض أركان الاتصال (3) ، وهي ذات أهمية بالغة في العملية التواصلية ، لأن الجهل بها أو ببعضها يعيق هذه العملية ويحول دون تحقيق الغاية منها ، وعليه يتعين على كل من المرسل والمستقبل إذا ما أراد أن يتوصلا ويفهم كل منهما الآخر أن يكونا على دراية تامة بخصائص كل ركن من هذه الأركان .

(1) . المرايا المقعرة ، د/ عبد العزيز حمودة . ص : 225 وما بعدها ،

(2) . ينظر خصائص العربية ، والإعجاز القرآني في نظيرة عبد القاهر الجرجاني ، أحمد شامية ،

ديوان المطبوعات الجامعية ب . ط ، 1995 . ص : 119 .

(3) . ينظر اللغة والاتصال ، د/ عبد الجليل مرتاض . ص : 28 .

. ينظر فلسفة اللغة واللسانيات ، د/ نور الدين النيفر . ص : 91 .

ومن هنا رأيت من المفيد أن أتحدث عن مستويات النظام اللغوي في العربية مركزا على أهمية كل مستوى في العملية التواصلية ، وهي كالاتي :

1. المستوى الصوتي :

تكمن أهمية هذا المستوى في :

. الإحاطة في المقام الأول بالنظام الصوتي الذي تقوم عليه اللغة السائدة في المجتمع .
 . القدرة على تحديد الوحدات الصوتية التي يتشكل منها الخطاب .
 . القدرة على التمييز بين الوحدات الدالة " المورفيمات " Morphemes والوحدات غير

الدالة الفونيمات Phonemes (1) بمعنى التمييز بين السوابق واللاحق أو ما يسمى في النحو العربي بحروف المعاني ، وبين ما يعرف بحروف المباني ، لأن ((الوحدات الحقيقية للبلاغ تعرف عندئذ بطريق عزلها ، عزل اللفاظم في الجملة وعزل الصوتم في اللفاظم)) (2) ، فعن طريق العزل إذاً وعن طريق التمييز بين الوحدات ((تتحدد الوحدات الحقيقية التي تبني البلاغ ، إذ لو عوضت لوحة بالأخرى لبقى للبلاغ الحاصل معنى في اللغة ، وتثبت التجربة العكسية ذلك أيضا في جملة تغير فيها مقطعا بآخر مثل : " أين قال أبوك... إلخ .)) (3) وفي هذا السياق ((نستحضر الجملتين العربيتين القديمتين :

1. لا رحمه الله ← دعاء عليه .

2. لا ورحمه الله ← دعاء له ، لنستدل كيف أن الوحدة الصوتية

هنا الواو . قلبت دلالة الجملة الثانية بالنسبة إلى الجملة الأولى رأسا على

(1) . ينظر فلسفة اللغة واللسانيات ، د/ نور الدين النيفر . ص : 91 .

(2) . ينظر فلسفة اللغة واللسانيات ، د/ نور الدين النيفر . ص : 91 .

(3) . ينظر فلسفة اللغة واللسانيات ، د/ نور الدين النيفر . ص : 91 .

هنا الواو قلبت دلالة الجملة الثانية بالنسبة إلى الجملة الأولى رأسا على عقب وهنا لا يحق لأحد أن يدعي بأن أهمية الواو هنا أقل أهمية مما حولها من علامات)) (1) تتأكد أهمية المستوى الصوتي في المنطوق من العملية التواصلية من وجهة علم الأصوات الأكوستيكي Accoustique (2) كونه ((يرتبط بإحساس المتكلمين واعتبارهم عددا من الأصوات صوتا واحدا أو أصوات متعددة منفصلة " على سبيل المثال ماذا يجعل الرجل الإنجليزي يقبل P في Pit و Spit و Sip كصوت واحد على الرغم من اختلافها في السمع ، وماذا يجعله يرفض تطابق الصوتين P في Pit و f في Pfit و هنا يدخل عامل المعنى)) (3) ونفس الشيء ينطبق على بعض الأصوات في العربية كمثل السين والصاد في "سار وصار" والتاء والطاء في "تاب" و"طاب" ...إلخ .

2. المستوى الصرفي :

يتصل هذا المستوى بعلم الصرف أو التصريف Morphologie ، وهو ((العلم بأصول يعرف بها أحكام بنية الكلم التي ليست بإعراب)) (4) ، ويندرج تحت هذا

(1). اللغة والاتصال ، د/ عبد الجليل مرتاض . ص : 30 .

(2). هو العلم الذي يعالج أصوات الكلام كما تستقبلها أذن السامع .

(3). أسس علم اللغة ، ماريو باي . ص : 48 .

(4) . الشافية ج1 ، جمال الدين أبو عمرو ، تحقيق أحمد عثمان ، المكتبة المكية ، مكة المكرمة ،

ط1 ، 1995 . ص : 6

هذا المستوى الترادف ، التضاد ، المشترك اللفظي والاشتقاق بكافة أنواعه . (1) يعد الاشتقاق بكافة أنواعه كما يرى الدارسون للغة العربية قدرة كامنة في كيانها كما أنه يعد ((أداة تطويرية دائمة للغة ، وهي تقتضي منا أن نحسن فهم حركتها في العربية الفصحى أولاً ، ومن صم نتمكن من استعمالها ، وإنها طبقات متعددة من الدلالات المميزة إلا أنها غير منفصلة ، ولا تحجب منها الأخريات عن المنبع الأول.)) (2) يلفت فايز الداية . وبالإضافة إلى دور الاشتقاق في إثراء اللغة وتطويرها ضمناً . إلى أهميته البالغة في العملية التواصلية حيث يمكن استثمار واستغلال ما هو موجود من ألفاظ لتوليد ألفاظ جديدة للتعبير عن معانٍ مستحدثة غير منفصلة عن المعنى الأصلي شريطة أن يتداول ذلك ويشاع على الألسنة ، ويدخل ضمن العرف اللغوي في المجتمع . هناك كلمات لم تتناولها المعاجم العربية ومنها على سبيل التمثيل ((وزن " انفعال " من مادة " ج م ع " انجمع ، فلسان العرب لم يوردها ولكن الوزن مستخدم في الأندلس بحسب ما أورده المقري " انجمت من على النفوس " ، ومما تسكت المعاجم عن فعله كلمة " الخافل " بمعنى الهارب ، فيمكن أن نشق لها فعلاً هو " خفل " بفتح العين ، ذلك لأن الفعل اللازم لا يصاغ منه وزن " فاعل "

(1) . ينظر من أسرار اللغة ، إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط6 ، 1978 . ص : 46 ، 47 ، 51 ، 71 .

. ينظر رسالتان في اللغة ج1 ، صلاح الدين أبو سعيد خليل ، تحقيق د/ حسن موسى الشاعر دار البشير عمان ، ط1 ، 1990 . ص : 69

. ينظر نصوص في فقه اللغة ج1 ، د/ السيد يعقوب بكر ، دار النهضة العربية بيروت ، ب . ط ، 1977 . ص : 77

(2) . علم الدلالة العربي : النظرية والتطبيق ، د/ فايز الداية ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر دمشق ، ط1 ، 1985 . ص : 237

صياغة قياسية إلا إذا كان مفتوح العين ، ونبحث عن كلمة " الاحترام " فلا نكاد نعثر عليها في معاجمنا إلا في " المصباح المنير " فإذا أردنا أن نشق منها فعلا كان مثل " احترم " ، ولقد جاء في كتب الحديث كلمة " محترم " على صورة اسم المفعول مما يرجح أن الفعل متعد فنصوغ منه " احترمه يحترمه .)) (1) وهكذا يمكن أن نولد ما لا يحصى من الألفاظ الجديدة في مختلف الميادين ، وفي مقدمتها المجال العلمي الذي نحتاج فيه إلى ما يمكننا من التعبير عما يكتشف من اختراعات في كافة الحقول لمسايرة التطور العلمي والتكنولوجي الحاصل .

إن استحداث ألفاظ جديدة وشيوعها على الألسنة وتداولها في المكتوب والمنطوق كاف لتحقيق الغاية من العملية التواصلية على غرار ما قام به السلف الذين عمدوا إلى توليد واشتقاق كلمات جديدة مما كان بين أيديهم .

3. المستوى النحوي :

إن من بين أهم مباحث النحو كما ترى المدارس الحديثة ((البحث في الجمل من حيث تأليفها ونظامها وعلاقات كلماتها بعضها بالآخر ، ثم وسائل التعبير عن هذه العلاقات .)) (2) وإذا كان الأفراد لا يتواصلون إلا بالجمل فإن الغاية من العملية التواصلية لن تتحقق إلا بمعرفة ما يقوم عليه هذا المستوى من حيث موقع الكلمة من الجملة وعلاقتها بما قبلها وما بعدها ذلك أن الكلمة التي لها موقع إعرابي وتؤدي وظيفة نحوية تأخذ معناها من سياق الكلام ، فبتحديد موقع الكلمة في التركيب وعلاقتها ووظيفتها يتحدد معناها ، وعليه فليس قصد المتكلم ((أن يعلم السامع معاني الكلم المفردة التي يكلمه بها ، فلا تقول : خرج زيد " لتعلمه معنى التركيب

(1) . علم الدلالة العربي : النظرية والتطبيق ، د/ فايز الداية . ص : 237

(2) . أصول النحو العربي ، محمد عيد . ص : 267 .

وعلاقتها ووظيفتها يتحدد معناها ، وعليه فليس قصد المتكلم ((أن يعلم السامع معاني الكلم المفردة التي يكلمه بها ، فلا تقول: خرج زيد " لتعلمه معنى "خرج " في اللغة ومعنى " زيد " ، كيف ومحال أن يعلمه بألفاظ لا يعرف معانيها كما تعرف ، ولهذا لم يكن الفعل وحده دون اسم ولا الاسم وحده من دون اسم آخر أو الفعل كلاما ، كأن لو قال : " خرج " ولم يأت باسم ولا قدر فيه ضمير الشيء ، أو قال " زيد " ولم يأت بفعل ولا اسم آخر ولم يضمه في نفسه كان ذلك صوتا نصوته سواء .)) (1)

وهذا ما يجعل من اللغة ((وسيلة مفهومة بين مستعمليها ، وبدون وجود هذه الروابط تتفك العلائق في رصف الكلمات وتصبح الكلمات مبعثرة بلا قيمة ، وقد جاء في كتاب " مناهج البحث في اللغة " أن هذه الروابط ثلاثة أشياء :

1 . التماسك السياقي : Transtivity

2 . التوافق السياقي : Concord

3 . التأثير السياقي : Gouvernance)) (2)

ويعني التماسك السياقي ((الترابط بين الكلمات من حيث الوظائف التي تؤديها كل منها بالنسبة للأخرى في الكلام . كأن تؤدي الكلمة وظيفة الفاعل بالنسبة للفعل أو وظيفة المبتدأ بالنسبة للخبر أو وظيفة الخبر للمبتدأ أو وظيفة الشرط للجواب أو العكس أو وظيفة الصفة أو الموصوف ، وهكذا فأداء كل كلمة لوظيفتها النحوية حسب نظام اللغة يؤدي إلى التماسك بينها وبين غيرها من الكلمات في السياق ، والتوافق في السياق يقتضي التطابق بين أجزاء الكلام من حيث الشخص " المتكلم والحضور والغيبة " ، والعدد " الأفراد والتنثية والجمع " ، والنوع " التذكير والتأنيث "

(1) . دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني . ص : 371

(2) . أصول النحو العربي ، محمد عيد . ص : 267 .

كما يراعى ذلك في العربية بين المبتدأ والخبر واسم الإشارة والمشار إليه والصفة والموصوف كل ذلك يحدث نتيجة النظام الذي ترد عليه اللغة ، فبتأثير هذا النظام تؤدي الكلمات ووظائفها ويتماسك سياقها بتطابق بعض أجزائها . (1)

تتجلى مرونة النحو العربي في ما يتيح للمرسل من إمكانات تقليب الجملة الواحدة وإعادة ترتيب عناصرها وفق ما يقتضيه غرض المتكلم ووفق ما يتطلبه حال المخاطب ، وهو ما يعرف بعناصر التحويل في اللسانيات المعاصرة ، إلا أن تقليب عناصر الجملة مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنحو من جهة ، وعلم التراكيب من جهة أخرى وعلم الدلالة من جهة ثالثة ، لأن من شروط الخبر الإفادة ، وإيصال المعنى تاماً صحيحاً سليماً إلى المستقبل ، ومن هنا فإن تعددت هذه العلوم وتداخلت فيما بينها بهذا الشكل ، فإن الغرض فيما يبدو واحد ، وهو تحقيق الغاية من العملية التواصلية .

4. المستوى التركيبي :

لهذا المستوى علاقة بعلم النحو وعلم الدلالة ، إذ لا يجوز إعادة صوغ الجملة وتقليب مكوناتها إلا في حدود ما تسمح به قواعد النحو ، وما يتوفر عليه من عناصر التحويل التي يتعين أن يراعى فيها . هي الأخرى . جانب المعنى .

ومن عناصر التحويل بالإضافة إلى الحذف والإضمار والإحلال التقديم والتأخير الذي أولاه النحاة والبلاغيون العرب عناية خاصة وأفردوا له فصولاً وأبواباً في كتب النحو والبلاغة على السواء ، وهو عندهم قسمان : تقديم على نية التأخير وتقديم ليس على نية التأخير ، فالأول يقوم على تقديم عنصر من عناصر الجملة فعلية كانت أو اسمية على أن يحتفظ العنصر المقدم بوظيفته النحوية مع ما يتطلبه الموقف

(1). أصول النحو العربي ، محمد عيد . ص : 267

التواصل والغرض البلاغي ، يقول سيبويه ((كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى ، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم .)) (1)

لم يفت الجرجاني في حديثه عن التقديم والتأخير أن أعاب على النحاة والبلاغيين سوء فهمهم وتقديرهم لظاهرة التقديم والتأخير وحصرها في العناية بالمتقدم مطالباً إياهم ببيان السبب حيث يقول : ((وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال إنه قدم للعناية ، ولأن ذكره أهم ، من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية ولم كان أهم ولتخليهم ذلك قد صغر أمر التقديم والتأخير في نفوسهم ، وهونوا الخطب فيه .)) (2)

إن الطاقة التعبيرية التي تتيحها ظاهرة التقديم والتأخير في اللغة العربية هامة وذات بعد تواصلية يختلف باختلاف المقام والغرض، فليس من العبث أن نقدم ونؤخر في مكونات الجملة من دون قصد ومن دون مراعاة ما يسميه الجرجاني النظم ، وفي الاتجاه ذاته تصب النظرية اللسانية الغربية حيث يرى تشومسكي كما يقول مازن الوعر : ((إن أهم ركن لغوي في التركيب الأساسي هو ذلك الركن المقدم على غيره من بقية الأركان... هذا المفهوم يفترض أن الأركان اللغوية المقدمة على غيرها في التراكيب العربية هي تلك الأركان التي يهتم بها ويعنى بها ، والتي يريد المتكلم التركيز عليها لإبلاغها.)) (3)

(1) . دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني . ص : 119

(2) . دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني . ص : 119

(3) . نحو نظرية لسانية عربية لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية ، مازن الوعر ، دار طلاس

سوريا ، ط1 ، 1987 . ص : 225

5. المستوى الدلالي :

لهذا المستوى أهميته في العملية التواصلية لأن مرد التعقيد في المعاني وفشل هذه العملية يعود في الأساس وفي كثير من الأحيان إلى سوء اختيار الألفاظ الملائمة أولاً وإلى التركيب أو ما يسميه الجرجاني النظم ثانياً، لأن اللفظ إنما وضع لمدلول أصلي تختلف دلالاته باختلاف السياق والموقف اللذين يرد فيهما أو لما قد يعرض له من انزياح أو عدول فيخرج عن دلالاته الأصلية إلى دلالية مجازية كما هو الشأن في الصورة البيانية موضوع دراستنا هذه ، وهذا ما يتعين مراعاته في العملية التواصلية إذ لا يكفي أن يكون المستقبل أو المرسل على علم بالألفاظ ودلالاتها حتى يتوصلا ، وإنما عليهما أن يكونا على دراية كافية بأنواع التراكيب والطاقت التعبيرية التي تتيحها اللغة للتعبير والفهم والإفهام ، أو لنقل العلم بطرق التحويل وهي الترتيب ، الزيادة ، الحذف ، التقديم والتأخير والإحلال .

وعلى العموم فإن تشكيل الخطاب أو إدراك فحوى الرسالة في العملية التواصلية يتوقف في هذا المستوى على :

. الإلمام بألفاظ اللغة والإحاطة بدلالاتها الأصلية والفرعية أو ما يعرف بالسلسلة الذرية عند كل من كاتز وفودور . (1)

. تحديد المقومات النحوية التي ترتبط بها الكلمة والجنس الذي تنتمي إليه وهو إما اسم أو فعل أو حرف .

. المهارة في التركيب والقدرة على تفكيك الرسالة من خلال ربط الدوال بمدلولاتها من دون إهمال ربط ذلك بالسياق أو التركيب أو الموقف والقيام بعملية فرز لدلالات المفردة الواحدة .

(1). ينظر مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة ، كاترين فوك وبيارلي قوفيك ، تج د/ المنصف

عاشور ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، ب . ط ، 1984 . ص : 89 .

. القدرة على تحديد مواضع الانزياح والعدول أو ما يسميه الجرجاني معنى المعنى
وبعبارة أخرى إن اللفظ المستعمل لا يدل على معناه المعجمي الذي وضع له وإنما يدل
على معنى آخر يحيل عليه السياق (1) ، ومن هنا فالمستقبل مطالب بالبحث
((عما وراء ما قيل)) (2)

. القدرة على التمييز بين الجملة التوليدية والجملة التحويلية وما اشتملت عليه من
عناصر التحويل أي التمييز بين البنية السطحية والبنية العميقة ودلالة كل منهما، إذ
عن طريق القراءة التفكيكية يستطيع المستقبل الوقوف على ما كتب ، وما قيل وما
أحجب ، وأسكت عنه وتشكيله في قالب تأويلي هدفه الوصول إلى خلق تعددية
واختلافات في المعاني الكامنة وراء المنطوق والمكتوب .

. التمييز بين وظائف الجمل لأن الوظيفة الأساسية للجملة اسمية كانت أم فعلية هي
التواصل والإفهام هذا ما عليه إجماع اللسانيين ، ومن بينهم دي بوا الذي يقول :
((تتكون " الجملة " من مركبين متميزين : الأول لمركب الاسمي ، والثاني المركب
الفعلي ، وهذان المركبان بهما تتحقق عملية الإبلاغ)) (3) ، وعليه فالجملة بنوعها كما
يقول الحاج صالح : ((نواة لغوية تدل على معنى وتفيد.)) (4)

إلا أن هذه الفائدة تختلف باختلاف الجملة ، ذلك أن ما تفيده الجملة الاسمية هو
غير ما تؤديه الجملة الفعلية بل الأكثر من ذلك أن معنى الجملة الواحدة يتغير بتغير
مبناها وتتغيرها ، فهناك إذاً ((فرق دقيق بين الجملتين .. وهذا الفرق يتمثل في قولك

(1) . ينظر علم الدلالة عند العرب دراسة مقارنة مع السيميائية الحديثة ، عادل فاخوي دار الطليعة ،
ط 1 ، 1985 . ص : 52 .

(2) . النص والحقيقة ، د/ علي حرب ، المركز الثقافي العربي ، ط 1 ، 1993 . ص : 21

(3) . عن البنية اللغوية لبردة البوصيري ، رابح بوحوش ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ب . ط ،
1993 . ص : 151 .

(4) . عن البنية اللغوية لبردة البوصيري ، رابح بوحوش . ص : 152

سعيد سافر / سافر سعيد ، فقد يظن لأول وهلة أنه لا فرق بين الجملتين ، ولكن إذا قلت : سافر سعيداً لم ترد أكثر من أن تذكر سفره . أما إذا قلت : زيدٌ سافر ، فقد أردت أن تلفت انتباه السامع إلى زيد نفسه وأنه سافر ثانياً وكأن السفر كان بعيد الوقوع منه لسبب من الأسباب أو كان غير مظنون فتريد أن تقول إنه حدث فعلاً ولذلك تقدم الفاعل وتجعله مبتدأ الكلام وأساسه .)) (1)

إن الجملة الاسمية المكونة من اسمين " مبتدأ وخبر أو ما كان خبرها جملة اسمية " (2) أن تفيد ثبوت الشيء للشيء ، وقد تفيد أحيانا الدوام والاستمرار بشرط أن تتضمن من القرائن ما يدل على ذلك ، كأن يكون الحديث في مقام المدح أو في معرض الذم نحو قوله تعالى : ((وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)) (3)

لقد نال هذا الجانب قسطاً كبيراً من اهتمامات البلاغيين العرب الذين بحثوا ((في " أغراض الخبر " وتنوع هذه الأغراض بما يدعم عملية الاتصال بين المرسل والمتلقي والنص على المستوى العادي والاجتماعي للتوصيل والمستوى الأدبي)) (4) بمعنى أنهم ربطوا بين ((البنية والدلالة ، وما يطرأ على هذه الأخيرة من تغير ملحوظ قرين بما يتصل بهذه البنية من لواصق ولواحق ، إذ تتنوع الاعتبارات تنوعاً كبيراً مرده ثراء العلاقات السياقية ، وما يتولد عنها من مستويات المعنى)) (5) من جهة وبين المستقبل الذي تعزّيه ثلاث حالات متباينة ، وهي الجهل بالخبر أو الشك فيه أو

(1) . النحو الوظيفي ، د/ صالح بلعيد . ص : 22

(2) . إذا كان خبرها جملة فعلية فهي تفيد الحدوث والتجدد في زمن مخصوص .

(3) . القلم : 04

(4) . في البنية والدلالة رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية ، د/ سعد أبو رضا . ص : 89 .

(5) . في البنية والدلالة رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية ، د/ سعد أبو رضا . ص : 89 .

إنكاره من جهة ثانية ، الأمر الذي أتاح للباحث التصرف في الكلام وبناء الجملة وفق ما تقتضيه هذه الأوضاع الثلاثة بحسب درجة حال المتلقي شكا وإنكارا وترددا ، وفي هذا الصدد يروى عن الجاحظ أن الكندي سأل المبرد ((فقال له: إنكم تقولون عبدُ الله قائمٌ ، وإن عبدَ الله قائمٌ ، وإن عبدَ الله لقائمٌ والمعنى واحد . فإذا المبرد يفكر ويجيب عليه قائلا : كلا ، ليس المعنى هنا واحدا لأن عبدَ الله قائمٌ إخبار عن قيامه ، أما إن عبدَ الله قائمٌ جواب لسائل وأما إن عبدَ الله لقائمٌ فهي جواب لمنكر ، فأدرك الكندي ما بين التعبيرات الثلاثة من فروق)) (1)

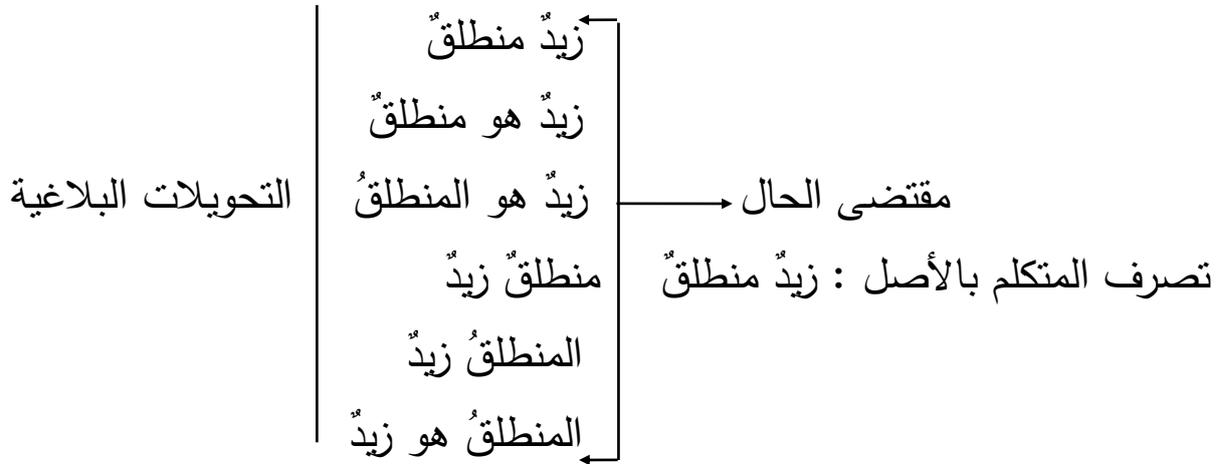
والملاحظ أن حديث المبرد (ت : 286 هـ) عن هذه الأنماط من الجمل يصب في صميم العملية التواصلية ، وله صلة وثيقة بالجملة التحويلية التي تناولها تشومسكي بالدراسة والتحليل في ما يعرف باللسانيات التوليدية التحويلية ، ولقد كان للجرجاني من جهته رأي في هذه المسألة حيث لم يفته أن أثار قضية ((تصرف المتكلم في الكلام بحيث ينقله من وجه إلى وجه ابتداء من أصل وهو أقل هذه الوجوه لفظا ومعنى أي ما ليس فيه زيادة إطلاقا، وهذا الأصل بالنسبة للخبر " في مثاله السابق " هو المبتدأ والخبر مجردين من كل زيادة وبالترتيب الأصلي المذكور)) (2) إلا أن تصرف المتكلم في الكلام انطلاقا من هذه النواة يكون ((حسب ما تقتضيه أو تجيزه مقاييس النحو ، ولكل واحد من هذه الوجوه الجائزة دلالة زيادة على دلالتها الوضعية الأصلية ومجموع هذه الدلالات الفرعية تكون وضعا ثانيا غير الوضع الأول ، ويمكن أن نسميه " بالوضع البلاغي " Expressive code ، ثم إن هذه الدلالات هي التي تستلزم حال الخطاب

(1) . عن في البنية والدلالة رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية ، د/ سعد أبو رضا . ص : 91

(2) . التحليل العلمي للنصوص : بين علم الأسلوب وعلم الدلالة والبلاغة العربية ، د/ عبد الرحمن

الحاج صالح . ص : 12 .

بما فيها أغراض المتكلم وهو الذي يسميه المتأخرون بمقتضى الحال ، ومثل ذلك :



فلكل واحد من هذه الوجوه مزية دلالية " نكتة بلاغية عند بعضهم " وذلك كاستعمال فعل " ينطلق " عوض الاسم " منطلق " فالفعل كما يقول البلاغيون يدل على التجديد بخلاف الاسم الذي يدل على الثبوت، وكذلك التعريف في "المنطلق" ففيه معنى الحصر، أما إذا قدم الخبر ففيه معنى التوكيد كما هو معروف بالنسبة للفظ المقدم ، فاختيار أحد هذه الوجوه أو توخيه كما يقول الجرجاني هو سلوك يتعلق بالبلاغة لا بتطبيق المقاييس النحوية في ذاتها. (((1)

وهذا بالفعل ما التفتت إليه المدارس الحديثة وفي مقدمتها المدرسة الوظيفية التي أولت عناية خاصة بما يسمى الترتيب المفرداتي (2) بحيث ((تكون لكل عنصر أساسي في الجملة مساهمة دلالية حسب دوره الديناميكي الذي يلعبه في عملية الاتصال.)) (3)

(1) . التحليل العلمي للنصوص : بين علم الأسلوب وعلم الدلالة والبلاغة العربية ، د/ عبد الرحمن

الحاج صالح . ص : 13

. ينظر دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني . ص : 183 .

(2) . ينظر اللسانيات النشأة والتطور ، أحمد مومن . ص : 140

(3) . اللسانيات النشأة والتطور ، أحمد مومن . ص : 140

أما الجملة الفعلية فهي وإن كانت في الأصل تفيد التجدد والحدوث في زمن معين مع الاختصار حيث يشكل الفعل ((النواة الدافعة للحركة المتجددة المتوخاة من الأحداث في الواقع اللغوي)) (1) و تحمل خبرا ابتدائيا لا يحتمل الشك ، فإنه ينطبق عليها ما ينطبق على الجملة الاسمية من تحويلات كالتقديم والتأخير ، الزيادة الحذف وما إلى ذلك من طرق التحويل التي يلجأ إليها المرسل بحسب مقتضى الحال .

(1) . المكون الدلالي للفعل في اللسان العربي ، أحمد حساني . ص : 33 .
ينظر دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني . ص : 174 .

الباب الأول : اللغة والتواصل

الفصل الأول : اللغة في ضوء المنهج التوليدي والتحويلي

- . مفهوم اللغة .
- . مبادئ وأسس المنهج التوليدي التحويلي .
- . مفهوم النحو الكلي .
- . جذور ومقومات المنهج التوليدي التحويلي .
- . مفهوم الكلمة .
- . مفهوم الفونيم .
- . مفهوم الفون .
- . مفهوم المورفيم .
- . السوابق .
- . اللواحق .
- . المحدد .
- . مفهوم النحو عند تشومسكي .
- . مفهوم الإسناد .
- . عناصر التحويل في النحو التوليدي التحويلي .
- . البنية السطحية والبنية العميقة .
- . المركب الاسمي .
- . المركب الفعلي .

مفهوم اللغة :

ترتبط اللغة ((بصورة وثيقة بالإنسان وبيئته وتستتب أهميتها في كونها الوسيلة التي يحتاج إليها الإنسان لإتمام عملية التواصل بينه وبين أفراد بيئته ، والتي تتيح له بصورة طبيعية أن يعبر عن آرائه وأحاسيسه محققا بذلك ذاته في المجتمع الذي يعيش فيه)) (1) اللغة من منظور المنهج التوليدي ((مجموعة محدودة أو غير محدودة من الجمل ، كل جملة مؤلفة من مجموعة محدودة من العناصر ، وكل اللغات الطبيعية في شكلها المنطوق والمكتوب هي لغات بهذا المعنى ، لأن كل لغة تحتوي في أبجديتها على عدد متناه أو محدود من الفونيمات" أو الحروف" ومع هذا، فإن عدد الجمل غير متناه)) (2) ، وهي ذات أهمية بالغة لأسباب الآتية إذ يبدو : ((أن اللغة واحدة من الخصائص المقصورة على النوع الإنساني في مكوناتها الأساسية وهي جزء من إعدادنا الإحيائي المشترك shared biological endowment الذي لا يختلف فيه أعضاء النوع الإنساني إلا قليلا، مع استثناء من يصاب بعيب عضوي شديد. يضاف إلى ذلك أن اللغة تدخل بطريقة جوهرية في الفكر والفعل والعلاقات الاجتماعية. وأخيرا فاللغة موضوع تسهل دراسته ، وهي تختلف كثيرا في هذا عن بعض الموضوعات الأخرى التي نود أن يكون باستطاعتنا دراستها كالقدرة على حل المشكلات والإبداع الفني وغيرهما من مظاهر حياة الإنسان ونشاطه.)) (3)

(1) . الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية " النظرية الألسنية " ، د/ ميشال زكريا . ص : 25

(2) - syntactic structures; Noam Chomsky ; Mouton de Gruyter formerly Mouton , the Hague first edition published in 1957 – p : 13

(3) . اللغة ومشكلة المعرفة ، نعوم تشومسكي ، تج د/ حمزة بن قبلان المريني

ويحد تشومسكي من أثر البيئة في اكتساب الإنسان للغة حيث يرجع الأثر الأكبر في ذلك إلى ما يسميه الملكة الفطرية إذ يقول : ((غير أنه لا شطط ، فيما يبدو ، أن نتكهن بأن النظام الذي اكتسبه الطفل مدينٌ بشيء كثير لمملكةٍ إنسانية فطرية مّا . ولا شك بأن للبيئة دوراً تقوم به في هذا الصدد ، كما هي الحال في اللغة والإبصار وغيرهما . وهذا ما يفسّر التنوعات في هذه الأحكام بين الحضارات والأفراد . لكنّ المؤكّد أن هناك أساساً مشتركاً مغروساً في طبيعتنا)) (1) ، ومن هنا فهو ينفي أن تكون اللغة مجموعة عادات كلامية ، فهي عنده ((نظامٌ معقّد من نوع مخصوص يتمييز بخصائص محددة محكومة بطبيعة العقل / الدماغ / وتحدّد هذه اللغة من ثمّ ، ظواهر متعددة محتملة ، فهي تحدّد البنية لتعبيرات لغوية متعددة تتجاوز بشكل كبير أية تجربة . فإذا ما كانت اللغة المكتسبة هي الأسبانية فسيحدّد النظام المعرفي الذي اكتسبه ليست كلمةً أسبانية ممكنة ، وكذلك الأمر في العربية ، أما في strid الطفل أن الإنجليزية فهي كلمة ممكنة .)) (2)

ترتبط اللغة عند تشومسكي كما هو الحال عند عبد القاهر الجرجاني بالعقل ، إذ غالباً ما يربط في تعريفه لها بالإدراك حيث يرى أنه ((توجد في حالة اللغة ملكةٌ خاصة تُعدُّ عنصراً رئيساً من عناصر العقل الإنساني . وتعمل هذه الملكة بسرعة وبصورة محدّدة ، كما أنها غير شعورية وتقع خارج حدود الوعي وبشكل لا يختلف فيه أعضاء النوع وتنتج نظاماً معرفياً غنياً ومعقّداً ، أي لغةً بعينها .)) (3) تعد الملكة اللغوية جزءاً من أجزاء العقل أي الدماغ الإنساني ، وهو ((نظام

-
- (1) . اللغة ومشكلة المعرفة ، نعوم تشومسكي ، تج د/حمزة بن قبالان المريني www.atida.org
- (2) . اللغة ومشكلة المعرفة ، نعوم تشومسكي ، تج د/حمزة بن قبالان المريني www.atida.org
- (3) . اللغة ومشكلة المعرفة ، نعوم تشومسكي ، تج د/حمزة بن قبالان المريني www.atida.org

معقد يدخل في تركيبه أجزاء متفاعلة متعددة ، أحدها الجزء الذي يمكن أن نسميه بالملكة اللغوية. ويبدو أن هذا النظام الفريد في خصائصه الأساسية مقصور على النوع الإنساني وعام في أعضائه. وإذا ما قُدمت إلى هذه الملكة اللغوية المادة اللغوية الأولية فستُحدّد اللغة التي ستكتسب ، أي ، اللغة الأسبانية أو الإنجليزية .. الخ. وسوف تحدّد هذه اللغة عددًا كبيرًا من الظواهر المحتمل وجودها مما يتجاوز بشكل كبير المادة

اللغوية التي قُدمت أولًا (((1) ، بمعنى آخر أن الملكة اللغوية قادرة ((على إنتاج لغة غنية ومفصلة جدًا ومعقدة على أساس من مادة لغوية قليلة. وتتغلغل اللغة التي تنمو بهذه الكيفية، وهو نمو محكوم أساسًا بطبيعتها العضوية المشتركة، في تفكيرنا وفهمنا وتكوّن جزءًا أساسيًا من طبيعتنا.)) (2)

ومن هنا يمكن القول إن نمو الملكة اللغوية مرتبط بشكل وثيق بنمو العقل لأن ما ((يحدث في النمو العقلي يُشبه ما يحدث في النمو العضوي)) (3) . ويمكن أن نتصور ذلك على النحو الآتي الذي نستشف من خلاله نمو الملكة اللغوية التي تمكن الإنسان من ناصية اللغة ((الملكة اللغوية الأولية ← الملكة اللغوية ← اللغة ← التغيرات المركبة)) (3) حيث ينتقل المتعلم في لغة ما من مرحلة الكلمات إلى مرحلة الجمل المركبة لأن ((إذا تعرّف العقل الكلمات ، فإنه يستعمل من ثم مبادئ البنية المركبية .)) (4)

وفي أثناء حديثه عن مفهوم اللغة يركز تشومسكي على ما يسميه بـ " إبداعية اللغة " ، فهي لا يراد بها ((استعمال اللغة الذي له قيمة جمالية حقيقية ، أي ذلك الذي نسميه

-
- (1) . اللغة ومشكلة المعرفة ، نعوم تشومسكي ، تج د / حمزة بن قبالن المريني www.atida.org
- (2) . اللغة ومشكلة المعرفة ، نعوم تشومسكي ، تج د / حمزة بن قبالن المريني www.atida.org
- (3) . اللغة ومشكلة المعرفة ، نعوم تشومسكي ، تج د / حمزة بن قبالن المريني www.atida.org
- (4) . اللغة ومشكلة المعرفة ، نعوم تشومسكي ، تج د / حمزة بن قبالن المريني www.atida.org

إبداعاً حقيقياً، كما يتمثل في شعر شاعر مُجيد أو روائي أو كاتب موهوب (((1) ،
 وإنما ((الاستعمال العادي اليومي للغة بما يصاحبه من خصائصها المميزة كالجدة
 والحرية في تحكّم المثيرات الخارجية أو الحالات الداخلية والانسجام وملاءمة المقامات
 وقدرته على إثارة الأفكار الملائمة لدى السامع)) (2)
 والجدير بالإشارة أن هذه الإبداعية ((لا تنحصر فقط في الأعمال الخلاقة في مجال
 الإبداع اللغوي أو الأدبي ، ففي الواقع كل إنسان يتكلم لغة ما قادر على أن ينتج جملاً
 متجددة لم يسبق له سماعها من قبل ، واستعماله لغته في مختلف المجالات التواصلية
 اليومية ، هو في الحقيقة استعمال إبداعي في ظل مفاهيم الألسنية التوليدية والتحويلية.
)) (3)

من خلال ما سبق نتبين أن المقصود بالإبداعية عند تشومسكي هو القدرة على
 الممارسة الفعلية للغة في الواقع المعيش أي في الكلام ، وليس المراد بها الخلق في
 المجال الفني والأدبي الذي يقوم على الصور والأخيلة وإن كانت اللغة غير الأدبية هي
 الأخرى لا تخلو من سمات التصوير الفني فالإبداعية إذاً ((ترتبط بصفة أساسية بتنظيم
 قوانين لغوية يتيح لمن يدركه أن ينتج بواسطته الجمل غير المتناهية وأن يفهم أيضاً
 بموجب التنظيم نفسه الجمل التي ينتجها الآخرون، والجدير بالتنبيه هنا أن عدد قوانين
 هذا التنظيم محدود ، ومع هذا ينتج هذا التنظيم المحدودة قوانينه وعلى أوسع نطاق
 عدداً غير محدود من الجمل.)) (4)

(1) . اللغة ومشكلة المعرفة ، نعوم تشومسكي ، تج ، د / حمزة بن قبلان المريني www.atida.org

(2) . الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية " النظرية الألسنية ، د/ ميشال زكريا . ص: 16

(3) . اللغة ومشكلة المعرفة ، نعوم تشومسكي ، تج ، د / حمزة بن قبلان المريني www.atida.org (4) .

الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية النظرية الألسنية ، د/ ميشال زكريا . ص : 30

فمن خلال تمكن الفرد من هذا التنظيم وقواعده وأساسه وقوانينه والإحاطة بها وممارستها في محيطه يكتسب هذا الأخير القدرة على الأداء أو ما يسميه تشومسكي بالكفاءة التواصلية التي تتمثل في إنتاج الجمل في تعامله مع الآخرين بحسب ما يفرضه الموقف التواصلية .

يبدو ارتباط اللغة بالعقل عند تشومسكي في جانبين ((أحدهما جانب الإدراك والآخر جانب الإنتاج . فنحن نأمل أن نعرف كيف يستخدم الناس الذين اكتسبوا اللغة معرفتهم في فهم ما يسمعون وفي التعبير عن أفكارهم . ولقد تحدثت في هذه المحاضرات عن جانب الإدراك لكنني لم أتناول بعد جانب الإنتاج وهو ما أسميه بمشكلة ديكرت ، أي المشكلة التي تنشأ عن المظهر الإبداعي لاستعمال اللغة ، وهو مظهر عادي ومعروف لكنه ظاهرة فريدة . فيوجب أن يفهم إنسان ما تعبيراً لغوياً معيناً أن يتعرف عقله / دماغه الشكل الصوتي لهذا التعبير ، والكلمات التي يتكون منها ، وأن يستعمل من ثم مبادئ النحو الكلي وقيم المتغيرات لكي يسقط project له تمثيلاً بنيوياً ويحدد الكيفية التي تربط بها أجزاؤه.)) (1)

عرج تشومسكي على وظائف اللغة حيث يقول : ((إن الهدف الأصلي للغة هو " عملية الاتصال كما يقال . غالباً . أخيراً ... إن اللغة تستعمل في طرق مختلفة عديدة ، يمكن أن تستعمل في نقل المعلومات لكنها ، كذلك ، تخدم أهدافاً عديدة أخرى تقوم بتأسيس الروابط بين الناس ، للتعبير عن الفكر أو توضيحه ، للممارسة لتوليد النشاط العقلي ، لتحصيل الفهم وغير ذلك ...)) (2)

. مفهوم النحو الكلي :

لقد أسهب تشومسكي في الحديث عن النحو الكلي الذي يتمثل في ((صياغة

(1) . اللغة ومشكلة المعرفة ، نعوم تشومسكي ، تج د / حمزة بن قبلان المريني www.atida.org

(2) . اللغة والمسؤولية ، نعوم تشومسكي ، تج د / حسام البهنساوي ، مكتبة زهراء الشرق القاهرة ،

نظرية عن المبادئ الثابتة غير المتغيرة التي تكوّن الملكة اللغوية الإنسانية ، وعن متغيرات التنوع المقترنة بهذه المبادئ . وبإمكاننا بعد ذلك أن نشقّ اللغات المعيّنة بوضع هذه المتغيرات في وضع معين أو آخر . يضاف إلى ذلك أنه إذا أُعطينا المعجم ، وهو الذي يتوافق أيضاً مع مبادئ النحو الكلي وكانت المتغيرات موضوعة في وضع محدد فسيكون بإمكاننا أن نفسّر لماذا كان للجمل في هذه اللغات الأشكال والمعاني التي هي عليها ، وذلك باشتقاقنا تمثيلات البنيوية من مبادئ النحو الكلي . ((1))

يقوم النحو الكلي ((بتفسير حالة الملكة اللغوية قبل أن تقدّم لها أية مادة من التجربة initial state of language faculty . ومما يشتمل عليه النحو الكلي ، مثلاً ، مبدأ أنّ القواعد معتمدة على البنية ، وأن الضمير لا بد أن يكون حرّاً في مجاله ، وعدم التناظر بين الفاعل والمفعول ، وكذلك المبادئ التي ذكرنا بعضها في المحاضرة الماضية ، وهكذا . ويُعطي النحو الكلي تفسيراً جوهرياً للظواهر الملاحظة . فيمكننا بواسطة مبادئه أن نستنتج أنه لا بد أن تكون الظواهر على شكل معين بدل أن تكون على شكل معين آخر نتيجة للمادة الأولية التي قدّمت للملكة اللغوية التي تستعمل هذه المادة في إنجاز الحالة الراهنة التي هي عليها .)) (2)

تعتبر نظرية النحو الكلي مرحلة متطورة من مراحل النظرية التوليدية التحويلية التي جاءت من ثمار الأعمال والبحوث والدراسات ، التي تركزت على مقولة وحدة التركيبات الجينية لعقول البشر جميعاً ((3)) . وبموجب هذه النظرية تحول ((الهدف الرئيسي

(1) . اللغة ومشكلة المعرفة ، نعوم تشومسكي ، تج د / حمزة بن قبلان المريني www.atida.org

(2) . اللغة ومشكلة المعرفة ، نعوم تشومسكي ، تج د / حمزة بن قبلان المريني www.atida.org

(3) . نظرية النحو الكلي والتركيب اللغوية العربية " دراسة تطبيقية " ، د / حسام البهنساوي ، مكتبة

في الدراسات اللغوية من مجرد الوصف للغة المجسدة " المنطوقة " إلى محاولة التفسير للملكة اللغوية عند الإنسان التي تسمى باللغة المبنية داخليا في عقول البشر . (1) .
تعتمد هذه النظرية ((في قواعدها العامة ، على أفكار عامة في اللغات الإنسانية منها : الموضوع والمحمول والمسند والمسند إليه ، وغيرها من الخصائص العالمية للغات الإنسانية.)) (2)

يبدو أن حديث تشومسكي عن النحو الكلي مستمد من نحو بول رويال الذي نادى ودعا ابتداءً من 1660 م إلى ((إحياء القواعد الكلية Universal – grammar)) (3) ، كما استثمر في المجال نفسه جهود سابقه كما سنرى لاحقاً في بلورة هذا النحو والتأسيس للمنهج التوليدي والتحويلي الذي ارتبط باسمه ولا ينازعه فيه أحد ، يتيح النحو الكلي ((عدداً من المقولات التي تَدْخُل تحتها الألفاظ المعجمية، وهي أساساً أربعة : الأفعال (ف) ، والأسماء (س) ، والصفات (ص) ، وحروف المعاني (ح) (سواء أكانت سابقة أم لاحقة لعباراتٍ فضلتها) . وقد يكون لهذه المقولات تركيب داخلي ، وهو أمر سنتجاهله هنا، وتَدْخُل عناصرُ المعجم الأساسية في إطار هذه المقولات الأربع، وإن كان هناك مقولات أخرى إلى جانبها . ويعطي النحو الكلي لكل واحدة من هذه المقولات الأربع الأساسية إسقاطاً Projection تحنلُ فيه هذه المقولة موضع الرأس : أي المركب الفعلي (م ب) ، والمركب الاسمي (م س) والمركب الوصفي (م ص) ، المركب الحرفي (م ح))) (4) ، وهذا ما سأعرض له بشيء من التفصيل في أثناء حديثي

(1) . نظرية النحو الكلي والتراكيب اللغوية العربية " دراسة تطبيقية " ، د / حسام البهنساوي . ص : 61

(2) . نظرية النحو الكلي والتراكيب اللغوية العربية " دراسة تطبيقية " ، د / حسام البهنساوي . ص : 62

(3) . اللسانيات النشأة والتطور ، أحمد مومن . ص : 203

(4) . اللغة ومشكلة المعرفة ، نعوم تشومسكي ، تج د / حمزة بن قبلان المريني www.atida.org

عن المركب الاسمي (م . ا) والمركب الفعلي (م . ف) والمركب الوصفي (م . و) والمركب الحرفي (م . ح) (1) ، ومن الأمثلة التي ساقها تشومسكي للتوضيح العبارات الآتية :

تعد مبادئ النحو الكلي ((جزءٌ من البنية الثابتة في العقل / الدماغ / ويمكن أن يُفترض أن مثل هذه المبادئ تعمل بشكل فوري خالص ، وبما أن تحليل الجملة يعتمد على هذه المبادئ ، فلا بد أن يكون فهمها مماثلاً في سرعته للسرعة التي يتعرّف بها المفردات . ويبدو أن هذا ما يحدث فعلاً ، وهي حقيقة توحى بأننا على الجادة الصحيحة حين نرجع المكون المتعلم من اللغة إلى المعجم وإلى اختيار القيم لعدد محدود من المتغيرات.)) (2)

. مبادئ وأسس المنهج التوليدي التحويلي :

عرفت الدراسات اللغوية واللسانية في النصف الأخير من القرن الحالي تطوراً مذهلاً حيث تفرعت العلوم وتشعبت لدرجة أن أضحى من العسير على الباحثين والطلبة على حد سواء الإلمام والإحاطة بما جد من قضايا في مختلف فروع اللغة ويأتي في مقدمة العوامل التي عجلت بالتطور الحاصل في الحقل اللغوي واللساني اهتمام العلماء المتزايد بهذا الجانب ، وتعدد المدارس اللغوية واللسانية التي أدت بدورها إلى تعدد المناهج وتباينها في المنطلق الأسس ، المقومات والأهداف .

ولعل من أبرز هذه المناهج اللغوية واللسانية التي كان لها من الأثر الإيجابي ما أخرج الدراسات اللغوية من الإطار الوصفي التجريبي القياسي Inductive الذي تبناه

(1) . ينظر هذه الرسالة . ص : 114 وما بعدها

(2) . اللغة ومشكلة المعرفة ، نعوم تشومسكي ، تج د / حمزة بن قبلان المريني www.atida.org

بلومفيلد وأتباعه (1) المنهج التوليدي التحويلي الذي يقوم حسب زعيمه تشومسكي على عدة مبادئ منها :

1. مبدأ ((منطق الاستنباط Deductive)) (2) ، ومن هنا فقد اعتمد فيه على ((المنطق الرمزي Symbolic Logic واستخدمه في استنباط قواعد لسانية عامة)) (3) وفي هذا الإطار يعتبر تشومسكي المادة اللسانية ((وسيلة لا غاية في ذاتها، فهي وسيلة إلى الوصول إلى التعرف على العقل البشري وكيف يعمل أنه ما دام العقل البشري هو مصدر التفكير ومصدر القواعد اللسانية المستظهرة التي يجيدها كل مولود في لسانه فلا بد من التعرف على طريقة اكتساب هذا العقل للمعلومات)) (4) بمعنى أن ((دراسة الألسنة هي وسيلة لدراسة الفكر الإنساني)) (5) إن تشومسكي وإن كان لا ينكر تعامل الألسنية مع علم المنطق فإن هذا التعامل كما يرى ((يتم فقط في استعمال قضاياها ، على الصعيد المنهجي ، وفقا لمتطلبات بناء النظرية الألسنية ، فالألسني يضع الأنموذج اللغوي الذي يشير إلى عمل اللغة الإنسانية فقط ، بهدف وصف السلوك الكلامي وتحليله)) (6)

2. مبدأ الإلهام Intuition :

يعد هذا مبدأ البداهة Commonsense من ((المفاهيم التقنوية المتنوعة ، التي

(1). ينظر أئمة النحاة في التاريخ ، د/ محمد محمود غالي ، دار الشروق جدة ، ط1 ، 1976 . ص 10 .

(2) . أئمة النحاة في التاريخ ، د/ محمد محمود غالي . ص : 10

(3) . أئمة النحاة في التاريخ ، د/ محمد محمود غالي . ص : 13

(4) . أئمة النحاة في التاريخ ، د/ محمد محمود غالي . ص : 10

(5) . أئمة النحاة في التاريخ ، د/ محمد محمود غالي . ص : 14

(6) . الألسنة التوليديّة والتحويلية وقواعد اللغة العربية " النظرية الألسنية ، د/ ميشال زكريا . ص : 10

اقترحت بهدف تطوير علم حقيقي للغة يسمى المداخل العلمية إلى اللغة Approaches scientific كما أن للمفهوم البدهي للغة في المقام الأول بعدا أساسيا اجتماعيا حاسما كما أن لعنصر البدهية في اللغة عنصرا غائيا معياريا قد تم إقصاؤه من المداخل العلمية وأن الدراسات اللغوية الحديثة بصورة عامة تتجنب هذه القضايا (((1) ، وانطلاقا من هنا فقد ((تحول مركز الاهتمام من اللغة المجسدة إلى اللغة المبنية داخليا ، أي من دراسة اللغة التي تعد موضوعا مجسدا إلى دراسة نظام معرفة اللغة المحصلة والممثلة داخليا في العقل)) (2) . وبعبارة أخرى ((فإن اللسان كغيره من المعلومات البشرية ومضات إلهام في الأزل يصل إليها العقل الإنساني في هذه الحياة عن طريق الإلهام)) (3) ، نافيا أن يكون للبيئة أو المحيط دور في اكتساب الإنسان للغته لأن تحصيل هذا الأخير للسانه ((كتحصيل المعلومات الإنسانية المختلفة إلهامية لا يستظهرها بين ما يستظهر ممن حوله من الأسرة والعشيرة بل هو تحصيل سابق في الأزل)) (4) ، وهذا ما يضيفي الصبغة العقلية على منهجه على غرار ما نجد عند ((أفلاطون و ديكارت وهمبولت الذين يعتقدون أن العقل في ذاته مصدر كل معرفة وهو أسمى من الحواس ومستقل عنها ، وأن هناك متصورات وقضايا مسبقة مكتسبة دون تجربة يقوم العقل من خلالها بتفسير معطيات التجربة)) (5)

3. مبدأ التوليد Generative :

يعرف تشومسكي القواعد التوليدية بأنها تلك القواعد ((المستمدة من القدرة

- (1) . اللغة والمسؤولية ، نعوم تشومسكي ، تج د / حسام البهنساوي . ص : 68
- (2) . اللغة والمسؤولية ، نعوم تشومسكي ، تج د / حسام البهنساوي . ص : 69
- (3) . الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية " النظرية الألسنية، د/ ميشال زكريا . ص : 15
- (4) . الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية " النظرية الألسنية، د/ ميشال زكريا . ص : 13
- (5) . اللسانيات النشأة والتطور ، أحمد مومن . ص : 204

من القدرة الإبداعية لدى المتكلم، متكلم اللغة المعنية (((1) ، وهو يحاول تشومسكي من خلال هذا المبدأ كما يقول محمد محمود غالي الوصول إلى ((القواعد البديهية Intuitive التي يستعمل بمقتضاها صاحب اللسان لسانه الذي ولد فيه ، وهو بهذا يرى أن كل صاحب اللسان الذي ولد فيه يجيد الحديث به واستظهار قواعده دون تلقين من مدرسة أو معلم)) (2) ، ويراد به عنده من جهة أخرى ((الجانب الإبداعي في اللغة أي القدرة التي يمتلكها كل إنسان لتكوين وفهم عدد لا متناه من الجمل في لغته الأم بما فيها الجمل التي لم يسمعها من قبل وكل هذا يصدر عن الإنسان بطريقة طبيعية دون شعور منه بتطبيق قواعد نحوية معينة)) (3) ، بمعنى أن الإنسان يمتلك قدرة إبداعية تمكنه من خلال اتباع قواعد نحوية تكوين كل الجمل الممكنة في اللغة (4) ، وهذا ما سأوضحه لاحقاً عن طريق التمثيل .

4. مبدأ التحويل Transformation :

يرى تشومسكي أن التحويل ((قانون بين نظام من القوانين ، يقوم بتعيين الوصف التركيبي لقسم من الجمل المحددة في الاشتقاق من جملة خاصة . فالقانون التحويلي قادر على تمثيل تجريدي لهذه الجملة، وكذلك تحويلها إلى تمثيل تجريدي آخر ، فالتمثيل الأساسي هو ما يدعى " البنية العميقة " التي تتحول خطوة بعد خطوة إلى التركيب النهائي ، أو البنية السطحية في إطار العمل في القواعد التوليدية.)) (5) يقوم هذا المبدأ على ((تحويل جملة إلى أخرى متى تقاربت معانيها ، وإن

(1) . اللغة والمسؤولية ، نعمو تشومسكي ، تج د/ حسام البهنساوي . ص : 43

(2) . أئمة النحاة في التاريخ ، د/ محمد محمود غالي . ص : 09 .

(3) . اللسانيات النشأة والتطور ، أحمد مومن . ص : 206 .

(4) . ينظر اللسانيات النشأة والتطور ، أحمد مومن . ص : 206 .

(5) . اللغة والمسؤولية ، نعموم تشومسكي ، تج د/ حسام البهنساوي . ص : 46

اختلفت مبادئها ، فعبارة " كُتِبَ الدرس " مثلا تعتبر تحويلا للعبارة المشابهة معنى المخالفة مبنى ، وهي " كتب الولد الدرس " ، وهناك قواعد متكاملة وضعها تشومسكي وأتباعه لتحويل الجمل من معلوم إلى مجهول ومن تقرير إلى استفهام أو نفي ، وما شابه ذلك خاصة في الإنجليزية (((1) ، وعليه فالتحويل كما يرى هذا الأخير هو الذي ((يكشف لنا بطريقة جلية كيف تتحول الجملة النواة إلى عدد من الجمل المحولة وأتى بجملة من القواعد التحويلية التي قد تكون وجوبية Obligatory أو جوازية Optional منها :

الاستفهام والنفي والأمر والمجهول والعطف والدمج والاتباع والزمان والملحقات والحدود الفاصلة Boundaries ... إلخ ، وبشكل عام فإن الطريقة المتبعة هي أنه بعد تطبيق القواعد المركبية Phrase structure grammar تطبق مباشرة القواعد التحويلية Transformational rules على السلسلة النهائية Terminal string لتشكيل الجمل المرادة (((2)

وقد توصل تشومسكي إلى هذا المنهج الذي يقوم على هذه المبادئ من خلال دراسته للغة الإنجليزية التي لفت انتباهه فيها تعدد المعاني لتكوين لساني واحد (3) ومن هنا ربط هذا الأخير بين النحو والمعنى اللذين أصبحا معا ((موضع الاهتمام الأول لدراسته (((4) ، والملاحظ أنه وعن طريق عناصر التحويل التي حددها تشومسكي والمتمثلة في الزيادة ، الحذف ، الترتيب ، الإضمار الإحلال.. إلخ يمكن الوقوف على البنية السطحية والبنية العميقة ، وهو ما سأبينه لاحقا مع التمثيل

(1) . أئمة النحاة في التاريخ ، د/ محمد محمود غالي . ص : 09 .

. ينظر قواعد تحويلية للغة العربية ، الخولي محمد علي ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، ط1

1981 . ص : 21

(2) . اللسانيات النشأة والتطور ، أحمد مومن . ص : 207 .

(3) . ينظر أئمة النحاة في التاريخ ، د/ محمد محمود غالي . ص : 13 .

(4) . أئمة النحاة في التاريخ ، د/ محمد محمود غالي . ص : 13

5. مبدأ الإسقاط :

اللغة في المنهج التوليدي والتحليلي أداة للتواصل ، ولا تواصل إلا بالجملة ، وللوقوف على دلالة الجملة يتعين اعتماد مبدأ الإسقاط لمركبات الجملة ، ويعد مبدأ الإسقاط ((مبدأ عامًا قويًا في النحو الكلي ، وهو المبدأ الذي يوجب المحافظة على خصائص كل وحدة معجمية في مستويات التمثيل كلها ... وهو مبدأ يشهد لوجوده عدد كبير من الأدلة المتنوعة، أن خصائص الفعل لا بد أن تتمثل في المستويات كلها. وأهم خصيصة معجمية لهذا الفعل أنه فعلٌ متعدٌ يتطلب مفعولاً.. لنفترض الآن أن النحو الكلي يحوي مبدأً يقول بأن أي عنصر ينتقل من مكانه لا بد أن يترك في ذلك المكان أثرًا، وهو مقولة ليس لها خصائص صوتية وتتعلق بالعنصر المنقول بصورة تشبه الضمائر المربوطة.)) (1) ، حيث إذا ما ((تصور وجود عنصر في موقع معين فإنه حينئذ في مكان ما في التمثيل التركيبي ، إما كمقولة ظاهرة ، يعبر عنها صوتيًا وإما كمقولة فارغة ، لا يتحدد لها أي شكل صوتي " وإن كان وجودها يؤثر على الشكل الصوتي " ويمكننا التمثيل لذلك في اللغة العربية بالمثالين الآتيين :

1 . الرجل الذي " قابلته " حيث الضمير : الهاء في المركب الفعلي " قابله " يحتل موقع المفعول به ، باعتباره ضميرًا ظاهرًا " مقولة ظاهرة يعبر عنها صوتيًا)) (2) وتعرف قواعد الإسقاط بأنها تلك ((التي تربط بين الكلمات وبين البنى التركيبية ، وتناسب هذه التسمية واقع التفسير الدلالي، لأن قواعد الدلالة تسقط المعنى على بنية معينة . يحتوي المكون الدلالي إذاً على المعجم أو اللائحة بمفردات اللغة وعلى

(1) . اللغة ومشكلة المعرفة ، نعوم تشومسكي ، تج د /حمزة بن قبلان المريني www.atida.org

(2) . نظرية النحو الكلي والتراكيب اللغوية العربية " دراسة تطبيقية ، د/ حسام البهنساوي . ص : 23

قواعد إسقاطية التي تشكل قدرة المتكلم على استدلال معنى الجمل من خلال معنى المفردات (((1) بمعنى أن قواعد الإسقاط ((تقوم بتعداد القراءات التي تستند إلى مختلف مفردات الجملة وبتوضيحها ، وذلك على ضوء البنية العميقة التركيبية والمشيرات الدلالية العائدة لكل من مؤلفات هذه البنية ، فهذه القواعد تقرر بين المفردات المعجمية وبين البنية التركيبية (((2) ، لأن ((الأنموذج التوليدي والتحويلي يستند على فرضية تنص على أن المتكلم يفسر الجملة على نحو تركيبى بحيث يرتبط معنى المؤلف المركب بمعاني عناصره فمعنى الجملة يتم عبر معاني المؤلفات النهائية في المشير الركني وذلك من خلال الجمع بين هذه المعاني بواسطة قواعد الإسقاط ووفقا للعلاقات القائمة في المشير الركني (((3) ، ويقوم هذا المبدأ على قواعد تفرع ومعجم يتم من خلالهما تحديد وحدات الجملة وجنس ودلالة كل منها ليتم في الأخير الوقوف على المعنى النهائي للجملة من خلال ما يسمى بالبنية العميقة ، وهذا ما سيتم توضيحه لاحقا بنماذج وأمثلة .

7. الكفاية اللغوية :

من أبرز المبادئ التي يركز عليها المنهج التوليدي التحويلي مبدأ الكفاية اللغوية : Competence وهو شرط أساسي في العملية التواصلية ويتمثل على حد رأي تشومسكي في ((المعرفة اللغوية المتعارف عليها بين المتكلم والمستمع والموجودة في الدماغ البشري .)) (4)

(1) . الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية " النظرية الألسنية ، د/ ميشال زكريا . ص :

(2) . الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية ، د/ ميشال زكريا . ص : 21

(3) . الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية ، د/ ميشال زكريا . ص : 22

(4) . قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث ، مازن الوعر ، دار طلاس دمشق ، ط1 ، 1988

1. أثر الدراسات اللغوية الغربية :

يرتبط المنهج التوليدي التحليلي في مقوماته ((بالإطار العام للفكر اللساني منذ عهود الهنود واليونان القدماء ، نستطيع على ضوءه أن نتفحص في إيجاز مقومات المدرسة التحليلية ، فمنذ Panini الهندي وتراكس Thrax اليوناني حتى اليوم ، والدراسات اللسانية تدور حول أمور محددة ، من أهمها :

1. أصوات الألسنة وقواعدها .

2. صرف الألسنة وقواعده .

3. نحو الألسنة وقواعده .

4. طبيعة الألسنة (((1)

وهذا يعني أن المدرسة التحليلية تعود في أصولها إلى التراث اللغوي الغربي القديم حيث نجد ((في كتابات رائد التوليدي تحاليل فلسفة لمصادر المعرفة اليونانية واستلهامه من العقلانية الديكارتية)) (2) . كما استفاد أيضا ((من النتائج التي توصل وانتقدت نقاط ضعفهما . إليها النحو التقليدي والنحو الوصفي ، فأخذت نقاط القوة منهما ولئن كان تشومسكي قد اعترف ببعض جوانب القوة في النحو التقليدي ، فإنه انتقد على الخصوص شكله العام ، وتعريفاته وقواعده الغامضة)) (3)

ولعل أبرز ما يدل على ارتباط هذا المنهج بالنحو التقليدي الغربي أن تشومسكي الذي كان له صدى كبير ((استمد فكرته كما سبقت الإشارة من نحو بول رويال (4) لدى الفلاسفة وعلماء اللغة في القرنين السابع عشر ، والثامن عشر لمحاولته إضفاء

(1) . أئمة النحاة في التاريخ ، د/ محمد محمود غالي . ص : 11

(2) . النحو التوليدي بين العالمين العربي والغربي ، المساوي ، منتدى الجامعة نت www.marocs.net

(3) . اللسانيات النشأة والتطور ، أحمد مومن . ص : 203

(4) . ينظر تأثير النحو العربي في نظرية تشومسكي ، د/ جاسم علي جاسم ، منتدى الإيوان

الأسس المنطقية على النحو العام وهذا سبب في شهرة الكتاب في المنتديات اللغوية المعاصرة رغم أن غاياته التعليمية قد أسيء فهمها أو تم تجاهلها بشكل كبير في المحاولات الحديثة لتصوير الكتاب على أنه مقدمة للنظرية التوليدية الحديثة (((1) كما استثمر من جهة أخرى ((البحوث اللغوية التي ظهرت في القرن الثامن عشر الميلادي والتي كان دي سوسير وبلومفيلد قد حكم عليها بأنها فلسفية وغير علمية)) (2) والجدير بالإشارة أن المنهج التوليدي التحويلي لم يتبلور في شكله النهائي إلا في حدود 1972 م ، ولم يكن في وسع تشومسكي وضع أسس هذه المدرسة الجديدة إلا بعد استثمار جهود سابقه و معاصريه وفي مقدمتهم أستاذه زيلج هاريس الذي ((اتجه اتجاهها مبينا لاتجاه أستاذه بلومفيلد Boommfield وخصوصا ما اعتمده في وصف اللغة من طرائق تحويلية .)) (3) كما نجد من جهة أخرى أن تشومسكي أفاد ((من مدارس لسانية سابقة كالتوزيعية Distributionnalisme ممثلة في ما قدمه هاريس ... وهناك من لا يتوانى في ربط النظرية التوليدية بالبنوية . ويكفي أن نشير في هذا الصدد أن بياجي يطلق على الاتجاه التوليدي " البنوية التحويلية " في إشارة واضحة إلى العلاقة بين الاتجاهين .)) (4)

(1) . أعلام الفكر اللغوي : التقليد الغربي من سقراط إلى سوسير ج 1 ، روي هاريس وتولبت جي تيلر

تج د / أحمد شاكر الكلابي ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط 1 ، ب . ت . ص : 164

(2) . أئمة النحاة في التاريخ ، د/ محمد محمود غالي . ص : 13 .

(3) . النحو التوليدي بين العالمين العربي والغربي ، المساوي ، منتدى الجامعة نت www.marocs.net

(4) . النحو التوليدي بين العالمين العربي والغربي ، المساوي ، منتدى الجامعة نت www.marocs.net

يعود الفضل إلى تشومسكي في إرساء دعائم هذا المنهج حيث عمل على تطوير آراء أستاذه ((إلى أن استطاع أن يحدث لنفسه هذه المدرسة التحليلية الجديدة)) (1) التي أهلته أن يكون ((إماما لحركة لسانية ضخمة في الولايات المتحدة الأمريكية تسمى حركة النحو التحليلي التوليدي (Transformational Generative))) (2) إلا أن هذا المنهج لم يبلغ هذا المستوى من التطور من دون ((الأعمال التي قام بها بعض الباحثين في مجال الدلالة ، وخاصة متبني الدلالة التوليدية من أمثال لاکوف Lakoff وماكولي Makawley وفيلمور Fillmore ويعني ذلك أن التمثيل الدلالي يحدد بواسطة البنية العميقة والبنية السطحية)) (3)

. أثر الدراسات النحوية والبلاغية العربية في المنهج التوليدي :

يمكن أن نقسم أثر الدراسات العربية في هذا المنهج إلى قسمين :

. أثر الدراسات النحوية :

لا ينكر تشومسكي إفادته من التراث اللغوي الغربي الذي لم يكن ليقوم من دون التأثير بالنحو العربي، وهذا من خلال جهود اللغويين اليهود في الأندلس الذين قاموا على حد قول كمال ربحي نقلا عن جاسم علي جاسم ((بكتابة قواعد لغتهم نحويا وصرفيا على هيئة النحو العربي ، ومن ثم ترجم إلى اللغة العبرية واللغات الأوربية على أيدي علماء اللغة اليهود في العصر الأندلسي)) (4)

ومن الطبيعي أن تنتقل هذه ((المعلومات إلى المدرسة الفرنسية في القرن السابع عشر التي كانت تسمى بالبواب العالي Royal port وعلم اللغة المنطقي الديكارتي Cartesian linguistic ، واستفادت هذه المدرسة الفرنسية من النحو العربي ومدارسه والتي تأثر بها

(1) . أئمة النحاة في التاريخ ، د/ محمد محمود غالي . ص : 13 .

(2) . أئمة النحاة في التاريخ ، د/ محمد محمود غالي . ص : 09

(3) . النحو التوليدي بين العالمين العربي والغربي، المساوي ، منتدى الجامعة نت www.marocs.net

(4) . تأثير النحو العربي في نظرية تشومسكي ، د/ جاسم علي جاسم www.iwan7.net

تشومسكي كما يعترف بنفسه بها. (((1) وقد ساهم سلفستر دي ساسي في نقل التراث اللغوي العربي إلى أوروبا من خلال ما ترجمه إلى الفرنسية من كتب النحو والتجويد القديمة. (2) وهو الذي أدرك إدراكا ((لا بأس به مفاهيم ومناهج النحاة العرب ، وأهم شيء اكتسبه هؤلاء من دروس دي ساسي هو اطلاعهم خلال دراستهم للعربية واللغات السامية الأخرى على المفاهيم اللغوية والنحوية العربية (((3) ، مع العلم أن ((اللغة العربية وعلومها من نحو وصرف وبلاغة وغيرها كانت تدرس بشكل رسمي ومعتمد في جامعة باريس في القرن الرابع عشر)) (4) ، هذا القرن الذي لم تتبلور فيه بعد اللغة الفرنسية ونحوها.

وما دام تشومسكي قد أطلع على التراث اللغوي الغربي وأفاد منه ، فليس من المستبعد أن يكون قد استثمر ما ورد فيه من مجهود عربي . كما يقول الخولي محمد علي نقلا عن جاسم علي جاسم . في ((إحياء اللغة الإنجليزية وأحدث زلزاله العربي فيها ، وأعاد بنائها من جديد من خلال الظواهر النحوية العربية الجديدة عليها وذلك من خلال التقديم والتأخير والتأويل الذي لم يعرف في النحو الإنجليزي من قبله وجاء به من البصرة بنبا يقين ، فعمل على زلزلة النحو الإنجليزي القديم ، وطبق عليه الظاهر النحوية العربية عليه ، وسار على منواله كل لغوي العالم تقريبا عربا وغير عرب . (((5)

ويبدو تأثر تشومسكي بالنحاة العرب في تناسق نظريته مع النحو العربي

www.iwan7.net

(1) . تأثير النحو العربي في نظرية تشومسكي ، د/ جاسم علي جاسم

(2) . تأثير الخليل بن أحمد الفراهيدي والجرجاني في نظرية تشومسكي ، منتدى العروض رقميا

www.aarood.com

(3) . تأثير الخليل بن أحمد الفراهيدي والجرجاني في نظرية تشومسكي ، منتدى العروض رقميا

www.aarood.com

(4) . روبنز . ر نقلا عن جاسم علي جاسم : تأثير النحو العربي في نظرية تشومسكي

(5) . تأثير الخليل بن أحمد الفراهيدي والجرجاني في نظرية تشومسكي ، منتدى العروض رقميا

www.aarood.com

وهذا ما تذهب إليه الباحثة صالح حاج يعقوب التي استعرضت ((بعض القواعد النحوية القياسية مما طبق لدى النحاة القدماء منها قضية الأصلية والفرعية وقضية العامل والحذف والزيادة والإبدال ، وتناسقها مع نظرية تشومسكي..)) (1)

ومن هنا يكون تشومسكي قد تأثر بطريقة غير مباشرة بالنحو العربي في بناء نظريته إلا أنه ((لم يشأ أن يذكر أي أثر للنحاة العرب في شيء من هذا مطلقاً)) (2)

وإن كان قد أقر بعمق الفكر العربي في حقل الدلائيات من خلال الرسالة التي بعث بها إلى الباحث المغربي المتوكل الذي كان له حديث مع جاسم علي جاسم ورد فيه قوله : ((ومن خلال حديثي الشخصي مع الباحث الدكتور أستاذ الدلائيات الحديثة في قسم اللغة الفرنسية في جامعة محمد الخامس في الرباط كان قد قال لي : بأنه أرسل رسالة الدكتوراه التي وضعها والتي تدور حول النظرية الدلالية عند العرب القدامى إلى عالم اللسانيات الأمريكي تشومسكي ، وقد علق عليها تشومسكي " في رسالة بعثها إلى الدكتور المتوكل " بأن ما قاله العرب القدماء في حقل اللسانيات يعد فكراً فلسفياً عميقاً ، لا بد من الأخذ به في الفكر الدلالي المعاصر ، وقد وعد تشومسكي المتوكل بأنه سيعتمد هذه النظرية في الأعمال التي سيقوم بها في المستقبل .)) (3)

والملفت للانتباه حقا ما جاء على لسان جاسم علي جاسم في خاتمة موضوعه هذا إذ يقول بصريح العبارة ((إن تشومسكي هو تلميذ الخليل الثاني بعد سيبويه في هذا العصر ، وهو الذي أعاد للنحو العربي قوته ودوره في الحياة اللغوية وأحياه من جديد ، وقلده في هذه المرة العالم بأسره ، وفي جميع لغاته المختلفة .

فالعلماء العرب هو أساتذة العالم في اللغة والنحو والعلوم وغيرها ، وإن جردهم

(1) . صفاء النحو العربي من التأثيرات الأجنبية ، د/صالحة يعقوب ، جامعة ماليزيا . ص : 38

(2) . تأثير النحو العربي في نظرية تشومسكي ، د/ جاسم علي جاسم www.iwan7.net

(3) . تأثير النحو العربي في نظرية تشومسكي ، د/ جاسم علي جاسم www.iwan7.net

الجاحدون ..)) (1) لا يخلو هذا القول من المبالغة ذلك أن تشومسكي وإن كان قد استثمر التراث العربي ، وأفاد النحو العربي وكافة أنحاء العالم بما جادت به قريحته فهو لم يحي النحو العربي ، وإنما استنتقه وأفاد منه لبناء نظريته ، إذ أنه وعلى رغم ((التطور الذي شهدته النظرية التوليدية على المستوى النحو العام فإنه على المستوى العربي لا زال في مرحلته الجنينية اللهم إلا القليل من الدراسات من العربية التي تقدم فعلا افتراضات جديدة بشأن بنيات العربية من منظور توليدي ، وتعكس مجهودا عربيا فيه أصالة وإبداع يضع الدرس اللساني العربي في إطار عالمي، وتكاد هذه المساهمات تنحصر في بعض الأسماء العربية .)) (2) ، ومن هنا فإن كانت الدراسات التي أجراها تشومسكي من خلال تطبيق نظريته على اللغة الإنجليزية قد أعطت نتائج إيجابية ، فإنه . وأمام قلة الدراسات التطبيقية في اللغة العربية . لم يئن الأوان بعد للحكم عليها ، والظاهر أن تشومسكي لم يضيف شيئا لهذا النحو، وإنما وضع بين أيدينا آليات وميكانيزمات جديدة لتحليل التراكيب النحوية لا غير . وخصوصا إذا ما أدركنا أن كل ما جاء به تشومسكي . تقريبا . ليس بجديد على الدراسات النحوية والبلاغية التي سبقه إليها علماء الأجلاء .

تتادي بعض الأصوات من هنا وهناك بضرورة تجاوز الدراسات اللغوية العربية القديمة لأنها قاصرة ولم تعد صالحة في تحليل اللغة ، وتدعو إلى تنبي النظريات الحديثة ، ومن هؤلاء ميشال زكريا الذي يشير إلى ضرورة الاستعاضة عن الدراسات النحوية العربية بالنظرية التوليدية. (3) لقد أثارت هذه الدعوة ردودا قوية تستنكر هذا الموقف الذي يهدف إلى ضرب التراث العربي ، وإنكار جهود

(1) . تأثير النحو العربي في نظرية تشومسكي ، د/ جاسم علي جاسم www.iwan7.net

(2) . ينظر النحو التوليدي بين العالمين الغربي والعربي ، المساوي، منتدى الجامعة نت www.marocs.net

(3) . النحو التوليدي بين العالمين الغربي والعربي ، المساوي ، منتدى الجامعة نت www.marocs.net

السلف وكان الأحرى والأجدر بهؤلاء أن يدعوا إلى تبني المناهج الحديثة وتطبيقها على درس اللغوي العربي على غرار ما فعله التوليديون الذين ((لم يستطيعوا الخروج عن الضوابط المعروفة في النحو الغربي ، بل إن الضوابط التي تحكم تحليلاتهم هي نفسها في التراث الغربي ، فقد ظلت تحليلات اللسانيات التوليدية أسيرة التحليل النحوي ، والاختلافات التي يمكن أن نقف عندها ، هي اختلافات فهم مصطلحات الوصف وميكانيزمات التحليل ، أما جوهر اللغة فيبقى هو هو ، لذلك لا يستقيم القول بأن ما تقدمه اللسانيات التوليدية اليوم كفيل وكاف لتجاوز صعوبات النحو وتعبه الذي كان سببا وراء تبرم الناشئة منه .)) (1)

ومقابل هذا الموقف الذي يقول بتأثر تشومسكي بالدراسات النحوية العربية كما مر نجد موقفا آخر يرفض أن يكون للنحو العربي أي تأثير في المنهج التوليدي لا من قريب ولا من بعيد ، لا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، ومن هؤلاء المعارضين الوعر والمتوكل وحسان والمزيني (2) لكنهم يدعون بالمقابل الاستعانة واعتماد هذه النظرية وتطبيقها على اللغة العربية .

. أثر الدراسات البلاغية :

لم يقتصر أثر الدراسات العربية في المنهج التوليدي على الجانب النحوي ، وإنما كان لها أثرها . كما يقول البعض . من جانبها البلاغي حيث تبدو أفكار الجرجاني . كما يذهب هؤلاء . واضحة جلية في ما جاء به تشومسكي .

(1) . النحو التوليدي بين العالمين الغربي والعربي ، المساوي ، منتدى الجامعة نت www.marocs.net

(2) . ينظرالنحو التوليدي بين العالمين الغربي والعربي ، المساوي منتدى الجامعة نت www.marocs.net

يرى بعض الباحثين أن جذور البنية العميقة والبنية السطحية تعود إلى الدراسات النحوية والبلاغية العربية ، وليس من المستبعد أن يكون تشومسكي قد تأثر بها ، وترتبط هاتان البنيتان عند النحاة العرب ((بقضية التقدير)) (1) حيث ميز هؤلاء ((في تحليلاتهم للغة منذ سيبويه بين التركيب الباطني الذي يمثل النمط المثالي الذي يعد موافقا لقواعد وشروط الصحة اللغوية والتركيب ، ولذا فقد أولوا التركيب الظاهر المخالف لهذه القواعد بتركيب آخر مستوف هذه الشروط ، كما أنهم ربطوا بين تفسير المعنى الدقيق وهذا المستوى المضمّر ، وهو ربط يعد أساسا في نظرية تشومسكي التي أكدت على العلاقة بين التركيب والمعاني .)) (2) ولم يغيب التأويل أو التقدير عن البلاغيين العرب الذين أولوه عناية خاصة في استنباط المعنى كما فعل الجرجاني حيث نجده يلجأ إلى الطريقة نفسها ((التي يستعملها تشومسكي الآن من أجل الكشف عن البنى العميقة التركيبية)) (3)

أما عن الكفاية والأداء اللذين قال بهما تشومسكي فقد ((سبقه إليهما الجرجاني منذ ثمانية قرون)) (4) ، ويتقاطع تشومسكي من جهة أخرى مع الجرجاني في نقطة ارتباط اللغة بالعقل ، حيث أدرك الجرجاني ((أن للنفس علاقة قوية في

(1) . أصول تراثية في علم اللغة ، د/ كريم زكي حسام الدين . ص : 111

(2) . أصول تراثية في علم اللغة ، د/ كريم زكي حسام الدين . ص : 251

(3) . تأثير النحو العربي في نظرية تشومسكي ، د/ جاسم علي جاسم www.iwan7.net

(4) . نظرية اللغة بين عبد القاهر الجرجاني وتشومسكي ، د/ عودة الله منيع القيسي ،

استيعاب اللغة وفي إنتاجها.. إلى جانب عمل العقل في هذين الأمرين. (((1) وهذا ما يؤكد عليه تشومسكي في أثناء حديثه عن الأداء .
ومن هنا يجزم البعض ((أن تشومسكي لم يأت بجديد في مجال علم اللغة النفسي وإنما الفضل والريادة هي للعلماء العرب القدامي وعلى رأسهم الجرجاني (((2)
بل يذهب البعض الآخر إلى القول : ((إن ثورة تشومسكي اللغوية هي ثورة نحوية خيلية أصلاً جرجانية تفصيلاً في النحو الإنجليزي ، وذلك خلال البنية العميقة والبنية السطحية.)) (3)

. مفهوم الكلمة :

تشكل الكلمة اللبنة الأساسية التي يعتمد عليها الكاتب والناطق في هندسة وبناء كلامهما أي إنشاء الجمل التي يتم بها التواصل والإفهام والتفاهم ، ومن هنا فقبل الحديث عن النحو واللغة والإسناد وغيرها فقد ارتأيت أنه من المفيد أن أقف في البداية على مفهوم الكلمة الذي حدده علماء مختلف المدارس اللغوية واللسانية وفي مقدمتهم تشومسكي الذي لم يفته أن تعامل معها، لأن الكلمة التي ((كنا نظنها أمراً

(1) . نظرية اللغة بين عبد القاهر الجرجاني وتشومسكي ، د/ عودة الله منيع القيسي ،

www.dehsha.com

www.iwan7.net

(2) . تأثير النحو العربي في نظرية تشومسكي ، د/ جاسم علي جاسم

www.iwan7.net

(3) . تأثير النحو العربي في نظرية تشومسكي ، د/ جاسم علي جاسم

بسيطا)) (1) أصبحت وبحكم الدور الذي تلعبه في العملية التواصلية ((مجتمعا لسانيا لا يختلف عن المجتمع الإنساني تعتمد على مبدأ التعاون .)) (2)

بمعنى أن الكلمة التي عدها علماء اللغة ((موضوعا من الموضوعات الرئيسية لعلم اللغة وأنها محل اهتمام ما يعرف بعلم المفردات " Vocabulary ")) (3) أصبحت تشكل علما مستقلا بذاته أولاه العلماء عناية خاصة إلا أن ((الدراسات التي تعالج مشكل طبيعة الكلمة العربية وصورتها والمبادئ التي تضبط سلامة تكوينها قليلة وهذه الثغرة في علم العربية " من ضمن الثغرات " كثيرة في علم هذه اللغة " يوازيها كثير من الخلط وعدم الوضوح في التنظير للكلمة في البحث اللساني بصفة عامة ، وكذلك عدم الاتفاق على مسلمات في خصوص التمثيل لها.)) (4)

ولعل مرد هذا الخلط يعود في الأساس إلى ((كون ماهية الكلمة متعدد الأبعاد والجوانب ، فالكلمة ذات متميزة بلامحها الصرفية والتركيبية والدالية والمعجمية والصواتية... إلخ ، ومن أجل رصد هذه السمات وهذا التميز تعددت النظريات والمقاييس للفصل بين ما يمكن معالجته في التركيب أو المعجم أو الصرافة أو الصواتية ، مدرجة معالجة الكلمة داخل هذا المكون أو ذاك ، فمن اللغويين من اعتبر معالجة الكلمة ، بما في ذلك مختلف قواعد تكوينها من محض اختصاص المكون المعجمي، ومنهم من استدل على تركيبية هذه القواعد ، وفريق ثالث أنكر

(1) . البلاغة والعمران عند ابن خلدون ، محمد الصغير بناني . ص : 111

(2) . البلاغة والعمران عند ابن خلدون ، محمد الصغير بناني . ص : 111

(3) . أسس علم اللغة ، ماريو باي . ص : 55

(4) . البناء الموازي : نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة ، د/ عبد القادر الفاسي الفهري . ص : 37

أن تكون ضوابط البناء من الصنف الأول أو الثاني ، بل إنه دافع عن طبيعتها الصرفية ، وبموازاة مع هذا يدور النقاش حول استقلال الصرافة أو عدم استقلالها عن التركيب والصوارة أو عن المعجم (((1)

إن مرد هذا التباين والتشتت في وجهات النظر يعود إلى طبيعة الكلمة التي تشكل موضوعا تتجاذبه العديد من العلوم التي تناولتها بالبحث والدراسة ومنها علم الصرف وعلم التركيب، وعلم الدلالة وعلم المعاجم وعلم الأصوات وغيرها ، ومن هنا حاول بعض علماء اللغة جاهدين تحديد مجال الكلمة وهذا بالنظر إلى البنية المورفولوجية للكلمة تارة أو بالنظر إلى موضع الكلمة من التركيب الذي ترد فيه تارة أخرى ، أو بالنظر إلى دلالة الكلمة ومعناها ذلك أن ((التغيرات الحادثة هنا داخل الكلمة نفسها تشكل موضوع علم الصرف : Morphology الذي يختص بدراسة الصيغ وتنظيم الكلمات في نسق معين يشكل موضوع علم النحو : Syntax وإن الصرف والنحو ليكونان ما يسمى بعلم القواعد : Grammar أو التركيب Structure أو قوانين المرور التي لا يمكن أن تنتهك تجنباً للوقوع في ورطة تعوق تيار المعاني المتدفق الذي يربط متكلماً بآخر وتوقف التفاهم الذي هو الهدف الأساسي أو الوحيد للغة.)) (2)

أما من حيث دلالة الكلمة فمعناها من وجهة نظر علم اللغة الوصفي ((يرتبط ارتباطاً وثيقاً بما يسمى بالمورفيم فمفردات أي لغة : Lexicology تعرف إذن بأنها مجموع رصيد المورفيمات وتجمعاتها)) (3) ، ومن وجهة نظر علم اللغة التركيبي

(1) . البناء الموازي : نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة ، د/ عبد القادر الفاسي الفهري . ص : 37

(2) . أسس علم اللغة ، ماريو باي . ص : 52

(3) . أسس علم اللغة ، ماريو باي . ص : 122

((تعرف الكلمة : Word ، بأنها " وحدة في جملة تحدد معالم كل منها بإمكانية الوقوف عندها " ليس من الضروري أن يتم الوقوف فعلا " .)) (1)

إن للكلمة علاقة وثيقة بالجملة ، فهي وبحكم موقعها من التركيب وما يطرأ عليها من تغيرات لما قد يسبقها من سوابق أو يلحقها من لواحق أو يتوسطها من وسائط تؤدي إلى تغيير في المعنى حيث تتحول الجملة وبموجب هذه التغيرات من جملة توليدية إلى أخرى تحويلية تختلف عنها في الدلالة ، ذلك أن الذي يهمننا من موضوع الكلمة ليس الكلمة المفردة المستقلة عن التركيب وإنما الكلمة ووظيفتها في الاستعمال بالنظر إلى علاقاتها بما قبلها وما بعدها من الكلمات الأخرى أو بمعنى آخر الكلمة داخل السياق لأنه من ((النادر جدا أن نجد الكلمات منفصلة في الاستعمال اللغوي ، فمن ناحية تتجمع الكلمات عادة في شكل مجموعات ، وحينئذٍ فطريقة تنظيم هذه الكلمات تصبح هامة ، وربما متحكمة في المعنى كله ضربَ موسى عيسى وضرب عيسى موسى على سبيل المثال يختلف معناها إلى حد كبير على الرغم من اتحاد الكلمات الثلاث المستعملة ، ومن ناحية أخرى غالبا ما تتعرض الكلمات نفسها لتغييرات معينة في الصيغة تؤدي إلى تغيير في المعنى)) (2) ومن هنا ينبغي

((اعتبار تتابع عناصر الكلام في مدرج الخطاب تتابعا غير حر ، ومن ثم يتعذر تحديد وحدة منعزلة عن البنية التي تشكل جزءا منها، فلا يمكن مثلا تحديد حرف ما إلا في إطار بنية لسانية معينة لأن الحروف تختلف وطبيعة علاقتها تنتوع من لغة إلى أخرى .)) (3)

والشيء نفسه ينطبق على الكلمة التي لا تكتسب قيمتها ولا يتحدد معناها ولا

(1) . أسس علم اللغة ، ماريو باي . ص : 112

(2) . أسس علم اللغة ، ماريو باي . ص : 52

(3) . اللسانيات العامة الميسرة : علم التراكيب ، سليم باب عمر . ص : 18

تتضح دلالاتها إلا بالنسبة لبقية الوحدات الأخرى السابقة واللاحقة .
 ومما سبق يتعين أن ينصب اهتمام الباحث والدارس على ((الموقع الذي تحتله
 الوحدة من بنية أو نظام أي أنه يقيم وزنا لإمكانياتها الشكلية ولعلاقاتها التركيبية
 والاستبدالية مع بقية الوحدات)) (1) ولكن يجب عليهما قبل هذا وذاك أن يميزا بين
 أقسام الكلمة وأنواعها ، وهي في مفهومها العام كما يقول الزمخشري : ((اللفظة الدالة
 على معنى مفرد بالموضع ، وهي جنس تحته ثلاثة أنواع : الاسم والفعل والحرف))
 (2) ، فهي ((إن دلت على معنى في نفسها غير مقترنة بزمان فهي الاسم وإن اقترنت
 بزمان فهي الفعل ، وإن لم تدل على معنى في نفسها بل في غيرها فهي الحرف)) (3)
 ، وقيل في تعريف الكلمة أنها ((ما لا يدل جزؤه على شيء من معناه)) (4)

- (1) . اللسانيات العامة الميسرة : علم التراكيب ، سليم بابا عمر . ص : 19
- (2) . عن محاضرات في علم النفس اللغوي ، د/ حنفي بن عيسى . ص : 58
- . ينظر هداية المسالك إلى ألفية ابن مالك ج 1 ، د/ صبيح التميمي . ص : 12
- . ينظر الخصائص ج 1 ، ابن جني تحقيق محمد علي النجار . ص : 40
- . ينظر متن الأجرومية ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن آجروم . ص : 07
- . يجب التمييز بين اللفظة والكلمة ، فاللفظة جنس من الكلمة تشمل المهمل والمستعمل ، فالأول ما يتألف من حروف من غير أن يدل على معنى معين ، وهو ما لا يصح أن يسمى كلمة بل لفظة ، والثاني المستعمل ، وهو اللفظ المتداول الدال على معنى ، ومن هنا جاز القول " إن كل كلمة لفظة وليس كل لفظة كلمة " كما يرى سيبويه .
- . ينظر الإحكام في أصول الأحكام ج 1 ، الأمدي . ص : 102
- (3) . شرح ابن عقيل على ألفية الإمام المجة الثبت ابن مالك ج 1 . ص : 15
- (4) . محاضرات في علم النفس اللغوي ، د/ حنفي بن عيسى . ص : 58

وإذا ما انتقلنا إلى دي سوسير فإننا نجده يستعمل مقابل مفهوم الكلمة مصطلحا خاصا به وهو " العلامة اللسانية " Le signe linguistique التي تقوم على شقين : شقا سماه الدال Signifiant والآخر سماه المدلول Signifié ، حيث يقول : ((إننا ندعو النسق بين المفهوم والصورة السمعية علامة ، للدلالة على الكل ، وتبديل كلمتي مفهوم وصورة سمعية بكلمتي المدلول والدال على التوالي)) (1)

وفي السياق نفسه يرى دي سوسير ((أن العلاقة التي تربط بين الدال والمدلول اعتباطية ، أو زيادة ، حيث أننا نفهم من العلامة المجموع الناتج من اشتراك مدلول بدال ، وبكل بساطة يمكن أن نقول : العلامة اللسانية اعتباطية)) (2) ، كما يقول من جهة أخرى بخطية الدال أو العلامة بمعنى أنها سطرية ((تأتي في تتابع زمني منتظم فإذا قلنا في العربية مثلا : رجل نرى أن هذه الكلمة قد جاءت على شكل أصوات متعلقة في الزمان بادئة بصوت الراء تتبعها الفتحة صوت الجيم ثم يأتي بعده صوت الضمة ثم صوت اللام في تتابع زمني محدد)) (3)

سبق أن عرفنا في بداية هذا المبحث أن تشومسكي يعتبر الكلمة مجتمعا لسانيا قائما بذاته ، وهي من وجهة نظره المادة الأساسية التي لا غنى عنها ، فالكل يتعامل مع الكلمة التي لا وجود لها كما يرى ((ما لم تتضمن معنى لها ، يسند المعجم معنى

(1) - Cours de linguistique générale : Saussure : p : 109

. ينظر محاضرات في الألسنية العامة ، فردينان ديه سوسير : تج يوسف غازي ومجيد النصر . ص : 87 .
ينظر أئمة النحاة في التاريخ ، محمد محمود غالي . ص : 26 .

(2) – Cours de linguistique générale : p : 110

(3) . أئمة النحاة في التاريخ ، د/ محمد محمود غالي . ص : 26
. ينظر أسس علم اللغة ، ماريو باي . ص : 88

أولياً إلى المفردات اللغوية ويخصها بسمات صوتية وتركيبية ودلالية ويتحدد معنى المفردات بما نسميه بالمدخل المعجمي (((1) ، إلا أن الكلمة تفقد معناها المعجمي بحسب السياق الذي ترد فيه إذ كما يرى أنها لا تقتصر ((على مدلول الكلمة فقط ، إنما تحتوي على كل المعاني التي قد تتخذها ضمن السياق اللغوي ، وذلك لأن الكلمات في الواقع ، لا تتضمن دلالة مطلقة ، بل تتحقق دلالتها في السياق التي ترد فيه ، وترتبط أيضاً دلالة الجملة بدلالة مفرداتها وبنيتها التركيبية .)) (2)

وفي أثناء حديثه عن الكلمة تعرض تشومسكي إلى ما يسمى بالمكون التركيبي الذي يعني به القواعد التركيبية وعلاقتها المتبادلة والشروط التي تخضع لها، وهو ما يسميه الجرجاني النظم فالقراءة الدلالية ((تقوم بتفكيك المعنى الذي تمثله من خلال تجزيته إلى المفاهيم أو السمات التي تكونه ، مثال : كلمة " طاولة " ، تجزئة دلالة هذه الكلمة هي مجموعة مفاهيم أو سمات : كرسي " شيء " " فيزيائي " جامد " مصنوع " متاع " محمول " شيء له أرجل " شيء له مقعد " مقعد لشخص واحد)) (3) فدلالة الجملة إذا لا تتحدد إلا باعتماد قواعد تفريع وتجزئة لكلمة وقواعد الإسقاط التي ((تعين بصورة عامة توافق المفردات المحتمل في بنى تركيبية معينة وتفسر المعاني التي نحصل عليها من جراء توافقها ، فمعنى المؤلف المركب لا يرتبط فقط بدلالة المكونات التي تؤلفه بل ترتبط أيضاً بالبنية التركيبية التي تجمع بين هذه المكونات أي بالطريقة التي تأتلف بها العناصر من الناحية التركيبية.)) (4)

(1) . الألسنية التوليدية والتحليلية وقواعد اللغة العربية " النظرية الألسنية " ، د/ ميشال زكريا . ص :

(2) . الألسنية التوليدية والتحليلية وقواعد اللغة العربية ، د/ ميشال زكريا . ص : 140

(3) . الألسنية التوليدية والتحليلية وقواعد اللغة العربية ، د/ ميشال زكريا . ص : 142

(4) . الألسنية التوليدية والتحليلية وقواعد اللغة العربية ، د/ ميشال زكريا . ص : 145

. مفهوم الفونيم : Phoneme

تسمى العناصر أو الأصوات المشكلة للكلمة فونيمات : Phonemes ، فالراء، الجيم واللام في كلمة "رجل" كل منها فونيم أو صوت ، وتعرف الصوتية أو " الفونيميا " على حد تعبير بلومفيلد الذي يعد أول من عرفها بأنها ((أصغر وحدة من وحدات السمات الصوتية المتميزة)) (1) ومن ذلك على سبيل التمثيل في العربية ((حرف الهجاء " ص " يتميز عن حرف الهجاء " س " في كلمتين " صار " و"سار " فيكون صوت الصاد متميزا عن صوت السين لأن اختلاف الكلمتين في المعنى يرجع إلى هذا الاختلاف بين صوتي الحرفين .)) (2)

وهذا ما سبق لابن خلدون أن لمح إليه في معرض حديثه عن الحرف ، وهو عنده ((كيفية تعرض من تقطيع الصوت بقرع اللهاة وأطراف الأسنان من الحنك والحلق والأضراس أو بقرع الشفتين ، فتتغير كيفيات الأصوات بتغير ذلك القرع وتجيء الحروف متميزة في السمع وتتركب منها الكلمات الدالة على ما في الضمائر والتي يختلف نظامها باختلاف الأمم وهو تعريف أساسي يأخذ في عين الاعتبار كيفية إخراج الصوت من المتكلم وكيفية تلقيه من السامع مما لا تثبته حتى التعريفات الحديثة .)) (3)

وقد كان لعلماء اللغة وعلماء الأصول العرب أن تنبهوا إلى هذه المسألة حيث التفتوا في معرض حديثهم عن الكلام وقيوده إلى الصوت إذ أخرجوا الحرف الواحد من

(1) . عن أئمة النحاة في التاريخ ، د/ محمد محمود غالي . ص : 19 .

. ينظر في علم اللغة العام ، د/ عبد الصبور شاهين . ص : 121

(2) . أئمة النحاة في التاريخ ، د/ محمد محمود غالي . ص : 19

(3) . البلاغة والعمران عند ابن خلدون ، محمد الصغير بناني . ص : 120

دائرة الكلام ، وهو عندهم ((ما انتظم من الحروف المسموعة المميزة المتواضع على استعمالها ، الصادرة عن مختار واحد وقصدوا بالقيود الاحتراز عن الحرف الواحد كالزاي من زيد)) (1) فالزاي من زيد إذا صوت أو حرف أو وحدة غير دالة أو فونيم على حد تعبير مارتيني ، ومثلها ((" إن " في قولنا : " إنسان " ، وإن دلت على الشرطية لأن دلالات الألفاظ ليست لذواتها ، بل هي تابعة لقصد المتكلم وإرادته ، ونعلم أن المتكلم حيث جعل " إن " الشرطية لم يقصد جعلها غير شرطية)) (2) ف " إن " من لفظ الإنسان وإن كانت تشكل مقطعاً طويلاً له دلالاته خارج اللفظ الذي وردت فيه ، فهي غير دالة ولا يمكن اعتبارها " إن " الشرطية لأنها في هذه الحالة جزء من كلمة ولا تدل على شيء من معناها ، وهذا ما يتفق والاتجاه اللساني المعاصر ، فالكلمة إذاً تتشكل كما هو جلي من فونيمات متماسكة فيما بينها بحيث لا يمكن تجزئتها أو الفصل بينها .

والملاحظ أنه وإن لم يكن للصوت أو الفونيم إلا الوظيفة الصوتية كما سبقت الإشارة فإن أهميته تكمن في أنه ((يعين صاحب اللغة على التفريق بين المعاني)) (3) ، ومن ذلك على سبيل المثال قولنا في العربية "بات" و "مات" إذ لا سبيل للتمييز بين معنى الفعلين إلا من خلال التمييز بين الفونيمين "الباء" في "بات" و "الميم" في "مات" .

(1) . الإحكام في أصول الأحكام ج1 ، الأمدي . ص : 102

(2) . الإحكام في أصول الأحكام ج1 ، الأمدي . ص : 18

(3) . اللسانيات : النشأة والتطور ، أحمد مومن . ص : 138 .

والجدير بالإشارة أن الفونيم نوعان الأول ((فونيم قطعي " Segmental " ويشمل كل الصوامت والصوائت)) (1) والثاني ((فونيم فوققطعي Suprasegmental ، ويتمثل في كل من الفاصل Juncture والنغم Pitch والنبرة Stress وطول الصوت Word – length ، وقد أولت مدرسة براغ هذه المتصورات عناية فائقة وطورت بعض المفاهيم الأخرى التي ساعدت على تحليل اللغة بطريقة دقيقة للغاية .)) (2)

. مفهوم الفون أو اللوين الصوتي : Allophone

قد يختلف موقع الفونيم الواحد من كلمة لأخرى ، وقد ينجر عن هذا التنوع في الموقع . وبحكم تأثر هذا الأخير بما قبله وما بعده من الفونيمات الأخرى بعض الاختلاف في نطقه ومن ذلك مثلا أن صوت " P " في الإنجليزية يمثل فونيمًا واحدًا إلا أنه وبحكم التنوع في الموقع في مثل قولنا : " Pit " و " Spit " و " Sip " تمثل ثلاثة أصوات موضوعية متخالفة أو ثلاثة فونات . (3)

هذه ((الفونات الثلاثة حينئذٍ تسمى تنوعات موقعية Positional Variants أو ألوفونات Allophones لنفس الفونيم)) (4) لأن ((ما ينطق به فعلا خلال الكلام هو " اللوين " الصوتي أو المتغير الصوتي Allophone ، واللوين الصوتي صوت كلامي حقيقي يتوزع بطريقة تكاملية أو يتغير بشكل حر ، ومثال التوزيع التكاملية أن " P " الهائية في الإنجليزية تأتي عادة في أول الكلمات مثل " Pen " وأن " P " غير الهائية تأتي بعد " S " مثل " Spin " ، وأما التغير الحر فعندما تأتي " P " في آخر الكلمة حيث من الممكن أن تكون هائية أو محبوسة كما في " Tip " .)) (5)

(1) . اللسانيات : النشأة والتطور ، أحمد مومن . ص : 138

(2) اللسانيات : النشأة والتطور ، أحمد مومن . ص : 138

(3) . ينظر أسس علم اللغة ، ماريو باي . ص : 88

(4) . أسس علم اللغة ، ماريو باي . ص : 88

(5) . اللسانيات : النشأة والتطور ، أحمد مومن . ص : 137 .

ولمعرفة ما إذا كان صوتان معينان يمثلان فونيمين مختلفين أو فونين لفونيم واحد فإنه ((يجرب الصوتان بأن يوضع كل منهما مكان الآخر في كلمة ما مع الاحتفاظ بباقي حروفها فإذا حدث ووجد اختلاف في المعنى فهما فونيمان وإذا لم يحدث أي اختلاف في المعنى نتيجة هذا التغيير فهما فونان لفونيم واحد ، وفي هذا يقول R. Fowkes في تعبيره المشهور: " إن الفونيم صورة ذهنية يَكْدُ المتكلم في الوصول إليها ، أما الصوت Allophon فهو الإنجاز الذي يحققه تحت أي ظرف معين وفي أي محيط محدد .)) (1)

ومن ذلك قولنا في اللغة العربية " اضطرب " و " ازدهر " فالطاء في الفعل الأول و الدال في الفعل الثاني فونان لفونيم واحد وهو " التاء " الذي وبحكم قواعد الإعلال والإبدال انقلب إلى طاء ، ونفس الشيء يقال عن " سماء " و " قضاء " فالهمزة فيهما فون لفونيمين مختلفين وهما " الواو " في الكلمة الأولى و " الياء " في الثانية اللتين انقلبتا فيهما إلى همزة لوقوعها متطرفة بعد ألف مد زائدة كما تقول القاعدة ، وهذا ما يعرف في اللسانيات الحديثة بالتغير المورفونومي الذي ((يؤثر أحيانا على المورفيم الحر كما يؤثر على المورفيم المتصل " كما يحدث في كلمة: Knife التي تجمع على Knives و Path التي تجمع على : Paths و House التي تجمع على : Houses بتغيير الساكن المهموس الأخير إلى مقابله المجهور، بينما اللاحقة نفسها تأخذ شكل الصورة المجهورة " Z " أو " IZ " وليس هناك أدنى شك في أن " Kniv " الموجودة في " Knives " تعتبر أومورفا للكلمة " Knife " يقع في محيط معين فقط .)) (2)

(1) . أسس علم اللغة ، ماريو باي . ص : 90

(2) . ينظر ينظر أسس علم اللغة ، ماريو باي . ص : 106 ، 115

. مفهوم المورفيم : Morpheme

المورفيم أو المونيم Moneme على حد تعبير مارتيني ، هو أصغر عنصر دال ويسمى ((بأسماء مختلفة بحسب وجهات نظر الباحثين منه السيم " Seme " ، " Sememe " ، " Semiene " مؤلف ، جزء ، مكون والشائع من المصطلحات المستعملة في البحوث الدلالية وبخاصة عند الغربيين هو السيم .)) (1) أي هو ما تألف من شكل ومعنى ، وتتمثل المونيمات في الجذور والأسماء والأفعال وفي السوابق واللواحق وحروف المعاني وغيرها.

وربما كان من الممكن كذلك أن يوصف بأنه سلسلة من الفونيمات ذات المعنى التي لا يمكن تقسيمها بدون تضييع المعنى أو تغييره. (((2) ، وقد يراد بالمورفيم عند البعض القرنية وهي ((أداة وظيفتها الأساسية إعطاء لفظة ما مدلولاً إضافياً كالوصف أو التكرير أو التخصيص أو التعريف أو العدد هذا على سبيل المثال لا الحصر ففي المثال : قرأ الولدُ كتاباً مفيداً ، نلاحظ أن أداة التعريف في " الولد " والتتوين في " كتاباً " والصفة "مفيداً" التابعة للفظه " كتاباً " تشكل قرائن تضي على مدلولات اللفظات الواردة في الجملة مدلولاً إضافياً يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار في التحليل اللساني لمدرج الخطاب .)) (3)

والجدير بالإشارة أنه قد يراد بالمورفيم أحيانا ((الكلمات الوظيفية : Function words ، ويستعمل بكثرة ليشير إلى الكلمات الصغيرة مثل " ال " و " بعض " وعلامة التكرير في الإنجليزية والتي تقوم بدور العلامات المميزة في الجملة وكثيرا ما

(1) . أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية ، د/ أحمد عزوز . ص : 02

. تعليمية القواعد في ضوء المنهج التوليدي التحولي ، عبد القادر بن عسلة . ص : 75

(2) . أسس علم اللغة ، ماريو باي . ص : 101

(3) . اللسانيات العامة الميسرة ، سليم بابا عمر . ص : 85

تُحذف من العناوين ، ولكن إسقاطها من ناحية أخرى قد يسبب خلطاً فلو قلنا مثلاً The water is pure فوجود علامة التعريف يحدد أن المراد قدر معين من الماء بعينه وحذفها يدل على أن المراد التعميم . (((1)

ويرى تشومسكي من جهته ((أن الصرفية هي أساس البناء الصرفي اللساني ، وهي أصغر وحدة لسانية ذات معنى)) (2) ، وهذا ما كان لبلومفيلد قد سبق أن أشار إليه حيث يقول : ((إن الفونيمات تنتظم في سلسلة كلام ويتم التمييز بينها عن طريق المقابلة بين عناصرها المتماثلة وغير المتماثلة من المورفيمات الدلالية التي يرتبط فيها الصوت بدلالة لغوية معينة ينتقل منها معنى دلالي آخر في تركيب مورفولوجي جديد)) (3) ، ومن هنا فهو يميز ((بين ما يسمى بالمكونات المباشرة أو الأولية والمكونات النهائية للتركيب الجملي ، والمكونات المباشرة هي في حقيقة الأمر المباني الصرفية التي تتكون منها الجملة ، فمثلاً : أكرم رئيس الجامعة الطلاب مكونة من : أكرم + رئيس الجامعة + الطلاب ، وكل عنصر من هذه العناصر مكون من مورفيمات أقل منها كما يلي : . أكرم + رئيس الجامعة = رئيس + الجامعة + رئيس + ال + جامعة + الطلاب = ال + طلاب)) (4)

نتبين مما سبق أن هذه المكونات الأولية لهذه الجملة هي عبارة عن كلمات مشكلة من مورفيمات وردت في شكل مكونات نهائية يعكسها تركيب الجملة، وعليه يمكن القول إن الكلمة التي تتشكل في الأساس من فونيمات قد تلحقها أحياناً مورفيمات ، ويختلف تركيبها باختلاف موقعها من الكلمة التي تلحقها إذ نجد من المورفيمات ما يلحق أول

(1) . أسس علم اللغة ، ماريو باي . ص : 111

(2) . أئمة النحاة في التاريخ ، د/ محمد محمود غالي . ص : 12

(3) . في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق ، د/ خليل أحمد عمارة . ص : 47

(4) . في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق ، د/ خليل أحمد عمارة . ص : 47

الكلمة وهي ما يعرف ((Préfixes المشتقة من الكلمة اللاتينية Praefixeurs التي تعني لاصق أمامي وفي اللسانيات يراد بها العناصر التي تضاف في أول الكلمة وتغير من معناها " على سبيل المثال : re : في re faire .)) (1)

ومنها ما يأتي في آخرها ، ويعرف هذا النوع من اللواحق بـ ((Suffixes ، وهي كلمة مشتقة من اللاتينية: Suffixus وتعني لاصق ، تحت ، وفي اللسانيات يراد بها العناصر التي تضاف إلى جذر كلمة لتشكل كلمة جديدة تسمى المشتق)) (2) ، ومنها ما يأتي متداخلا مع فونيمات الكلمة وهي ما يعرف بـ ((Infixes ، وهي كلمة مأخوذة من اللاتينية Infixus : التي تعني مدمج ويراد بها في اللسانيات العناصر التي تدمج

في داخل الكلمة خاصة بداخل الجذر لتغيير مدلوله وقيمه النحوية)) (3) ،

تأتي المورفيمات في العربية وعلى غرار اللغات الأخرى على الأشكال الآتية :

1. منفصلة منعزلة : وهي ما تعرف بالمورفيمات الحرة Free morphemes وهي

((ما تعادل على وجه التقريب ما يعرف بالأصل أو الجذر: Root أو Stem .)) (4)

والملاحظ أننا ((نجد بعض اللغويين المحدثين يفضلون استعمال مصطلح Formant

للمورفيم الحر ، مخصصين مورفيم للنوع المتصل فقط أو الذي يمكن أن يوصف

بأنه يدل على فكرة إضافية .)) (5)

ويندرج ضمن هذا النوع الحروف والأدوات مثل " في ، على ، من ما... إلخ

" وأسماء الإشارة مثل " هذا ، هذه .. إلخ " والأسماء الموصولة مثل " الذي ، الذين

(1) – Le petit Larousse illustré : VUEF : 2003 Montréal Quebec P : 818

(2) - Le petit Larousse illustre . P. 972

(3) – Le petit Larousse illustre – P 545

(4) . أسس علم اللغة ، ماريو باي . ص : 101

(5) . أسس علم اللغة ، ماريو باي . ص : 101

التي ، اللاتي.. إلخ " ، وهي كما نلاحظ ((وحدات مكثفة بذاتها تتضمن دلالاتها الوظيفية في بنيتها المستقلة مثل / اليوم ، غدا ، أحيانا غالبا... / فالعلاقة التي تربط اللفظ المستقل ببقية الملفوظ ليست قائمة على أساس موقعه في السياق الكلامي بل هي قائمة على أساس دلالاته الذاتية .)) (1)

2. متصلة : Bound morphemes ، وهي التي ((تعرف بالنهاية التصريفية أو التغيير الداخلي)) (2) في الكلمة ، ومنها ما يتصل بالاسم أو الفعل أو الحرف ، وهي على ضربين :

. السوابق : وهي التي تسبق الاسم أو الفعل أو الحرف مثل "ال" التعريف وحروف الزيادة في الأفعال " سألتمونيها " وغيرها. ويدخل ضمن السوابق ما يعرف بالموجه : Modality وتمثله ((حروف مثل " السين " أو " سوف " أو " قد " ، فهذه الحروف دورها تكييف معنى الزمن للفعل ف " قد " مثلا تدل على تمام الحدث أو وقوعه بالفعل " عندما يكون الفعل ماضيا " وتدل على التشكك أو الإمكان " مع الأفعال المضارعة " من جهة أخرى تدل " سوف " على معنى المستقبل وكذلك " السين " ، فهذه الحروف " الموجهة " تأتي في الرتبة بعد المصدر... وقبل النفي ، والنفي يتبع الموجهات ، وكذلك يسبق التطابق والزمن .)) (3)

. اللواحق : وهي التي تلحق آخر الاسم أو الفعل أو الحرف كالضمائر المتصلة ، وعلامات الجمع وغيرها . ومن ذلك على سبيل التمثيل ((فإن علم اللغة التركيبي الحديث يصف Dog و " s " كليهما على أنهما مورفيمان ، أو وحدتان ذواتا معنى تحمل إحداهما المعنى الأساسي للكلمة ، وتحمل الثانية فكرة الجمع الإضافية ،

(1) . دراسات في اللسانيات التطبيقية : حقل تعليمية اللغات ، أحمد حساني . ص : 17

(2) . أسس علم اللغة ، ماريو باي . ص : 101

(3) . البناء المتوازي نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة ، عبد القادر الفاسي الفهري . ص : 52

وعلى كل حال فالتفرقة بين اللفظين ربما تتم عن طريق تسمية الأول باسم المورفيم الحر : Free morpheme أي الذي يمكن أن يستعمل بمفرده " والثاني " s " باسم المورفيم المتصل : Boun morpheme " أي الذي لا يستعمل منفردا ، وإنما متصلا بمورفيم آخر .)) (1)

3. مدمجة : وهي نوع من المورفيمات التي تلتحق أواسط الكلمة وتأتي ممتزجة مع فونيماتها وهو ما سبقت الإشارة إليه في أثناء حديثي عن جمع التكسير ، بمعنى ((أن الدال يكون منطويا على مدلولين أو أكثر ، ولا يمكن فصلهما من الناحية الشكلية كما هو الشأن مثلا في جمع التكسير ، ففي لفظة / أبطال / نجد مدلولين أحدهما يرمز إلى المضمون المعنوي للمفرد "بطل" والثاني يرمز إلى معنى الجمع ولكن يتعذر التمييز الخطي بين المدلولين ، في حين تسهل العملية بالنسبة لصيغ أخرى كالجمع السالم :

/ مسلم / ← / مسلم / ون / . / مسلم / ات / فمدلول المفرد ومدلول الجمع في جمع التكسير يمثلهما دال هو الدال الممتزج / أبطال / .)) (2)

والجدير بالإشارة أن هناك حالات في الوحدات التركيبية يتحدد بعضها بالنسبة للبعض الآخر ((وفيها يكون لغياب علامة ما دلالة معينة كدلالة العلامة الموجودة ونذكر على سبيل المثال أن التقابل بين المذكر والمؤنث في بعض الأسماء يتضح في اللغة المكتوبة بوجود علامتين شكليتين مع المؤنث وهما الفتحة والتاء المربوطة وغيابها مع المذكر كما هو مبين في المثال التالي :

معلم ← معلمة ← معلم + ة ، وتتجلى ظاهرة التأنيث أيضا في أنواع

(1). البناء المتوازي نظرية في ربناء الكلمة وبناء الجملة ، عبد القادر الفاسي الفهري . ص : 53

(2). اللسانيات العامة الميسرة ، سليم بابا عمر . ص : 75

(3). اللسانيات العامة الميسرة ، سليم بابا عمر . ص : 77

أخرى من اللفظات بما فيها الأفعال كما هو مبين في المثال التالي :

كتب ← كتبت ← كتب + ت يقصد إذن باللفظة العدمية غياب علامة شكلية متوقعة ويرمز إليها أثناء التحليل بعلامة تقاضلية على شكل صفر "∅" (1)

وعليه يمكن القول إن اللغة العربية بأنها لغة العزل والتركيب والإدماج والحذف . وهذا ما أدركه علماءها الذين تنبهوا إلى ((العلاقات الداخلية في التراكيب المختلفة لما يتصل بها من لواصق ولواحق ، فإضافة أدوات التوكيد تنقل الدلالة من المستوى العادي إلى مستوى أعمق في تأكيد المعنى ، كما تحقق هذه الزيادة في حجم البنية التلاؤم بين المستويات الدلالية للنص وحالة المتلقي ، وبذلك يتوقف الارتباط بين أطراف عملية الإبداع الثلاثة : المبدع والنص والمتلقي)) (2) وهذا ما سأتناوله بشيء من التفصيل في أثناء حديثي عن أضرب الخبر " ابتدائي ، طلبي إنكاري" وعلاقتها بأحوال المستقبلين .(3)

. السوابق : Préfixes .

. سوابق الفعل :

سبق للنحاة العرب القدامى أن تحدثوا عما يسبق الفعل من أدوات وحروف وميزوا بين ما يتصل منها به وما ينفصل عنه ، وما هو مؤثر منها فيه أي ما يحدث تغييرا في حركة لام الفعل وما ليس هو مؤثر منها فيه ، ومن ذلك أن الفعل كما يقول عبد القاهر الجرجاني في كتاب الجمل : ((ما دخله قد ، وسوف ، والسين نحو قد قام ، وقد يقوم وسيقوم ، وسوف يقوم ، وتاء الضمير وألفه وواوه نحو: أكرمتُ ، وأكرمًا وأكرموا وتاء التانيث الساكنة نحو : نعمتُ وبئستُ ، أو حرف الجزم

(1) . اللسانيات العامة الميسرة ، سليم بابا عمر . ص : 77

(2) . في البنية والدلالة رؤية لنظام العلاقات البلاغية العربية ، د/ سعد أبو رضا . ص : 92

(3) . ينظر في البنية والدلالة رؤية لنظام العلاقات البلاغية العربية ، د/ سعد أبو رضا . ص : 92

لَمْ يَضْرِبْ .)) (1)

وبناء على ما تقدم يمكن تصنيف سوابق الفعل كآتي :

1. سوابق متصلة غير مؤثرة : مثل السين وهي موجه تجعل الفعل خاصا بالمستقبل

2. سوابق منفصلة : وهي قسمان : القريب

أ. مؤثرة : ومنها

. جوازم الفعل المضارع ، وهي إما اسم مثل " أنَّى ، أيَّان ، حيثما ، ما ، من ، متى ،

مهما ...إلخ ، أو حرف ومنها " إنْ ، إذما " التي تجزم فعلين ، ومنها ما يجزم فعلا

واحدا مثل " لم " و " لا " الناهية ولام الأمر (2) وعلامة الجزم إما السكون الظاهر أو

حذف حرف العلة من الأفعال الناقصة أو حذف النون من الأفعال الخمسة .(3)

. نواصب الفعل المضارع : وهي " أن ، لن ، إذن ، كي " (3) ، وعلامة النصب إما

الفتحة الظاهرة أو المقدره في آخر الأفعال المعتلة أو حذف النون من الأفعال الخمسة

.

ب. غير مؤثرة : مثل سوف ، وهي موجه تجعل الفعل خاصا بالمستقبل البعيد

والملاحظ أن هذه السوابق تتقدم الفعل إلزاما ، وهذا ما يتفق ومبدأ التوزيع الذي يتوخى

توزيع عناصر الجملة وفق ما يقتضيه النظام اللغوي الذي يقر بما يجب تقديمه من

مورفيمات وما يجب تأخيره منها .

.اللواحق : suffixes

هي ما يلحق آخر الفعل أو الاسم من مورفيمات عند اقتران الأول بالزمن

(1) . عن السمات التفريعية للفعل في البنية التركيبية ، أحمد حساني . ص : 07 .

(2) . ينظر قطر الندى وبل الصدى ، ابن هشام . ص : 94

(3) . ينظر تعليمية القواعد في ضوء المنهج التوليدي التحويلي ، عبد القادر بن عسلة . ص : 87

(4) . ينظر تعليمية القواعد في ضوء المنهج التوليدي التحويلي ، عبد القادر بن عسلة . ص : 65 .

وإسناده للضمائر وعند تأنيث الثاني أو تثنيته أو جمعه ، وهي من ضمن ما سبق للجرجاني أن تعرض له عند حديثه عن الفعل كما مر ، إذ من علامات الفعل " تاء الضمير ، وألفه ، وواوه وتاء التأنيث " ، وهذه المورفيمات كما هو جلي تتصل بآخر الفعل أو الاسم ، ومن خلالها يمكن كما عرفنا ذلك مع السوابق أن نحدد نوع وجنس المسند إليه من حيث الإفراد، التثنية الجمع ، والتأنيث والتذكير . وهناك من اللواحق ما هو مختص بالفعل ، ومنها ما هو مختص بالاسم ومنها ما هو مشترك بينهما .

1. لواحق الفعل Suffixes du verbe (1)

تنقسم اللواحق الخاصة بالفعل إلى ثلاثة أقسام ، إذ نجد من بين اللواحق ما هو خاص بالماضي مثل " تاء التأنيث " و " تاء الضمير " أي تاء المتكلم والمخاطب المذكر والمخاطبة المفردة ، ومع " أنتما وأنتم وأنتن " في حالة اعتبار التاء لاحقة و" ما ، م ، ن " لواحق أخرى كما نجد من اللواحق ما هو مشترك بين المضارع والأمر مثل " ياء المخاطبة " المفردة ، أما ألف الاثنين وواو الجماعة ، نون النسوة " فهي تلحق الأفعال الثلاثة كما تعلق الأسماء .

2. لواحق الاسم Suffixes du nom (2)

الكلمة المعجمية هي الفعل الذي يأخذ أشكالاً مختلفة عند اقترانه بالزمن وإسناده إلى الضمير ، وهي الاسم الذي يأخذ أشكالاً مختلفة عند التأنيث والتثنية والجمع ، بمعنى أن بنية الكلمة في حالة الإفراد ، والتذكير تختلف عن بنيتها في حالة التثنية والجمع والتأنيث إما بفعل الزيادة أو النقصان في مكوناتها من حيث الصوامت والصوائت أو لنقل بفعل ما يلحقها من مورفيمات تنقل الكلمة من حالة إلى حالة أخرى تختلف

(1) . ينظر تعليمية القواعد في ضوء المنهج التوليدي التحويلي ، عبد القادر بن عسلة . ص : 92

(2) . ينظر تعليمية القواعد في ضوء المنهج التوليدي التحويلي ، عبد القادر بن عسلة . ص : 98

عنها في المبنى وفي المعنى ، ومن خلال هذه المورفيمات يمكن لنا أن نميز بين هذه الحالات حيث ندرك المعنى كما ندرك في ذات الوقت الوظيفة النحوية وموقعها بالنسبة لأركان الإسناد ، ومن ثم يسهل علينا إلحاقها إما بمركب المسند أو المسند إليه ، ذلك أن من اللواحق ما يدل على أن الكلمة إما مسند ، أو مسند إليه .(1)

. المحدد : Determinant

المحدد هو الكلمة " أو مجموعة كلمات " تحدد مجال الاسم بتخصيصه وتحديد محتواه (2) وتكمن أهميته في تحديد المعنى وتوضيح مدلول الكلمة لدى المتلقي ، وهو مستعمل في كافة اللغات إلا أن طريقة التعامل معه تختلف من لغة إلى أخرى ، وهذا بحسب ما يقتضيه النظام اللغوي والنحوي والتركيبى لكل منها . فموقع المحدد في العربية ليس هو الموقع نفسه في كل من الفرنسية والإنجليزية مثلا ، بل الأكثر من ذلك أن موقع المحدد في اللغة الواحدة قد يتقدم عن الاسم أحيانا وقد يتأخر عنه أحيانا أخرى بحسب ما يفرضه السياق والنظم والتركيب . والمحددات في اللغة العربية نوعان : ما يسبق الاسم ، ومنها :

الأدوات وأسماء الإشارة والعدد وكل وبعض وأداة التعريف " ال " وغيرها ، ومنها ما يلي الاسم كالمضاف إليه والنعته وصلة الموصول وغيرها . ويبدو أن النحاة العرب قد تنبهوا إلى مسألة المحدد ضمن حديثهم عن التعريف والتذكير والنعته والاسم الموصول والتقييد الذي يعني عندهم أن يزداد على المسند والمسند إليه شيء يتعلق بهما أو بأحدهما ، مما لو أغفل لفانتت الفائدة المقصودة أو كان الحكم كذبا .(3)

(1) . ينظر تعليمية القواعد في ضوء المنهج التوليدي التحولي ، عبد القادر بن عسلة . ص : 98

(2) . ينظر تعليمية القواعد في ضوء المنهج التوليدي التحولي ، عبد القادر بن عسلة . ص : 102

(3) . ينظر دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني . ص : 371

فالغرض من الزيادة إذاً زيادة الفائدة وتقويتها عند المخاطب ، ذلك أن الحكم كلما تعددت قيوده وكثرت ازداد وضوحاً وتخصيصاً ، فالاسم المعرف بـ " ال " أو " الإضافة " أو " المتبوع بنعت مخصص ومحدد في ذهن المتلقي ، ويمكن تمييزه عما سواه ، كما التفت هؤلاء وفي نفس السياق إلى موقع المحدد فقالوا إن المحدد " ال " لا يأتي إلا في أول الاسم ، والنعت لا يلي إلا منوعاً أو موصوفاً والاسم الموصول يتصدر جملة " صلته " تزيل إبهامه وتتم معناه ، ومن هنا فلبعض المحددات في العربية الصدارة ، ولا يجوز تأخيرها أو الفصل بينها وبين لاسم بعدها إلا أن هناك حالات قد يجتمع فيها أكثر من حدد ، ولأحدهما الصدارة حسب ما يقتضيه النظام اللغوي ، فما جاء قبل المحدد " ال " التعريف وأسماء الإشارة ، أحد ، كل ، بعض ، غالب ، جل . إلخ وتسمى هذه المحددات التي تتقدم " ال " التعريف محددات سابقة. (1) مفهوم النحو عند تشومسكي :

ارتبط المنهج التوليدي والتحليلي بالنحو ، ومفهومه عند تشومسكي ((كما ورد في كتابه " البنى التركيبية " جهاز Device " لتوليد الجمل النحوية في اللغة)) (2) وتقوم الجملة على الإسناد .

. مفهوم الإسناد في النحو التوليدي التحليلي :

تقوم الجملة عند تشومسكي على الإسناد (3) أي التركيب لأن الاسم والفعل عنده يشكلان ((عنصرين أساسيين في الإنجليزية ، ومن السهل إثبات أنهما عنصران

(1) . ينظر تعليمية القواعد في ضوء المنهج التوليدي التحليلي ، عبد القادر بن عسلة . ص : 104

(2) . عن اللسانيات النشأة والتطور ، أحمد مومن . ص : 208

(3) . ينظر " البنية التركيبية للحدث اللساني ، د/ عبد الحليم بن عيسى . ص : 99

أساسيان في كل لسان آخر نعرفه (((1) ، حيث ليس ((في الدنيا كلام في أي لغة إلا وفيه محدث ومحدث به في أي شكل كان)) (2) ، ومن هنا فالجملة فعلية كانت أو ، ومن هنا فالجملة فعلية كانت أو اسمية (3) تتشكل من مسند ومسند إليه وهما ما اصطلح على تسميتهما بالعمدة أو النواة ، أما ما زاد عنهما فهو فضلة ويعرفها مارتيني بأنها ((كل عنصر أضيف إلى قول دون أن يغير شيئاً من العلاقات المتبادلة بين عناصره الأساسية أو في وظائفها، فإذا تألف القول من وحدة دالة إسنادية وحيدة كانت كل وحدة دالة جديدة تضاف إليه دون أن تغير شيئاً في الصفة الإسنادية للوحدة الدالة الأصلية فضلة على المسند الأصلي.)) (4)

يقوم الإسناد عند تشومسكي على مبدأ التوزيع الذي يعد أحد مقومات المدرسة التوزيعية بزعامة مارتيني وهو من حيث المفهوم لا يختلف عن علاقة التلازم لأن التوزيع يقوم ((على أن المورفيم يقتضي المورفيم الذي يليه في الجملة الواحدة ، يقتضيه فيحدده وبأخذه ، بعد أن ينطق المتكلم بالمورفيم الأول ، ففي الجملة العربية

(1) . عن أئمة النحاة في التاريخ ، د/ محمد محمود غالي . ص : 12 .

(2) . الجملة في كتاب سيبويه د/ عبد الرحمن الحاج صالح عن المبرز العدد 1993/02 . ص : 10

(3) . ينظر نحو الجمل ، عبد العزيز محمد بن يوسف الهادي ، تح د/ مختار بوعناني ، الفجر ص : 29 .

. ينظر الكتاب ج 1 ، سيبويه ، تح عبد السلام هارون . ص : 262 .

. ينظر الجملة النحوية نشأة وتطوراً وإعراباً ، د/ فتحي عبد الفتاح الدجني . ص : 17

. ينظر المغني اللبيب في كتب الأعراب ج 2 ، ابن هشام الأنصاري تح ، د/ مازن المبارك ص : 422

(4) - Elements de linguistique generale A.Martinet , librairie arnand colin Paris, P : 128

مثلاً: إنَّ الطالبين يدرسان ، فإن المورفيم الأول "إن" يقتضي مورفيماً آخر يليه ، فيأخذ "الطالبين" ، وليس "يدرسان" ، وهذا "الطالبين" يكون في حالة إعرابية معينة طبقاً لقواعد الكفاية اللغوية، ويقتضي مورفيماً آخر ليتم التعبير عن الصورة الذهنية في ذهن المتكلم ، ويجب أن يكون هذا في حالة معينة من حالات الإعراب تحقيقاً لقواعد الكفاية فبذا تتم الجملة وتخرج على ما هي عليه وإذا اقتضى المعنى زيادة في عدد الكلمات في الجملة فإن كل كلمة تضاف تأخذ موقعها على الخط الذي يربط الكلمة في الجملة ذاتها، فنقول مثلاً: إنَّ الطالبين المجتهدين الصادقين.. يدرسان. (1)

نتبين مما سبق أن المدرسة التوزيعية تقوم على مبدأ الخطية وتعطي أهمية للعلاقات الترتيبية والعلاقات التعويضية بمعنى أن التوزيع يبنى على التعويض وهو عبارة عن مجموع السياقات التي ترد فيها وحدة من وحدات الجملة وتتغير وظيفتها النحوية بتغير موقعها من الجملة .

تتألف الجملة إذاً اسمية كانت أم فعلية . من منظور نحو المركبات المباشرة . من عنصرين أساسيين: المسند والمسند إليه ، ويمسى كلا منهما ركناً إذا ما أضيف إليهما من التوابع والمكملات ما يتم معناهما أو ما يمسى بمتعلقات الإسناد . ومن هنا يقوم تحليل الجملة في النحو التوليدي التحويلي في المقام الأول على تحديد :

- 1 . المسند إليه سواء " كان فاعلاً أو مبتدأ في العربية " مع كل ما يتعلق به " كالمحددات والنعوت والمضاف إليه ... " وهو عموماً " مركب اسمي " .
- 2 . المسند " سواء كان خبراً أو فعلاً " مع كل ما يتعلق به " كالمفعول به والحال

(1). في نحو اللغة وتراكيبها ، د/ خليل أحمد عمارة . ص : 60 .

وظرف الزمان ، وظرف المكان . "ويكون مركبا فعليا أو مركبا اسميا ، والتقسيم نفسه ينطبق على معظم اللغات .
وانطلاقا مما سبق يمكن دراسة وتحليل الجملة " الطالبُ المجتهدُ قرأَ عشرةَ كتبٍ " على النحو الآتي :

1 . تتألف الجملة من مكونين :

- المكون الأول : " الطالبُ المجتهدُ " .

- المكون الثاني : " قرأَ عشرةَ كتبٍ " .

2 . ويلاحظ أن كلا من المكونين بنية لأنهما قابلان للتجزئة والتحليل :

. المكون الأول أو " البنية الأولى " يمكن تقسيمه على النحو الآتي :

- " الطالبُ المجتهدُ " = " الطالبُ " + " المجتهدُ " .

. المكون الثاني أو " البنية الثانية " يمكن تقسيمه على النحو الآتي :

- " قرأَ عشرةَ كتبٍ " = " قرأَ " + " عشرةَ كتبٍ " .

- البنية الأولى : " الطالبُ + المجتهدُ " = " ال " + " طالب " + " ال " + " المجتهد " .

" المجتهد " .

- البنية الثانية : " قرأَ + عشرةَ كتبٍ " = " قرأَ " + " عشرة " + " كتبٍ " .

3 . وكل بنية من هاتين البنيتين قابلة هي الأخرى للتجزئة إلى عناصر أصغر (1)

. عناصر التحويل في النحو التوليدي التحويلي :

لقد سبق أن عرفنا أن منهج تشومسكي يقوم على مبدأ التوليد والتحويل ، والفكرة كما يبدو لا تكاد تختلف عما نجده في الموروث النحوي والبلاغي العربي ذلك أننا أشرنا في حديثي عن المحدد أن النحاة والبلاغيين العرب تعاملوا ومنذ سيبويه ومرورا بالجرجاني مع الجملة التوليدية ، وهي التي تقابل عندهم الكلام

(1) . ينظر تعليمية القواعد في ضوء المنهج التوليدي التحويلي ، عبد القادر بن عسلة . ص : 31

كبنية أو الجملة الأصل أو النواة والجملة التحويلية التي تقابل الكلام كخطاب إذ نجد سيويه يستعمل في ((مواضع متفرقة من كتابه " تمثيل لا يتكلم به " أي أنه فرق بين الجمل الأصولية ، والجمل الفرعية ، والتحويلية على غرار النظريات اللسانية المعاصرة (((1) ، وهو تقريبا نفس ما نجده عند الجرجاني والبلاغيين العرب الذين اعتمدوا في هذا على القياس الذي يقوم على ((حمل الشيء على الشيء أو أجزائه عليه بغية اكتشاف الجامع الذي يجمعها ، وهو ههنا البنية التي تجمع بين الأنواع الكثيرة من الجمل ، وينطلقون في ذلك من أبسطها وهي التي تتكون من عنصرين " زيد منطلق " فيحملون عليها أخرى تكون فيها زيادة بالنسبة إلى البسيطة بحيث تظهر لذلك كيفية تحول هذه النواة بالزوائد ، وهي في الحقيقة مقارنة بنيوية أساسها ما يسمى في الرياضيات الحديثة بالتطبيق ، وهو تطبيق مجموعة على مجموعات أخرى طردا وعكسا .)) (2)

ويميز تشومسكي بين نوعين من الجمل ، الجملة الأصولية والجملة غير الأصولية حيث يقول : ((نسمي الجملة الصحيحة بالجملة الأصولية " أي الجملة الموافقة قواعد اللغة " ، والجملة غير الصحيحة بالجملة غير الأصولية أو بكلام آخر إنتاج وتعداد كل جمل اللغة الأصولية ، والجمل الأصولية لا غير ، كما تحدد القواعد كل الجمل المحتملة في اللغة ، وتمنع في الوقت نفسه الجمل غير الأصولية من أن تتكون .)) (3)

(1) . العربية بين الطبع والتطبيع دراسات لغوية تحليلية لتراكيب عربية ، عبد الجليل مرتاض ص : 102 .

(2) . الجملة في كتاب سيويه ، د/ عبد الرحمن الحاج صالح عن المبرز العدد: 1993/02 . ص: 12

(3) . الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية : النظرية الألسنية ، د/ ميشال زكريا . ص

وبعبارة أخرى ((إن الجملة أصولية في لغة معينة إذا كانت مركبة على نحو جيد وهي غير أصولية إذا انحرفت عن المبادئ التي تحدد الأصولية في هذه اللغة أي القواعد الضمنية التي تقود عملية التكلم والذي يطبقها متكلم اللغة بصورة لا شعورية)) (1) ، وهذا يعني أن الجملة غير الأصولية لا تصلح للتواصل لأنها تخالف العرف اللغوي السائد في بيئة المتكلم ، وعليه ((إن الجملة لكي نعتبرها أصولية يجب ألا تنحرف بالنسبة لأية قاعدة من القواعد التي تعين توافق العناصر اللغوية في مستويات اللغة الثلاثة المستوى الصوتي والمستوى التركيبي والمستوى الدلالي)) (2) بمعنى أن التأليف اللغوي ((يرتبط بصفة إلزامية بهذه المكونات الثلاثة التي شرحناها من قبل ، فإذا كان المكون الصوتي هو الحامل المادي للحدث اللساني ، فإن المكون التركيبي هو الإطار المنظم له أما المكون الدلالي فهو القلب النابض له باعتباره الروح المعبرة عنه.)) (3)

مع ما يتبع ذلك من تغيير في المعنى ذلك أن ((الترتيب هو الذي نقل مورفيما من موقع أصل له إلى موقع جديد مغيرا بذلك نمط الجملة وناقلا معناها إلى معنى جديد تربطه بالمعنى الأول رابطة واضحة ، وهو من عناصر التحويل)) (4) ، فالجملة إذاً ((يتغير معناها عندما يبنى عليها أي عندما نضيف إليها أجزاء أخرى غير المسند والمسند إليه كالمفعول والظرف وغيرهما)) (5)

(1) . الألسنية التوليدية والتحليلية وقواعد اللغة العربية : النظرية الألسنية ، د/ ميشال زكريا . ص

(2) . البنية التركيبية للحدث اللساني ، د/ عبد الحليم بن عيسى . ص : 54

(3) . الجملة في كتاب سيوييه ، د/ عبد الرحمن الحاج صالح : 12

(4) . في نحو اللغة وتراكيبها ، د/ خليل أحمد عمارة . ص : 93 .

(5) . خصائص العربية والإعجاز القرآني في نظرية عبد القاهر الجرجاني ، أحمد شامية

ومن عناصر التحويل التي تناولها تشومسكي وتحدث عنها النحاة والبلاغيون العرب من قبل بالإضافة إلى التقديم والتأخير الذي يعني عنده الترتيب : الزيادة ، الحذف و الإحلال .

أ. الترتيب : يقوم إعادة ترتيب عناصر الجملة بحيث نقدم فيها ونؤخر من غير خلل في التركيب .

ب. الزيادة : وتعني إضافة عناصر جديدة على الجملة الأصلية أو النواة مع ما ينجر عن ذلك من تغيير في المعنى .

وتتم عملية الزيادة ((عن طريق إضافة العناصر اللغوية إلى التركيب الأساسي في إطار ما تمليه القواعد التحويلية المحققة لذلك ، فتكون هذه الزيادة بإدخال كلمة جديدة إلى مبنى الجملة ، فتعطي قيمة دلالية جديدة نعرفها من العلاقة بين هذه الكلمة وبؤرة الجملة، وكل زيادة في المبنى تقابلها زيادة في المعنى ، وهذه الزيادة تكون في أول الجملة أو في وسطها أو في آخرها)) (1)

يقسم النحاة واللسانيون العناصر الإضافية في الجملة إلى قسمين ، العناصر المؤثرة وغير المؤثرة ، وقد أشرنا إلى بعض منها في أثناء حديثنا عن سوابق الفعل ، ولعل من المفيد هنا أن تعرض للبعض الآخر منها لأهميتها في ما نحن بصدد دراسته ، والملاحظ أن من عناصر الزيادة ما يختص بالجملة الاسمية ومنها ما يختص بالجملة الفعلية ، ومنها ما يتعلق بالجملتين معا، ف" السين وسوف ، ولم ، ولن ... " فهي لا تدخل إلا على الفعل ، و " كان وإن وأخواتهما وأدوات التشبيه مثل الكاف ومثل وشبيهه ... " فلا تدخل إلا على الاسم ، و أدوات الاستفهام والنفي فهي تدخل عليهما معا. (2)

(1) . رأي في بناء الجملة الاسمية وقضاياها - دراسة وصفية ، خليل عمارة ، مجلة التواصل اللساني

المجلد الثاني ، العدد الأول . 1990 . ص : 18

(2) . ينظر البنية التركيبية للحدث اللساني ، د/ عبد الحليم بن عيسى . ص : 112 وما بعدها

- ج . الحذف : ويعني أن نستغني عن عنصر أو عنصرين من عناصر الجملة لغرض بلاغي تواصلية من غير خلل في التركيب .
- د . الإحلال : بمعنى أن نقوم بعملية تحويل في عناصر الجملة بحيث نقدم ونؤخر فيها على أن يحل محل المقدم ضمير يعود عليه .
- . البنية السطحية والبنية العميقة:

الملاحظ أن المعنى ومن وجهة نظر تشومسكي في النماذج السابقة لم يتغير من نموذج لآخر ، ذلك أنه ينطلق من فرضية المعنى العميق الذي ينطبق على جميع الأمثلة ، بمعنى أن تشومسكي يربط في نظريته بين قدرة المتكلم على توليد الجمل وفق القواعد الكلية وقدرته على الأداء أو ما يسميه بالكفاية وبين الفطرية والشمولية من جهة وبين ما يسميه بالبنية العميقة والسطحية من جهة أخرى .

والمراد بالبنية العميقة ((الأساس الذهني المجرد لمعنى معين يوجد في الذهن ويرتبط بتركيب جملي أصولي ، يكون هذا التركيب رمزا لذلك المعنى وتجسيدا له وهي النواة التي لا بد منها لفهم الجملة ولتحديد معناها الدلالي وإن لم تكن ظاهرة فيها .)) (1)

وبعبارة أخرى ((البنية العميقة هي الجملة الواضحة المعنى الخاضعة لقواعد التركيب بمكوناتها الفئوي والمعجمي . أما البنية السطحية فتنشأ عن طريق قواعد التحويل لتأدية المعاني المتفرعة عن البنية العميقة .)) (2)

ولتوضيح ما سبق ذكره نأخذ ((المثال التالي للتطبيق يشرحُ المدرسُ الدرسَ بطبشورة يكتب بها على السبورة فإن هذه الجملة تتكون في الأصل من ثلاث جمل أصولية : Kernel sentences ، تجسد كل واحدة منها معنى عقليا في ذهن المتكلم وهذه الجمل هي :

- (1) . في نحو اللغة وتراكيبها ، د/ خليل أحمد عمارة . ص : 58 .
- (2) . اللسانيات العامة الميسرة : علم التراكيب ، سليم بابا عمر . ص : 65

1. يشرح المدرسُ الدرسَ .

2. يكتبُ المدرسُ بالطبشورة .

3. يكتبُ المدرسُ على السبورة .

فتمثل الجمل الثلاث في مجموعها علاقة بين نقاط رئيسية " المدرس ، الدرس ، السبورة ، الطبشورة " ، وهذه البنية العميقة التي يأتي دور تجسيدها بكلمات متتابعة بنية سطحية ، وتأتي هذه البنية السطحية متألفة من الجمل Surface structure منطوقة : النواة الثلاث لتكون جملة تحويلية معبرة عن العلاقة بين الكلمات السابقة كما يلي :

يشرحُ المدرسُ الدرسَ بطبشورة يكتب بها على السبورة . (((1)

والملاحظ أنه ((وبصرف النظر عن الكيفية التي تأتي عليها البنية السطحية هذه، فقد تكون كما ذكرَ قبل قليل وقد ينطق بها المتكلم مقدما جزءا من الجملة النواة على الآخر ، فقد يقدم الجزء الثاني على الثالث والثالث على الأول أو .. إلخ وهذا كله لا يقدم ولا يؤخر في المعنى الذي في ذهن المتكلم أو في الكشف عنه ، فالبنية السطحية . كما بينا . هي الكلام المنطوق المرتبط ارتباطا وثيقا بالقواعد التحويلية في اللغة فيها يتم انتظام الكلمات في جمل يعبر بها المتكلم عن علاقة ذهنية مجردة " معنى "

بكلمات محسوسة منطوقة .)) (2)

فلو أخذنا على سبيل المثال ((الجملة : أ . أكرم خالدٌ علياً ، هي جملة توليدية فعلية لا تركيز فيها على أي جزء من أجزاء المعنى وهدفها نقل الخبر من صورته الذهنية في ذهن المتكلم إلى صورة " فونولوجية " منطوقة تقع على السامع فيدرك المطلوب منها ، وهو الإخبار لا غير ، إذا قصد المتكلم نقل الخبر بتركيز على المطلوب منها ، وهو الإخبار لا غير ، إذا قصد المتكلم نقل الخبر بتركيز على

(1) . في نحو اللغة وتراكيبها ، د/ خليل أحمد عمارة . ص : 58 .

(2) . في نحو اللغة وتراكيبها ، د/ خليل أحمد عمارة . ص : 58 .

جزء من أجزائه ولإظهار عنايته واهتمامه به فإنه يقدم لأن الجزء فيدرك السامع المعنى الجديد ، أما إذا كان المتكلم يقصد من الجملة .

ب . خالدٌ أكرمٌ علياً أو من الجملة ج . علياً أكرم خالدٌ ، ما يقصده من الجملة التوليدية " أ " فإنه قد أخطأ الصواب ، وعبر بغير ما كان عليه أن يعبر به . (((1)

والجدير بالإشارة أن البنية السطحية والبنية العميقة تعود في جذورها إلى النحو العربي ((وترتبط بقضية التقدير عند النحاة العرب)) (2) الذين ميزوا ((في تحليلهم للغة منذ سيبويه بين التركيب الباطني الذي يمثل النمط المثالي الذي يعد موافقا لقواعد وشروط الصحة اللغوية والتركيب، ولذا فقد أولوا التركيب الظاهر المخالف لهذه القواعد بتركيب آخر مستوف هذه الشروط ، كما أنهم ربطوا بين تفسير المعنى الدقيق وهذا المستوى المضمّر، وهو ربط يعد أساسا في نظرية تشومسكي التي أكدت على العلاقة بين التركيب والمعاني .)) (3)

وللتوضيح نقتصر على النماذج الآتية عن البنية السطحية والبنية العميقة :

1 . قال تعالى : ((وجاءَ من أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى)) (4)

(1) . في نحو اللغة وتراكيبها ، د/ خليل أحمد عميرة . ص : 58 .

. ينظر أصول تراثية في علم اللغة ، د/ كريم زكي حسام الدين . ص : 68 ، 249 و 256

. ينظر مدخل إلى التحليل اللساني : اللفظ ، الدلالة ، السياق ، العربي قلايلية . ص : 62 .

. ينظر البنية اللغوية لبردة البوصيري ، رابح بوحوش . ص : 153 .

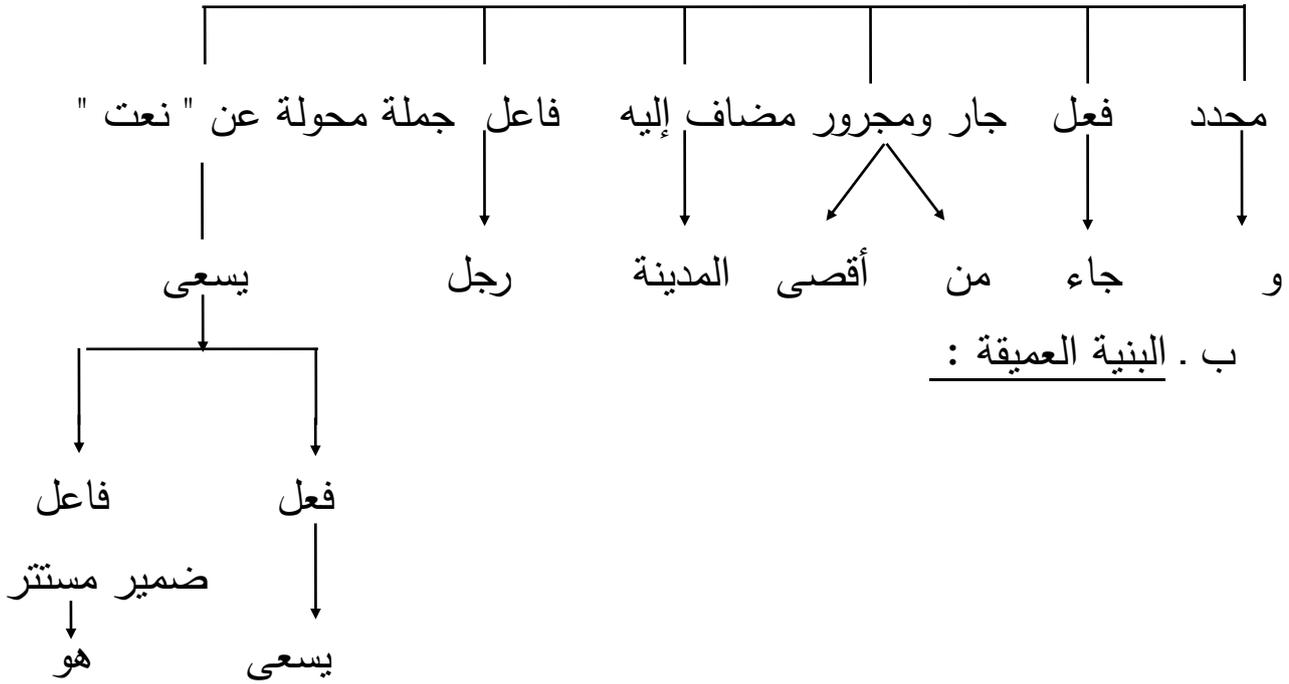
. ينظر في نحو اللغة وتراكيبها ، د/ خليل أحمد عميرة . ص : 93 .

(2) . أصول تراثية في علم اللغة ، د/ كريم زكي حسام الدين . ص : 111

(3) . أصول تراثية في علم اللغة ، د/ كريم زكي حسام الدين . ص : 251 .

(4) . يس : 20

أ . البنية السطحية :



ب . البنية العميقة :

البنيتان " السطحية والعميقة " مختلفتان من حيث :

. التحويل :

- تقديم ما حقه التأخير حيث تقدم الجار والمجرور والمضاف إليه " من أقصى المدينة " عن الفاعل والنعت " رجل يسعى " إذ الأصل في الجملة " جاء رجل يسعى من أقصى المدينة " .

- التحويل : النعت محول عن جملة فعلية " يسعى " إذ الأصل " جاء رجل ساع " .
 الإضمار : - إضمار الفاعل الضمير " هو " في الفعل " يسعى " الذي يعود على " رجل " .

ما يلاحظ أيضا من جهة أخرى أن البنية السطحية هي ما تتفق وأصل الوضع للجملة في النحو العربي ، وما خالف هذا الأصل فهو يندرج ضمن البنية العميقة ، ويقوم الأصل على :

- ((1. الذكر ، فإذا عدل عنه إلى الحذف وجب تقدير المحذوف من ركني الجملة .
 2. الإظهار ، فإذا أضر أحد الركنين وجب تفسيره .
 3. الوصل ، وقد يعدل عنه إلى الفصل .
 4. الرتبة بين عناصر الجملة وقد يعدل عنها إلى التقديم والتأخير .
 5. الإفادة ، فإذا لم تتحقق الفائدة ، فلا جملة ، وتتحقق الإفادة بالقرائن حين يؤمن اللبس ، وشرط جوز العدول عن أصل من هذه الأصول أن يؤمن اللبس فتتحقق الفائدة ، ومن هنا لا يكون الحذف إلا مع وجود دليل ، ولا يكون الإضمار إلا عند وجود المفسر ، ولا يكون الفصل إلا بغير الأجنبي ، ولا التقديم والتأخير إلا مع وضوح المعنى وحيث لا تكون الرتبة واجبة الحفظ .)) (1)
- والملاحظ بالنسبة للفعل الذي يتصدر الفاعل والمفعول في البنية السطحية ((أن رتبته العميقة غير محددة، فقد يكون مولدا أصلا في المكان الذي يُسَطَّحُ فيه ، وقد يكون انتقل إلى مكان في السطح فقط فهل هناك ما يبين أن الفعل والمفعول يكونان مركبا واحدا في البنية العميقة ؟ ففي اللغات التي يحتل فيها الفاعل والمفعول " وكذلك الفضلات الأخرى والملحقات "مواقع بنيوية غير متناظرة في البنية الشجرية ، فإن الخصائص المتباينة لهذه المركبات غالبا ما يتم استخلاصها باستغلال عدم التناظر الموجود في البنية الشجرية ويوظفُ عادة مفهوم التحكم المكوني C . commund ، وكذلك مفهوم العاملة البنيوية : Structural government لتشخيص هذه الفروق ووصفها .)) (2)

(1). الأصول : دراسة ابيستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب : نحو ، فقه اللغة ، بلاغة ، د/ تمام ص : 130 .

. ينظر أصول تراثية في علم اللغة ، د/ كريم زكي حسام الدين . ص : 235 .

(2). البناء الموازي في نظرية بناء الكلمة وبناء الجملة، د/ عبد القادر الفاسي الفهري . ص: 57، 58

المركب الاسمي والمركب الفعلي :

تقوم الجملة اسمية كانت أو فعلية كما سبقت الإشارة على التركيب ، ففي الاسمية يسند الخبر أو ما يقوم مقامه إلى المبتدأ في حين يسند الفعل أو ما يقوم مقامه في الجملة الفعلية إلى الفاعل أو نائب الفاعل ، وفي كلتا الجملتين قد يرد المسند أو المسند إليه مفردين أو مركبين ، ويرتبط بكل منهما ما يتعلق به من محددات ، نعوت ، ظروف ، أحوال وغيرها .

أولا . المركب الاسمي : Groupe nominal

الاسم من الناحية الاصطلاحية كما يعرفه النحاة هو ((ما دل على معنى في نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة)) (1) ، ومن الناحية اللغوية ((سمة الشيء)) (2) ومنه المفرد والمركب وتختلف دلالة المفرد عن دلالة المركب إذ ((يتم التركيب الدلالي اعتمادا على معاني المفردات ، وهو بالتالي يحتوي من جهة أخرى على معجم يسند لكل مفردة معنى أوليا ، ومن جهة أخرى على قواعد إسقاطية تدل على طريقة مزج المعاني المفردة التي يتوصل بها إلى مدلول الجملة)) (3) ، وهذا يعني أن دلالة المركب لا تتحدد إلا بالنظر إلى دلالة ما يتركب منه وربط ذلك بالسياق والتركيب الذين يرد فيهما .

هذا من الناحية الدلالية ، أما من الناحية النحوية فالاسم مفردا كان أو مركبا يحتل موقعا إعرابيا ويؤدي وظيفة نحوية . فهو قد يقع موقع المفعول به ، أو الفاعل أو نائب الفاعل أو المبتدأ أو الخبر . ويسمى في هذه الحالة ركنا لأنه جاء مركبا (4)

(1) . شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، ابن هشام الأنصاري ، المكتبة العصرية ببيروت ، ب . ط ، 1997 . ص : 37

(2) . شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، ابن هشام الأنصاري . ص : 37

(3) . اللسانيات التوليدية والتحليلية ، د/ عادل فاخوري . ص : 54

(4) . ينظر تعليمية القواعد في ضوء المنهج التحليلي التوليدي ، عبد القادر بن عسلة . ص : 43 ، 44

التفت النحاة العرب ومنذ نشأة الدراسات اللغوية إلى الاسم حيث شكل لديهم وعلى غرار الفعل موضوعا خصبا للبحث والدراسة ، وجعلوا له من العلامات ما يميزه عن غيره من أقسام الكلم " الفعل والحرف " وبينوا أنواعه ووظائفه مفردا كان أو مركبا ، وميزوا في هذا الأخير بين ما هو مركب تركيبيا إسناديا وبين ما هو مركب تركيبيا إضافيا وما هو مركب تركيبيا بيانيا وحددوا أقسامه ، وبين ما هو مركب تركيبيا عطفيا ومزجيا. كما تحدثوا عن المركب العددي وعاملوا بعض هذه المركبات من الأسماء معاملة الكلمة أو الاسم المفرد من حيث الوظيفة النحوية والإعراب . (1)

ثانيا : المركب الفعلي : Groupe verbal

لقد سبق أن عرفنا في أثناء حديثي عن نحو المركبات المباشرة أن المسند والمسند إليه قد يأتيان مفردين كما قد يردان مركبين ، وفي هذه الحالة الأخيرة يرتبط بكل منهما ما يليه من متعلقات الإسناد حيث يدخل ضمن المركب الفعلي كل ما يتعلق بالمسند " الفعل " من مفعول به ، حال ، ظروف الزمان والمكان والجار والمجرور وغير ذلك ، ويدخل ضمن المركب الاسمي كل ما يتعلق بالمسند إليه الفاعل ، نائب الفاعل " من نعوت وغيرها .

1. المركب الفعلي المتقطع : " م . ف . م "

الجدير بالإشارة أن المركب الفعلي يختلف باختلاف رتبة عناصر الجملة الفعلية ومن هنا فهو قد يكون مركبا فعليا متقطعا أو مركبا فعليا مستمرا (2) ، فالحالة

(1) . ينظر شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، ابن هشام . ص : 105

(2) . ينظر تعليمية القواعد في ضوء المنهج التوليدي التحليلي ، عبد القادر بن عسلة . ص : 52 ،

. نرسم إلى المركب الفعلي المتقطع ب " م . ف . م " والمركب الفعلي المستمر ب " م . ف . م " مس "

الأولى عندما تكون الجملة الفعلية توليدية إبلاغية ، يفصل فيها الفاعل بين الفعل وملحقاته .

2. المركب الفعلي المستمر: " م. ف. مس "

يراد بالمركب الفعلي المستمر أن يتصدر الفعل الجملة ثم يليه المفعول به ثم الفاعل بمعنى أن تكون الجملة من نمط : فعل + مفعول به + قاعل ...

. المركب الفعلي المفعولي الفاعلي : " م. ف. مف. فا " (1)

لا يكون المركب الفعلي مستمرا إلا في الجمل التحويلية عن طريق التقديم والتأخير في عناصرها كأن يتقدم المفعول به أو الحال أو شبه الجملة أو الظرف أو غير ذلك مما حقه التأخير على الفاعل أو نائبه لغرض تواصل بلاغي .

. المركب المفعولي الفعلي الفاعلي : " م. مف. ف. فا "

يختلف هنا المركب الفعلي عن النوع الأول الذي مر بنا من حيث تقديم المفعول به على الفعل والفاعل معا ، ومن هنا تحول هذا المركب الفعلي من نمط " م. ف. مف. فا "

فا " إلى مركب مفعولي فعلي فاعلي أي إلى نمط " م. مف. ف. فا "

إذا كانت الجملة على هذا النحو ، فهي تحويلية ذات بعد تواصلية يتجاوز الإخبار والإبلاغ ، وتدخل ضمن ما عرف عند النحاة العرب القدامى بالكلام كخطاب ، أما إذا كان المركب الفعلي متقطعا فالجملة في الغالب توليدية غرضها مجرد الإخبار والإبلاغ ليس إلا ، وتدخل ضمن الكلام كبنية كما يقول نحائنا القدامى .

الملاحظ أن النحاة القدامى أسهبوا في الحديث عن المركب الفعلي من خلال

(1) نرزم للمركب الفعلي المفعولي الفاعلي : م . ف . مف . فا

تتاولهم لما يعرف في النحو العربي بالمصدر المؤول الذي قد يقع موقع الفاعل أو نائب الفاعل أو المبتدأ ، وفي هذه الحالات فهو يمثل ركن الفاعل أو نائب الفاعل أو المبتدأ أي المسند إليه كما قد يقع موقع المفعول به أو الحال أو الخبر وغير ذلك وفي مثل هذه الحالات فهو يدخل ضمن متعلقات الإسناد والمصدر المؤول يكون جملة فعلية أو جملة اسمية أحيانا ، وهو ما يعرف عند البعض بالمحول ويقابله الصريح (1) ، ولقد حرص الدارسون الأقدمون ((على وضع ضوابط حاصرة تتناول جوانب شتى من جوانب البنى التركيبية العربية ، مما وفر تكثيفا ثريا من المفاهيم النظرية ، فأفضى بهم ذلك أن يهتدوا إلى فكرة الفاعل المحوّل حين ضبطهم لبعض الحواليات اللسانية التي تفسر باسم حدث ضمني ، وهو ما ينعت لديهم بـ / المصدر المؤول / كما نجد ذلك واضحا في الحواليات التالية :

1 . / أنْ + فعل / - / اسم حدث /

2 . / أنَّ + اسم / - / " " /

3 . / ما + فعل / - / " " /

4 . / ما + اسم / - / " " /

5 . / لو + فعل / - / " " / (((2)

وتدخل ضمن هذه الضوابط التي تحدث عنها هؤلاء ((السمة التفريعية الانتقائية التي يتميز بها الفعل النواة في الجملة)) (3) بالإضافة إلى ما يسمى بالأحرف المصدرية

(1) . ينظر السمات التفريعية للفعل في البنية التركيبية : مقارنة لسانية ، أحمد حساني . ص

(2) . ينظر السمات التفريعية للفعل في البنية التركيبية: مقارنة لسانية، أحمد حساني . ص : 166

(3) . السمات التفريعية للفعل في البنية التركيبية : مقارنة لسانية ، أحمد حساني . ص : 164

- التي تؤول هي وما بعدها باسم تكون له وظيفة نحوية إعرابية ومنها :
- 1 . الفاعلية نحو قوله تعالى : ((وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ)) (1) فالمصدر المؤول من " أن يكتمن " في محل رفع فاعل أي مسند إليه والتقدير " لا يحل لهن كتمان " .
 - 2 . نائب الفاعلية نحو قولنا : سيء أن يعاقب المحسن ، المصدر المؤول من " أن يعاقب المحسن " في محل رفع نائب فاعل أي مسند إليه ، والتقدير " سيء معاقبة المحسن " .
 - 3 . المبتدئية نحو قوله تعالى : ((وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)) (2) المصدر المؤول أو المركب الفعلي " وأن تعفوا " في محل رفع مبتدأ ، أي مسند إليه ، والتقدير " عفؤكم أقرب للتقوى " .
 - 4 . المفعولية نحو قولنا : قلت : آمنت بالله ، المصدر المؤول من " آمنت بالله " في محل نصب مفعول به ، وعليه فهو إذاً من متعلقات الإسناد ، والتقدير " قلت إيماني بالله " .
 - 5 . الحالية نحو قوله تعالى : ((تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ)) (3) ، فالمصدر المؤول من " نتلوها " في محل نصب حال والتقدير " آيات الله متلوة " .
 - 6 . الخبرية نحو قوله تعالى : ((وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ)) (4) ، المصدر المؤول من جملة " يوقنون " في محل رفع خبر أي مسند للمسند إليه " هم " والتقدير

(1) . البقرة : 228

(2) . البقرة : 237

(3) . آل عمران : 108

(4) . البقرة : 04

" هم موقنون " .

7 . الجر نحو قوله تعالى : ((قالوا : لن نبرحَ عليه عاكفين حتى يرجعَ إلينا موسى)) (1) المركب الفعلي أو المصدر المؤول من " يرجع إلينا موسى " في محل جر بـ " حتى " ، فهو إذاً من متعلقات الإسناد ، والتقدير " حتى رجوع موسى " .

8 . الظرفية نحول قوله تعالى : ((وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمتُ حياً)) (2) المصدر المؤول من " ما دمتُ حياً " في محل نصب على الظرفية الزمانية وعليه فهو يدخل ضمن متعلقات الإسناد ، والتقدير " مدة حياتي " .

(1) . طه : 91

(2) . مريم : 21

الباب الأول : اللغة والتواصل

الفصل الثاني : الصورة في التراث العربي

. البلاغة العربية والعملية التواصلية

. موقع علم البيان من البلاغة العربية

. مقومات الصورة

1 . المجاز

2 . الخيال أوالتخييل

3 . التجسيم والتشخيص : Personnification

4 . العدول والانزياح : Ecart

. الغاية من الصورة

. الصورة الكلية والصورة الجزئية

أولا . التشبيه

ثانيا . الاستعارة

ثالثا . الكناية

رابعا . المجاز المرسل

البلاغة العربية والعملية التواصلية :

لقد رأيت من المفيد أن أشرع في بداية هذا المبحث بالحديث عن البلاغة العربية التي يتجلى من خلالها اهتمام الأدباء والنقاد والعلماء العرب بالصورة البيانية ، إذ لا يمكن أن نتناول الصورة بمعزل عن البلاغة والعكس صحيح فأصل البلاغة في وضع اللغة ((من الوصول والانتهاه يقال : بلغت المكان إذا انتهيت إليه ، مبلغ الشيء منتهاه)) (1) . وفي الاصطلاح فهي ((أن تأتي من الكلام بما يحتاج إليه ، وتدع ما يستغنى عنه)) (2) وهذا بعني الإيجاز في الكلام بحسب ما يقضيه المقام ، يروى أن معاوية بن أبي سفيان قال لصحار بن عياش العبدي ((ما تعدون البلاغة فيكم قال : الإيجاز ، قال له معاوية : وما الإيجاز ؟ قال له صحار : أن تجيب فلا تبطئ وأن تقول فلا تخطئ)) (3) وفي السياق ذاته قيل ((لأعرابي ما البلاغة ؟ قال الإيجاز في غير عجز والإطناب في غير خطل)) (4) ويعرف الإيجاز بأنه ((حذف الفضول وتقريب البعيد ، قال ابن الأعرابي قيل لعبد الله بن عمر لو دعوت الله لنا

-
- (1) . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج 1 ، ضياء الدين بن الأثير ، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، مكتبة نضهة مصر ، ب . ط ، ب . ت . ص : 84
 ينظر المستطرف في كل فن مستظرف ج 1 ، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبهسي ، تح د/ مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط 2 ، 1986 . ص : 94
 ينظر بلاغتنا اليوم بين الجمالية والوظيفية ، د/ محمد بركات حمدي أبو علي ، دار وائل للنشر عمان ط 1 ، 2004 . ص : 27 ، 75
 (2) . الأغاني ج 7 ، أبو الفرج الأصفهاني ، تحقيق سمير جابر ، دار الفكر بيروت ، ط 1 ، ب . ت . ص : 290
 (3) . البيان والتبيين ، الجاحظ ، تح فوزي عطوي ، دار صعب بيروت ، ط 1 ، 1968 . ص : 66
 (4) . البيان والتبيين ، الجاحظ ، تح فوزي عطوي . ص : 67

بدعوات ، فقال : اللهم ارحمنا وعافنا وارزقنا ، فقال رجل : لو زدتنا يا أبا عبد الرحمن ، فقال : نعوذ بالله من الإسهاب)) (1) ، وعرفها ابن خلدون كما سبقت الإشارة في أثناء حديثي عن العملية التواصلية بأنها ((هي بلوغ المتكلم الغاية من إفادة مقصوده للسامع .)) (2)

مما سبق يمكن تلخيص مفهوم البلاغة في قول بعضهم " خير الكلام ما قل ودل " وفي " خير الكلام ما أغناك قليله عن كثيره " ، ومن هنا قال سهل بن هارون (ت 215 هـ) ((سياسة البلاغة أشد من البلاغة ...)) (3) ويعني بسياسة البلاغة فيما يبدو الكياسة والفتنة والدراية بالمواقف التواصلية والمعرفة بأحوال المتلقين ومستوياتهم ومواقف التواصل التي تستدعي الإيجاز أحيانا والإطناب أحيانا أخرى . ففي هذا السياق يقول القزويني: ((وأما بلاغة الكلام فهي مطابقتها لمقتضى الحال ومقتضى الحال مختلف فإن مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام التكرير يباين مقام التعريف ، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد ، ومقام التقديم يباين مقام التأخير ، ومقام الذكر يباين مقام الحذف ومقام القصر يباين مقام خلافه ، ومقام الفصل يباين مقام الوصل ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة ، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي ، وكذا لكل كلمة مع صاحبها مقام إلى غير ذلك .)) (4)

(1) . البيان والتبيين ، الجاحظ . ص : 67

(2) . المقدمة ، ابن خلدون ، ص : 1971

(3) . البيان والتبيين ، الجاحظ . ص : 113

. ينظر فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ، د/ رجاء عيد ، منشأة المعارف الأسكندرية ، ب . ط ،

ب . ت . ص : 8 وما بعدها

(4) . الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني . ص : 32

ربط النقاد العرب في تعريفهم للبلاغة بالبليغ ، وهو عندهم كما يستخلص من جملة ما قالوا عنه من يملك ناصية اللغة والقدرة على التواصل مع الغير والمقدرة على التأثير في عقولهم ونفوسهم أو ما يسميه ابن خلدون المكلة (1) التي تترادف الكفاءة التواصلية Compétence عند تشومكسي فالبليغ كما ((قال الثعالبي : هو من يحول الكلام على حسب الآمالي ويخيط الألفاظ على قدر المعاني والكلام البليغ ما كان لفظه فحلا ومعناه بكرا ، وقال الإمام فخر الدين الرازي رحمة الله تعالى عليه في حد البلاغة: إنها بلوغ الرجل بعبارته كنه ما في قلبه مع الاحتراز عن الإيجاز المخل والتطويل الممل (...)) (2) ويعرفه العتابي الذي سئل عن البليغ هو ((كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة)) (3) ، فالإيجاز المخل والتطويل الممل والإعادة والحبسة والاستعانة تعد في ضوء اللسانيات الحديثة من العيوب التي تعيق العملية التواصلية ومن هنا يشترط في البليغ أي المرسل أن يكون ملما بأصناف البلاغة وهي ثلاثة ((البيان الحسن ، والصوت الحسن والصورة الحسنة (...)) (4)

نتضح من خلال حديث النقاد والعلماء العرب عن البليغ الصلة الوثيقة بين البلاغة والعملية التواصلية حيث يتعين على البليغ أي المتكلم أو المرسل وعلى الملقى في الوقت ذاته أن يكونا على علم بوجوه معاني البلاغة ((فمنها ما يكون في

(1) . ينظر المقدمة ، ابن خلدون . ص : 1971

(2) . المستطرف في كل فن مستظرف ج 1 ، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبهسي . ص :

. ينظر صبح الأعشى في صناعة الإنشا ج 2 ، أحمد بن علي القلقشندي ، تحقيق د/ يوسف علي طويل ،

دار الفكر دمشق ، ط 1 ، 1982 . ص : 367

(3) . البيان والتبيين ، الجاحظ . ص : 74

(4) . بلاغتنا اليوم بين الجمالية والوظيفية ، د/ محمد بركات حمدي أبو علي . ص : 11

السكوت ، ومنها ما يكون في الاستماع ، ومنها ما يكون في الإشارة ، ومنها ما يكون في الحديث ، ومنها ما يكون في الاحتجاج ومنها ما يكون جوابا ومنها ما يكون ابتداء ومنها ما يكون شعرا ، ومنها ما يكون سجعا وخطبا ، منها ما يكون رسائل فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى (((1) .
لقد تضمن هذا القول بعضا من صفات المرسل وبعضا من صفات المستقبل وأخرى مشتركة بينهما لضمان نجاح العملية التواصلية .

ولعل من أبرز ما يتعين عليهما الالتزام به ((التماس حسن الموقع والمعرفة بساعات القول وقلة الحرف بما التبس من المعاني أو غمض وبما شرد عليك من اللفظ أو تعذر)) (2) ، وهذا ما يشترطه اللسانيون في هذا العصر حيث يلحون على ضرورة حسن اختيار المكان والزمان ، والحرص على وضوح الرسالة وتجنب الغموض من خلال انتقاء ما يناسب من الألفاظ والعبارات . ويؤكد البلاغيون العرب في السياق ذاته على مقدرة الباث والمستقبل في التمييز بين المعاني التامة الظاهرة والمعاني المقدرة المضمرة حيث يتعين عليهما ((الترجيح بين معنيين أحدهما تام والآخر مقدر أو يكون أحدهما مناسبا لمعنى تقدمه أو تأخر عنه، والآخر غير مناسب أو بأن ينظر في الترجيح بينهما إلى شيء خارج عن اللفظ ، فمثال المعنيين المشار إليهما أن المعنى التام هو الذي يدل عليه لفظه ولا يتعداه ، وأما المقدر فهو الذي لا يدل عليه لفظه بل يستدل عليه بقريئة أخرى قد تكون في توابعه وقد لا تكون.)) (3) و في هذا تلميح إلى العدول والانزياح اللذين يضيفان على اللفظ معنى آخر غير المعنى الوضعي ،

(1) . بلاغتنا اليوم بين الجمالية والوظيفية ، د/ محمد بركات حمدي أبو علي . ص : 76

(2) . بلاغتنا اليوم بين الجمالية والوظيفية ، د/ محمد بركات حمدي أبو علي . ص : 61

(3) . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج 1 ، ضياء الدين بن الأثير . ص : 60

وهذا ما سأطرق إليه في المبحث الخاص بالصورة . (1)

. موقع علم البيان من البلاغة العربية :

البيان لغة الوضوح والفصاحة جاء في مختار الصحاح ((البيان الفصاحة واللسن وفي الحديث " إِنَّ مَنَ الْبَيَانَ لَسِحْرًا " وفلان أبين من فلان أي أفصح منه وأوضح كلاما ، والبيان أيضا ما يتبين به الشيء من الدلالة وغيرها، وبان الشيء يبين بيانا اتضح فهو بين وكذا أبان الشيء فهو مبين وأبنته أنا أي أوضحتها واستبان الشيء ظهر (((2)

أما في الاصطلاح فهو ((علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه ودلالة اللفظ إما على ما وضع له أو على غيره..)) (3) ، ويعد علم البيان احد فروع البلاغة التي تنقسم إلى علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع وميدان هذه العلوم مجتمعة كما يقول عبد العزيز عتيق ((هو نظم الكلام وتأليفه على نحو يخلع عليه نعوت الجمال)) (4) ، إلا أن حصر البلاغة في الوظيفة الجمالية كما يرى هذا الأخير وقبله العديد من البلاغيين والنقاد العرب في ما يبدو لي إجحافا في حقها ، لأنه كما سبق أن بينت آنفا أن الوظيفة الأساسية للبلاغة هي التوصيل لأنها إحدى الطاقات التعبيرية التي تتيحها اللغة العربية من تقديم وتأخير ، وحذف وذكر وإحلال

(1) . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج1 ، ضياء الدين بن الأثير . ص : 60

(2) . ينظر . ص : 131 وما بعدها

(3) . مختار الصحاح ، الرازي . ص : 29

. ينظر القاموس المحيط ج1 . ص : 299

(4) . الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني ، دار إحياء العلوم بيروت ، ط4 ، 1998 . ص : 201

. ينظر البيان والتبيين ، الجاحظ . ص : 71

. ينظر خزنة الأدب ج1 ، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزرازي ، دار

ومكتبة الهلال بيروت ، ط1 ، 1982 . ص : 23

:

وإضمار وتوظيف مختلف الصور البيانية من تشبيه واستعارة وكناية ومجاز ليس الغرض منها البعد الجمالي فحسب ، بل هو غرض تواصلية أيضا كما يتبين لي ذلك من خلال تعريف الجاحظ (ت : 255 هـ) لعلم البيان الذي يقول عنه :

((..وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة ، وحسن الاختصار ، ودقة المدخل يكون إظهار المعنى ، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح ، وكانت الدلالة أبين وأنور كان أنفع وأنجع ، والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان)) (1) أي التواصل وهو يلتقي أي / علم المعاني / ((عند السكاكي مع " البيان " عند الجاحظ ، ويتكامل معه في كون كل واحد منهما يبحث في علاقة الخطاب بالأحوال والمقاصد أي في البعد التداولي ، الأول " المعاني " في المستوى اللساني الدلالي والثاني " البيان " في المستوى السوسيونفسي . لقد بذل الجاحظ قصارى جهده للملائمة بين مطلب مراعاة أحوال المخاطبين الذي قدمه من خلال صحيفة بشر بن المعتز وبين مطلبي صحة اللغة وحسن التعبير .)) (2)

لا تكمن أهمية علم البيان في إضفاء الصبغة الجمالية فحسب ، بل تتعداها إلى التوضيح والتجسيد والتشخيص في حدود ما يفرضه الموقف التواصلية وحالة المستقبل وطبيعة الرسالة ، وهذا ما تظن إليه تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله (ت : 837 هـ) صاحب خزنة الأدب الذي يقول عن علم البيان : ((قالوا : هو عبارة عن الإبانة عما في النفس بعبارة بليغة بعيدة عن اللبس ، إذ المراد منه إخراج المعنى إلى الصورة الواضحة وإيصاله إلى فهم المخاطب بأسهل الطرق ، وقد تكون العبارة عنه تارة عن طريق الإيجاز وطورا عن طريق الإطناب بحسب ما يقتضيه الحال ، وهذا

(1) . البيان والتبيين ، الجاحظ . ص : 31

(2) . البلاغة العامة والبلاغة المعجمة ، محمد العمري ، العدد 25 . ص : 37

بعينه هو البلاغة)) (1) أليست الإبانة وتجنب اللبس والحرص على الوضوح من جملة ما يحرص عليه المرسل .

. الصورة في التراث العربي :

ومن الشروط التي يتعين على المرسل مراعاتها بحسب ما تفرضه المواقف التواصلية الإيجاز والإطناب والمساواة ، لأنها ((صفات موجودة في الكلام ، ولكل منها موضع لا يخلفه فيه رديفه ، إذا وضع فيه انتظم في سلك البلاغة ودل على فضل الواضع وإذا وضع غيره دل على نقص الواضع وجهله برسوم الصناعة)) (2) ونتبين مما سبق أن الأدباء والنقاد والعلماء العرب قد أولوا البلاغة عناية خاصة وربطوها بالعملية التواصلية حيث أفردوها بالعديد من المؤلفات التي تناولوا فيها الحديث عن أقسام البلاغة من علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع، وبينوا خصائص وضوابط كل منها . ولقد ازداد اهتمام العلماء المسلمين بها على مر العصور ((ليستعينوا بها على معرفة أسرار الإعجاز في القرآن الكريم كتاب الله .)) (3) وبتزايد هذا الاهتمام بالبلاغة العربية ازداد اهتمامهم بعلم البيان الذي تناولوا من خلاله الحديث عن الصورة في مفهومها الضيق وأشكالها وأغراضها رابطين ذلك بما يعرف عندهم بمقتضى الحال أي المواقف التواصلية .

الصورة لغة من ((ص و ر . والصور بكسر الصاد لغة في الصور جمع صورة و صور تصويرا فتصور وتصورت الشيء توهمت صورته فتصور لي والتصاویر التماثيل)) (4) ، وقد يراد بالصورة بالضم ((الشكل ج : صُورٌ وصِوْرٌ كعنب وتستعمل الصورة

(1) . خزانة الأدب ج2 ، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزرازي . ص : 482

(2) . صبح الأعشى في صناعة الإنشا ج2 ، أحمد بن علي القلقشندي . ص : 363

(3) . في البلاغة العربية : علم البديع ، د/ عبد العزيز عتيق . ص : 05

(4) . مختار الصحاح ، الرازي . ص : 156

بمعنى النوع والصفة . (((1)

وفي الاصطلاح يراد بالصورة في مفهومها العام ((التركيب القائم على الإصابة في التنسيق الفني الحي لوسائل التعبير التي ينتقيا وجود الشاعر . أعني خواطره ومشاعره وعواطفه . المطلق من عالم المحسات ، ليكشف عن حقيقة المشهد أو المعنى ، في إطار قوي تام محس مؤثر على نحو يوقظ الخواطر والمشاعر في الآخرين .)) (2) ، ويحمل هذا التركيب ((شحنة شعورية ونفسية وفكرية تتبعثر أو تختفي شيئاً ما بين دراسة جزئياتها على انفراد)) (3) ، وتتمثل الصورة في ما يعرف بألوان البيان من تشبيه واستعارة وكناية ومجاز أو ما يسميه السكاكي (ت : 626 هـ) بـ " صياغات المعاني " (4) أو ما يطلق عليه البعض الآخر " الخيال " .

مقومات الصورة

تعتبر اللغة والأسلوب ((جوهر الصورة ، وإن استعملا في شتى ألوان الفكر والنشاط الإنساني الآخر ، والصورة تتخذ كلا من اللفظ والأسلوب وسيلة للتخيل والتجسيم والتشخيص والتلوين والإيحاء والحركة والأضواء والظلال والإيقاع والترتيب ، وهذا ما نطلق عليه البناء الفني للصورة الشعرية أو الأدبية)) (5) ، وهذا يعني أن الصورة تقوم على مقومات ومنها : المجاز ، الخيال ، التجسيم والتشخيص العدول والانزياح .

(1) . القاموس المحيط ج 1 . ص : 548

(2) . البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، د/ علي علي صبح . ص : 12

(3) . البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، د/ علي علي صبح . ص : 40

(4) . ينظر البلاغة العامة ، فكر ونقد ، محمد العمري ، مجلة ثقافية فكرية ، العدد : 25 . ص : 35

(5) . البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، د/ علي علي صبح . ص : 24

1. المجاز

ميز البلاغيون العرب في حديثهم عن الصورة بين الحقيقة والمجاز ولم يعتبروهما من أجزاء علم البيان فحسب بل عداهما البعض ((علم البيان بأجمعه ، فإن في تصريف العبارات على الأسلوب المجازي فوائد كثيرة)) (1) ، ويعرفون الحقيقة بأنها ((اللفظ الدال على موضوعه الأصلي)) (2) . أما المجاز ((فهو ما أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة ، وهو مأخوذ من جاز من هذا الموضع إلى هذا الموضع إذا تخطاه إليه ، فالمجاز إذا اسم للمكان الذي يجاز فيه كالمعاج والمزار وأشباههما ، وحقيقته هي الانتقال من مكان إلى مكان فجعل ذلك لنقل الألفاظ من محل إلى محل كقولنا زيد أسد فإن زيدا إنسان والأسد هو هذا الحيوان المعروف وقد جزنا من الإنسانية إلى الأسدية أي عبرنا من هذه إلى هذه لوصلة بينهما وتلك الوصلة هي صفة الشجاعة وقد يكون العبور لغير وصلة وذلك هو الاتساع كقولهم في كتاب كليله ودمنة قال الأسد وقال الثعلب)) (3) ، وتعرف آخر المجاز هو ((عملية لغوية تعمل على إنتاج بنيات لغوية من نوع معين ، وهي البنيات المسماة مولدة، ويتحكم في إنتاجها ما هو تصوري وبذلك فإن بناءها يتم على مستوى التمثيل الذهني)) (4) ، ومن الأهمية بمكان أن أشير أن سيبويه قد أدرك الاستعمال المجاز في بعض تراكيب اللغة ، وإن لم يسمه مجازا ولكنه حام حوله في حديثه عن أقسام الكلام وبالذات في ((النوع المستقيم الكذب الذي مثل له بمثالين : حملت الجبل وشربت ماء البحر ، وبديهي أن الجبل بمعناه المعروف لا يستطيع حمله أحد وماء البحر لا

(1) . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج1 ، ضياء الدين بن الأثير . ص : 74

(2) . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج1 ، ضياء الدين بن الأثير . ص : 74

(3) . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج1 ، ضياء الدين بن الأثير . ص : 74

(4) . مدخل إلى الدلالة الحديثة ، عبد المجيد جحفة . ص : 110

يستطيع أن يشربه فرد (...)) (1)

وفي السياق ذاته يقول السيوطي (ت : 911 هـ) : ((الحقيقة الكلام الموضوع موضعه الذي ليس باستعارة ولا تمثيل ولا تقديم فيه ولا تأخير كقول القائل : أحمد الله على نعمه وإحسانه ، وهذا أكثر الكلام وأكثر آي القرآن وشعر العرب على هذا . وأما المجاز فمأخوذ من جاز يجوز إذا استن ماضيا ، تقول جاز بنا فلان وجاز علينا فارس هذا هو الأصل ثم تقول : يجوز أن تفعل كذا أي ينفذ ولا يرد ولا يمنع)) (2) ويقع المجاز ((ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة ، وهي الاتساع والتوكيد والتشبيه ، فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة)) (3) فالمجاز كما يقول ابن الأثير (ت : 637) ((فرع من الحقيقة وأن الحقيقة هي الأصل ، وإنما يعدل عن الأصل إلى الفرع لسبب اقتضاه ، وذلك السبب الذي يعدل فيه عن الحقيقة إلى المجاز إما أن يكون لمشاركة بين المنقول إليه في وصف من الأوصاف وإما أن يكون لغير مشاركة ، فإن كان لمشاركة فإما أن يذكر المنقول والمنقول إليه ، وإما أن يذكر المنقول إليه دون المنقول فإن ذكر المنقول والمنقول إليه معا كان ذلك تشبيها)) (4) ، والمجاز ((جنس يشتمل على أنواع كثيرة كالاستعارة والمبالغة والإرداف والتمثيل والتشبيه وغير ذلك مما عدل فيه عن الحقيقة الموضوعة للمعنى المراد (...)) (5) والصورة كما يقول الجرجاني : ((تصنع انطلاقا من قوة المجاز أو التشخيص الذي يوجد " التخيل " أو الخيال ، وهذه الصورة المتخيلة في الشعر هي تلك التي تملك

(1) . البلاغة عند المفسرين حتى القرن الرابع الهجري ، د/ رابح دوب ، دار الفجر للنشر والتوزيع

ط2 ، 1999 . ص : 76

(2) . المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، جمال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط1 . 1998
ص : 381

(3) . الخصائص ج2 ، ابن جني . ص : 442

(4) . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج1 ، ضياء الدين بن الأثير . ص : 343

(5) . خزنة الأدب ج2 ، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزرازي . ص : 440

القدرة على الإثارة وتفاعل فعلا شبيها بما يقع في نفس الناظر إلى التصاوير التي يشكلها الحذاق بالتخطيط والنقش أو بالنحت والنقر ، فكما أن تلك تعجب وتروق وتؤلق وتخل النفس من مشاهدتها حالة غريبة لم تكن قبل رؤيتها. (((1)

وإذا كان للمجاز الذي يعتمد إليه المرسل هذا الأثر العجيب في نفسية المستقبل كما يرى الجرجاني، فإنما يكون ذلك من خلال مراعاة النظم لأن ((هذه المعاني التي هي الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من بعدها من مقتضيات النظم وعنها يحدث وبها يكون لأنه لا يتصور أن يدخل شيء منها في الكلم ، وهي أفراد لو يتوخ فيما بينها حكم من أحكام النحو ، فلا يتصور أن يكون ها هنا فعل أو اسم قد دخلته الاستعارة من دون أن يكون قد ألف مع غيره)) (2)

ومن ههنا تتأكد علاقة البلاغة بالنحو ، فلا يمكن فهم الصورة ولا تحديد عناصرها أو تركيبها والوقوف على دلالاتها من دون نحو لأن ((موضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة وصاحبه يسأل عن أحوالهما اللفظية والمعنوية ، وهو والنحوي يشتركان في أن النحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي وتلك دلالة عامة وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة وهي دلالة خاصة ، والمراد بها أن يكون على هيئة مخصوصة من الحسن وذلك أمر وراء النحو والإعراب ، ألا ترى أن النحوي يفهم معنى الكلام المنظوم والمنثور ويعلم مواقع إعرابه ومع ذلك فإنه لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة ومن ههنا غلط مفسرو الأشعار في اقتصارهم على شرح المعنى وما فيها من الكلمات اللغوية وتبيين مواضع الإعراب منها دون شرح ما تضمنته من أسرار المعنى وما فيها من

(1). أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني . ص : 317

(2). ينظر أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني . ص : 26

الكلمات اللغوية وتبيين مواضع الإعراب منها دون شرح الفصاحة والبلاغة (((1) ، ولهذا يمكن اعتبار النحو والبلاغة وجهين لعملة واحدة وكلاهما مكمل للآخر . والأكثر من هذا وذلك أن كافة فروع اللغة العربية وعلومها من نحو وصرف وبلاغة وعلم التراكيب وعلم الأسلوب وعلم الدلالة وغيرها تتكامل فيما بينها لتحقيق الغاية من العملية التواصلية وهي الفهم والإفهام .

إن وجه استحسان الصورة وقوة تأثيرها وجاذبيتها في جودة تركيبها وحسن تأليفها، ولا تركيب ولا تأليف إلا بمراعاة هذه الفروع مجتمعة لأن المكلة أو الكفاءة التواصلية تقتضي الإلمام بهذه الأخيرة لأن ((بمقدار البراعة في جودة النظم والقدرة الفنية في اتساق التركيب تكون جودة الصورة وقدرتها على نقل الفكرة والإحساس بها عن صدق ودقة ، فيرفع اللفظ أو ينصبه أو يجره فيتضح المعنى أو بعدمه حيث يصلح التقديم أو يظهره ، ليكون أبلغ من الإضمار أو يحذفه وفاء بالعرض أو ينكره أو يعرفه حيث يبلغ الغاية بالمعنى)) (2) من جهة ، ولأن الصورة من جهة ثانية

((تتميز بالمراتب التعديلية الباقية وهي الإضافة adicatro والحذف detractro أو تغيير النظام trammitatro ، ومن ثم فإن الصور ما هي إلا طرق مختلفة لاعتماد الخطاب أو تعديله " بالإضافة أو الحذف أو بتغيير النظام " ومن ثم فإنها تؤثر على محور التراكيب sintagmatico ، وعلى تداخل العناصر)) (3) ومن هنا كان منشأ التفاوت بين الصور لدى الأدباء والشعراء والكتاب وعامة الناس في تواصلهم اليومي، ومن هنا

(1) . البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، د/ علي علي صبيح . ص : 39

(2) . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج1 ، ضياء الدين بن الأثير . ص : 26

(3) . البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، د/ علي علي صبيح . ص : 65

أيضا كانت ((المشقة في تحديد المعنى لاختلاف الأذواق)) (1) لدى المستقبلين .
 بمعنى أن عملية التلقي تختلف من شخص لآخر ((فما يجسده ذهن امرئ ما من
 إحياءات ودلالات نتيجة تلقيه صورة معينة ، قد يكون مختلفا عما يجسده ذهن امرئ
 آخر ، ولعل هذا التجسيد الذهني للإحياءات والدلالات يختلف من شخص لآخر
 وينبع هذا الاختلاف من التركيب النفسي لكليهما)) (2) . وقد يرجع هذا الاختلاف
 في تأويل الصورة من مستقبل إلى آخر إلى ((ثقافته واهتمامه ، وما يراه من البوارق
 الأولى في النظرة الشمولية العامة)) (3) إضافة إلى البيئة والمحيط .
 وهذا ما ينطبق على اللغة الأدبية واللغة غير الأدبية لأن ((الاعتقاد بأن التواصل
 الأدبي يختلف عن غير الأدبي يعني الإقرار بأن الأدب يتعارض مع غير الأدب)) (4)
 ففي اللغة غير الأدبية أو ما يسمى عند البعض باللغة العامية أو العادية ((كمية
 ضخمة من الصور الشكلية ، نظرا لأن عملية " الإحلال " عملية ملتصقة بعمل اللغة
 نفسه فاللغة تربط دائما أشياء بأخرى ومفردات بأخرى ، منذ سوسير نعرف أن اللغة
 نظام sistema من العلاقات الاستبدالية Paradigmaticas والسياقية syntagmaticas تحصل فيه
 كل مفردة على قيمتها بوضعها في هذا النظام من العلاقات وإحلال شيء محل آخر
 عن طريق علاقته الاستبدالية أو السياقية أمر لازم ولا يتميز به الأدب وحده)) (5)

(1) . نظرية اللغة الأدبية ، خوسيه ماريا بوتويلو إيقانكوس ، تج د/ حامد أبو أحمد ، مكتبة غريب

ط 1 ، 1988 . ص : 188

(2) . الإبلاغية في البلاغة العربية ، سمير أوب حمدان . ص : 137

(3) . بلاغتتا بين الجمالية والوظيفية ، د/ محمد بركات حمدي أبو علي . ص : 77

(4) . نظرية اللغة الأدبية ، خوسيه ماريا . ص : 27

(5) . نظرية اللغة الأدبية ، خوسيه ماريا . ص : 202 ..

تتصل الصورة باللغة الأدبية وغير الأدبية اتصالاً وثيقاً بالواقع ولا تكاد تنفصم عنه ، ومن ثمة فهي لا تخلو من المؤثرات الاجتماعية والثقافية والفكرية والنفسية السائدة في المجتمع ، فهي مستمدة من البيئة وتصب فيها ، ومن هنا يتساوى فيها الفصيح من الكلام وغير الفصيح منه، فالشاعر والأديب يستعين بالمجاز كما يستعين به غير الأديب في مواقفه التواصلية العادية ، فهو يلجأ إلى التشبيه تارة أو إلى الاستعارة أو الكناية أو المجاز تارة أخرى للتعبير عن رأي أو فكرة أو شعور أو عاطفة أو غيرها بحسب ما يقتضيه الموقف التواصلية .

والجدير بالتنبيه أن الأديب إذا كان يلجأ إلى الإيحاء أو المجاز ويؤثرهما على التصريح . إذ ((أجمع النقاد وعلماء البلاغة قديماً وحديثاً على أن الإيحاء أقوى أثراً في النفس من التصريح وأن المعنى الذي ينتهي إلى المتلقي بعد مجاهدة النفس وكد خاطر وإعمال الفكر والشعور وتقلبهما على وجوههما المختلفة يكون أمكن في النفس وأعظم أثراً فيها وأقوى ارتباطاً بها ، فلا يغيب عنها بعد ذلك ، لأن الشيء الذي يرد إلى النفس بسرعة ، يعزب عنها على عجل والشيء الذي تظمن إليه بعد لأي ومشقة لا يذهب إلا بعد القدر أو أكثر)) (1) . فلا جناح إذاً على غير الأديب من اللجوء إلى الإيحاء والجاز أي الصورة في مفهومها الواسع لأنه يسعى إلى تحقيق الأثر نفسه الذي يسعى إليه الأديب ، ومن هنا فإننا كثيراً ما نسمع ونستعمل مختلف الصور في تواصلنا اليومي لما لها من وقع وأثر كبيرين في نفسية المتسقبلين

2. الخيال أوالتخييل :

يشير مصطلح الخيال إلى ((القدرة على تكوين صورة ذهنية لأشياء غابت عن متناول الحس ، ولا تتحصر فاعلية هذه القدرة في مجرد الاستعادة الآلية لمدرجات حسية ترتبط بزمان أو مكان بعينه ، بل تمتد إلى ما هو أبعد وأرحب من ذلك ،

(1) . البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، د/ علي علي صبيح . ص : 32

فتعيد تشكيل المدركات ، وتبني منها عالما متميزا في جدته وتركيبه وتجمع بين الأشياء المتنافرة والعناصر المتباعدة في علاقات فريدة تذيب التنافر والتباعد)) (1) ويعني الخيال في علم النفس ((بأنه انتخاب المخيلة للمعاني عند تداعياها ، واستحضار هذه الأخيرة العناصر المناسبة للمرام واقتصارها على ما يدعو إليه الغرض حتى أنها تأخذ الجسم مقطوعا من بعض الأعضاء التي لا مدخل لها في المعنى ، فتتخيل إنسانا بغير عنق ، كقول ابن هانئ :

كأن رؤسهم والنوم واضعها *** على المناكب لم تخلق بأعناق (((2)

يعد الخيال أساس الصورة البلاغية فهو ((قوامها ومبدع سرها ، ولعل إبلاغية الصورة ، ونحن نسعى إلى التركيز عليها هنا ، يزداد مقدراتها وتتضاعف كميتها فيما لو أخذت سبيلها إلى التخيل، فالتخيل يضم في داخله طاقة نفسية إبلاغية لا حد لها)) (3) ، بمعنى أنه ((ملكة في نفس الأديب تخلق التوازن بين الأشياء وتؤلف بين المتناقضات وتوفق بين المتعارضات، وتمزج بين الإحساس الجديد الطارئ وبين القديم المخزون في النفس ، وتركب بين الواقع المرئي المشاهد وبين الواقع المذاب في الذهن ، وتنظم بين الانفعال العادي وبين الدرجة العالية منه ليتم من وراء ذلك تأليف صور الخيال المختلفة...)) (4) ويعرفه الجرجاني في معرض حديثه عن الفرق بينه وبين الاستعارة بأنه ((ما يثبت فيه الشاعر أمرا هو غير ثابت أصلا ، ويدعي دعوى لا طريق إلى تحصيلها ويقول قولا يخدع به

(1) . الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، د/ جابر عصفور ، المركز الثقافي

العربي ، ط3 ، 1992 . ص : 13

(2) . ينظر الخيال في الشعر العربي : دراسة أدبية ، محمد الخضر حسين ، جمع وتحقيق على الرضا

التونسي المطبعة التعاونية ، ط2 ، 1972 . ص : 18 ، 20 ، 56 ، 58

(3) . الإبلاغية في البلاغة العربية ، سمير أوب حمدان . ص : 139

(4) . البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، د/ علي علي صبح . ص : 127

نفسه ويربها ما لا ترى ..)) (1)

يعتبر الخيال ((شرطاً لازماً لوجود الأدب ، فبدون تخيل لا يوجد أدب.)) (2) ولا يختلف الخيال عن المجاز في الأثر الذي يتركه في نفس المتلقي لأن ((عادة النفس الارتياح للأمر تشاهده في زي غير الذي تعهده به والتخييل يأتيها من هذا الطريق فيعرض عليها المعاني في لباس جديد ويجليها في مظهر غير مألوف فللتخييل فائدة عامة لا تتخلى عنه وهي تحريك نفس السامع لتلقي المعنى بارتياح له وإقبال عليه، ولو كان من قبيل الحديث المألوف أو المعلوم بالبداهة)) (3) بمعنى أن ((التخييل يؤثر إذن على دائرة لاتصال نفسها حيث تظهر الانقسامات ..)) (4) يتفاوت الناس من حيث الخيال بتفاوت فطرتهم ((فيكون من أسباب التفاوت في جودة الخيال ما هو عائد إلى الفطرة)) (5) ، ومن هنا أيضاً يتفاوت المتستقبلون في فهم الصورة وإدراك فحواها فقد ((يصوغ الشاعر المعنى لأول خطاب في صورة خيالية فلا يدركه إلا من صفت قريحته ورقت حاشيته ألمعيته ، ككثير من الأشعار الواردة عن طريق المعميات والألغاز، أو من سبق إليه ما يهديه إلى المراد ويساعده على فهمه من قرينة حال أو مقال ، كبعض المحاورات التي يقصد فيها المتخاطبان إلى إخفاء الغرض

(1). أسرار البلاغة ، الجرجاني . ص : 199

(2). نظرية اللغة الأدبية ، خوسيه ماريا . ص : 105

. ينظر البناء افني للصورة الأدبية في الشعر ، د/ علي علي صبح . ص : 13 ، 123 ، 125

(3). الخيال في الشعر العربي : دراسة أدبية ، محمد الخضر حسين . ص : 56

. ينظر الخيال في الشعر العربي : دراسة أدبية ، محمد الخضر حسين . ص : 59 ، 60

(4). نظرية اللغة الأدبية ، خوسيه ماريا . ص : 105

(5). نظرية اللغة الأدبية ، خوسيه ماريا . ص : 33

وكتمه عن يصغي إلى حديثهم أو يطلع على رسائلهم .)) (1) وفي هذا المعنى يقول ((أحد الفلاسفة : إني لا أسأل عن السبب في أن معنى من المعاني يدعو آخر ، ويأخذ بناصيته ولكني أبحث في شيء آخر ، وهو أن المعنى الواحد قد يختلف تواليه باختلاف الأشخاص، ثم قال : ويمكن الجواب في هذا بأن الناس يختلفون في ميولهم وشعب وجهتهم في الحياة فكل معنى يدعو لصاحبه ما هو ألصق بميله وأقرب إلى عمله .)) (2) ويعزى هذا التفاوت والاختلاف في توالي المعاني وفهمها كما سبقت الإشارة إلى البيئة والمحيط في مفهومه العام . ويرى بعض النقاد أن الخيال ((يصلح أن يكون بمنزلة أصل تتفرع عليه تفاصيل المواد أحدها :

. تكثير القليل .

. تكبير الصغير .

. تصغير الكبير .

. جعل الموجود بمنزلة المعدوم .

. تصوير الأمر بصورة حقيقة آخر .)) (3)

ومن أغراض التخيل ودواعيه في الأدب تقوية الداعية إلى الأخذ بالشيء والحث على الثبات والصبر ، والتحذير مما يرغب فيه وتخفيف الرغبة فيه ، وتقليل الاهتمام به والتسلية ، وإزالة ما يخالط النفس من النفور ، والدلالة على المبالغة . (4)

(1) . الخيال في الشعر العربي : دراسة أدبية ، محمد الحضر حسين . ص : 17

(2) . الخيال في الشعر العربي : دراسة أدبية ، محمد الحضر حسين . ص : 33

(3) . الخيال في الشعر العربي : دراسة أدبية ، محمد الحضر حسين . ص : 33

(4) . ينظر الخيال في الشعر العربي : دراسة أدبية ، محمد الحضر حسين . ص : 60 وما بعدها

والجدير بالإشارة أن النقاد قسموا الخيال إلى ((خيال ابتكاري ، ويتضح في الصورة الجديدة التي تتركب من عناصر مألوفة ، وإلى خيال تألفي ، ويظهر من الصور التي تولدت من صور أخرى وتبعث من سابقة لها تضاهيها ، وإلى خيال بياني تفسيري وهو ما عليه النقد القديم ويظهر في تفسير أسرار الوجود بصورة حسية كتصوير الهدى بالنور)) (1) . ولكل قسم من هذه الأقسام موضعه ومقامه، فقد يلجأ الأديب أو المتكلم إلى الخيال الابتكاري أو يتجاوزه إلى الخيال التألفي أو إلى الخيال التفسيري حسب ما يفي بالغرض ويحقق الغاية من العملية التواصلية .

3. التجسيم والتشخيص : Personnification

التجسيم كما يعرفه العقاد نقلا عن علي صبح هو ((القدرة على خلق الأشكال للمعاني المجردة أو خلق الرموز لبعض الأشكال المحسوسة)) (2) بمعنى نقل المشاعر والأحاسيس والعواطف والعيوب والمحاسن أي الصفات والأحداث والمعاني المجردة الموجودة في الذهن في صور محسوسة ملموسة في الواقع ويعول فيه ((على التبدل والتحويل والتغيير والتصيير .)) (3)

أما التشخيص فهو تصوير الجماد وغير الجماد في صورة إنسان أي شخص بمعنى منح الحياة لما يقع تحت البصر أو ما يختلج الصدر من عواطف وأحاسيس فعن طريقه ((يمنح الشاعر المعنى حياة آدمية ويبعث في الفكرة حركة نابضة وتسري في الخاطرة الألوان الشاخصة ، والأشكال الإنسانية وتلهب المواد في الطبيعة بالعواطف البشرية ، وتفيض مظاهر الحياة بالوجدان المتدفق والانفعال القوي ويصير غير الأحياء من الناس أناسا يتعاطفون ويتجاوبون ويعشقون ويحبون، وبذلك تتحد مظاهر الحياة

(1) . البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، د/ علي صبح . ص : 124

(2) . البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، د/ علي صبح . ص : 186

(3) . البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، د/ علي صبح . ص : 186

الحياة في طيات سر الوجود .)) (1)

لقد أدرك بعض البلاغيين العرب ما للتشخيص والتجسيم من أهمية بالغة في تصوير المعاني الذهنية في أشكال محسوسة حيث تنبهوا ((إلى ما ينطوي عليه تجسيد أو تشخيص المعاني الذهنية المجردة في صور حسية من تأثير بلاغي جم ، حتى أن بعضهم ذهب إلى أبعد من ذلك معتبرا أن التجسيد لهو الأساس الأول بل الوحيد في أي إثارة انفعالية .)) (2)

والملاحظ أنه وعلى الرغم مما هنالك من فرق بين مفهومي التجسيم والتشخيص فإنه غالبا ما يأتي الأول مرادفاً للثاني والعكس صحيح . ومن أشكال التشخيص التي عددها على علي صبح : تشخيص معنى من المعاني ، أو معنى نفسي ، أو صراع داخلي ، أو عاطفة حارة في صورة أدبية ، أو حالة خاصة ، أو المواد الجامدة .

4 . العدول والانزياح : Ecart

يعد العدول والانزياح أو كما اصطلح البعض على تسميته بالانحراف ((خرقا أو انتهاكا للاستخدام العادي للغة ، وهو بهذا يمكن أن يفتح آفاقا لمجالات تستخدم فيها اللغة استخداما غير معهود أو مألوف . وإن الإتيان باستخدامات لغوية جديدة يعني أن هناك بعدا فنيا يكمن وراء مثل هذه الاستخدامات التي تتجاوز حدود ما هو مألوف)) (3) ، و من ضمن مرادفات الانزياح التي شاع استعمالها حديثا ((التجاوز والاختلال والإطاحة والمخالفة والشناعة والانتهاك وخرق السنن واللحن والعصيان والتحريف.)) (4) في النظرية النقدية الغربية ويعرف في النقد العربي

- (1) . البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، د/ علي علي صبح . ص : 187
- . ينظر اللغة والخطاب ، عمر أوكان ، إفريقيا الشرق المغرب ، ب . ط ، 2001 . ص : 170
- (2) . الإبلاغية في البلاغة العربية ، سمير أبو حمدان . ص : 146
- (3) . ينظر البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، د/ علي علي صبح . ص : 187
- (4) . الأسلوبية : مفاهيمها وتجلياتها ، د/ موسى سامح ربابعة ، دار الكندي للتوزيع والنشر الأردن

بالإتساع والعدول والمخالفة والغرابة وغيرها ، ويقابلها عندهم المعيار الذي يراد به أصل اللغة وأصل الوضع والحقيقة وغيرها من المصطلحات . (1)

يندرج الانزياح والعدول في النقد العربي ضمن المجاز لأنهما يقومان على استعمال اللفظ في غير ما وضع له في وضعه اللغوي ، بمعنى نقل اللفظ من حقل دلالي إلى حقل دلالي آخر يضيف عليه السياق من الظلال ما يكسبه دلالة أخرى غير الدلالة الوضعية ، وهذا بهدف التوسع في الكلام (2) ، بمعنى أن العدول هو تحويل الألفاظ من صيغة إلى صيغة أخرى ((ولا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك ، وهو لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي لطلع على أسرارهما وفتش عن دفائنها ولا تجد ذلك في كل كلام ، فإنه من أشكال ضروب علم البيان وأدقها فهما وأغمضها طريقا..)) (3) ويعتبر ((مفهوم الانزياح إطارا نظريا أساسيا لمعرفة تصورات البنيوية الشعرية المتعلقة بالأوجه البلاغية ، ذلك أن هذا المفهوم يحضر في أبيات الشعرية الحديثة بشكل صريح ويؤدي "جون كوهن" أو بشكل مضمحل وراء مفاهيم موازية مثل الوظيفة الشعرية " ياكبسون" والشفافية " تودروف " (4) . ويعد المجاز من العدول وفي هذا يقول سمير أبو حمدان : ((وهذا الانزياح في دلالة اللفظ ومعناه إنما يشار إليه تحت اسم " المجاز المرسل")) (5). كما تعد الكناية والتشبيه والاستعارة من العدول عن ((الصريح بذكر الشيء إلى ما يلزم)) (6)

- (1) . البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، د/ علي علي صبح . ص : 187
- (2) . ينظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج1 ، ضياء الدين بن الأثير . ص : 348
- (3) . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج2 ، ضياء الدين بن الأثير . ص : 12
- (4) . نقد الانزياح مجلة المعرفة العدد 23 ، إسماعيل شكري . ص : 01
- (5) . الإبلاغية في البلاغة العربية ، سمير أبو حمدان . ص : 171
- (6) . خزنة الأدب ج2 ، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزرازي . ص : 309

وإذا كان الانزياح نوعاً من الاتساع أو التوسع أو المجاز فإنه يستوجب على المستقبل أولاً ((تأويلاً وتخريجات ، وهذا أمر عول عليه النقاد والبلاغيون العرب كثيراً وربطوه بالأثر النفسي الذي يتجلى من خلاله التوسع في استخدام العبارات التي لا تتكشف أبعادها إلا بعد مصاولة ومعاودة .)) (1) لأن ((المنشئ الذي ينتج الانحراف يقصد منه التأثير في القارئ وإثارة توقعه ، وإثارة التوقع عنصر مهم في الدراسة الأسلوبية التي صارت تعرف بأسلوبية التلقي .)) (2)

وثانياً : أن يكون على علم بنظام اللغة المستعملة لأن ((نظام اللغة يمكن أن يكون المعيار الذي يتحدد الانحراف على ضوءه .)) (3) ، ومن هنا يدرك هذا الأخير البعد التواصلي للصورة .

الغاية من الصورة :

لقد سبق أن أشرت في معرض حديثي عن علم البيان عن أثر الصورة والغاية منها إلا أنني قد رأيت أن أفردتها بهذا المبحث لأهميتها في العملية التواصلية والغرض منها ، وعليه ليس من العبث أن نلجأ إلى الصورة في ما نكتب ، أو نقول وليس من العبث أيضاً أن نعلم إلى التعبير المباشر أحياناً وغير المباشر أحياناً أخرى ، وإذا كان للأول أهميته في العملية التواصلية فإن للثاني أيضاً دوره وأهميته لأن ((الإخفاء والتستر قد يكون حسنة من حسنات الكلام ، وقد يكون في بعض الأحيان ضرورة من الضرورات توجبها عفة القلب ، وعفة اللسان والقلم ، ويوجبها دفع المضرة عن القارئ أو السامع أو غيرها .)) (4) فالمراد بالتستر هنا هو اعتماد الصورة كشكل من أشكال التعبير تفرضها طبيعة الموقف التواصلي لغاية محددة يسعى إليها المرسل .

(1) . البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، د/ علي علي صبح . ص : 48

(2) . البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، د/ علي علي صبح . ص : 40

(3) . البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، د/ علي علي صبح . ص : 52

(4) . قضايا النقد الأدبي ، بدوي طبانة . ص : 153

إن الصورة سواء كانت كلية أو جزئية وعلى اختلاف وتنوع أشكالها، إنما تهدف في الأساس إلى نقل أفكار ومشاعر وأحاسيس المرسل أولاً وإثارة دافعية المستقبل وفضوله ثانياً ، ومن هنا فإن ((الصورة الأدبية أصدق تعبير عما يجول في النفس من خواطر وأحاسيس ، وأدق وسيلة تنقل ما فيها إلى الغير بأمانة وقوة ، وأجود موصل إلى الآخرين في سرعة وإيجاز وقوة ، والصورة أجمل وأنضر طريقة في شد العقل والخيال إليها ، وربط الإحساس بها ، وتجاوب المشاعر لها ، وإحياء العاطفة وسحر النفس)) (1) ، ومن هنا كانت الصورة ولا زالت الوسيلة المفضلة ليس لدى الأديب أو الشاعر فحسب ، بل لدى عامة الناس في تواصلهم اليومي

حيث يعتمد الكل في نقل الأفكار والمشاعر ((على طرق عديدة من التعبير عن المعنى بالحسنات وإيثار الوحي والتخييل والتجسيم والتشخيص ليصل إلى مضمون الصورة ...)) (2)

إن الغاية من الصورة وإن كان البعض يحصرها في الجانب الجمالي ، فإنها لا تعدم أن تكون وسيلة أو أداة فعالة في العملية التواصلية ، ويمكن القول إن الغرض التواصلية منها يكون أحياناً أهم من البعد الجمالي ، وهذا خلاف من يقول : ((الجمال هو الغاية من هذه الفنون ثم يلي ذلك الخبر والفائدة ثانياً)) (3) ، لأن الصورة ((لا تسعى إلى التبليغ وحسب ، بل وتعمل على تغيير الاعتقاد المستتب في الثقافة والذائقة . وكأنها بذلك تضيف إلى الرأي العام رأياً جديداً ، تستحثهم على الأخذ به ، وإدراجه في اعتباراتهم إزاء ما تعرضه من تأليف جديد للفكرة

(1) . البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، د/ علي علي صبح . ص : 33

(2) . البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، د/ علي علي صبح . ص : 33

(3) . البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، د/ علي علي صبح . ص : 16

والرأي ((. (1)

إن من أغراض اللغة الأساسية الإبلاغ والإثارة والتواصل وتبادل الأفكار والمشاعر وغيرها ، وأن هذه الوظائف ((تتعدد بتعدد استعمالات اللغة وموقعها)) (2) ، إلا أنها لا تتحقق ((بعزل الجانب اللغوي عن دلالاته ، بل تنبثق من حركة الكل أثناء التلقي وسياقاته الثقافية الخاصة .)) (3)

ومن هنا ترتبط الصورة أو المشهد الفني بهذه الوظائف ذاتها ، وعليه يكون ((البحث في وظائف الصورة الأدبية ، بحثاً في وظائف اللغة ذاتها ، ما دام الفصل بين الصور ووسيطها اللغوي أمراً متعذراً . وكل ما يساق عن وظائف اللغة في إطارها التجريدي العام ، يمكن أن يُقصر . بطريقة أو أخرى . على الصورة والمشهد.. فما يصلح للإبلاغ يكون من صميم الاستعمال العادي للصورة وما يتصل بالإثارة يكون من اختصاص الدلالات التي تتعدد بحسب التلقيات المختلفة .)) (4) يمكن للصورة . إذاً . ومن خلال ما تقدم أن تؤدي الوظائف الآتية :

- الوظيفة النفعية : Fonction instrumentale

تتجلى أهمية هذه الوظيفة أنها تسمح لمستخدميها ((أن يشبعوا حاجاتهم ، وأن يعبروا عن رغباتهم ، وما يريدون الحصول عليه من البيئة المحيطة ، وهذه الوظيفة هي التي يطلق عليها وظيفة " أنا أريد " .)) (5) وإذا ما أسقطنا هذه الوظيفة على الصورة أو المشهد الفني كما يقول حبيب مونسي : ((حققت لنا ما تحققه اللغة في استخدامها

(1) . شعرية المشهد غي الإبداع الأدبي ، حبيب مونسي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ب . ط

2009 . ص : 89

(1) . فلسفة اللغة واللسانيات ، د/ نو الدين النيفر . ص : 150

(2) . شعرية المشهد في الإبداع الأدبي ، حبيب مونسي . ص : 88

(3) . شعرية المشهد في الإبداع الأدبي ، حبيب مونسي . ص : 88

(4) . فلسفة اللغة واللسانيات ، د/ نور الدين النيفر . ص : 151

العام . خاصة وأن المشهد الفني . في كونه وسيلة تعبيرية . يخدم رغبة تعبر عن طلب " Demande " يتوجه به الشاعر إلى ذاته أولاً وإل غيره ثانياً ، لتحقيق ضرب من الإشباع . والمشهد " وسيلة " في إطار رؤية عامة تشكل الموقف الفني الذي يصدر عن الشاعر والفنان ، يتدرعه لبلوغ أقصى مراقي التبليغ والتأثير . (((1) ، وفي هذا يتساوى الشاعر وغير الشاعر حين يلجأ إلى الصورة في تواصله مع غيره .

- الوظيفة التنظيمية : Fonction régulatoire

للغة مغزى اجتماعي وعليه فهي من وجه نظر المدرسة الفكرية حقيقة اجتماعية فهي إذاً أداة تساعد على تسيير شؤون المجتمع وتصريف أموره وتوجيه الأفراد وتقويم سلوكهم لأن ((الكلمة تستعمل في أداء الأعمال وإنجازها لا لوصف الأشياء أو ترجمة الأفكار.)) (2) ومن هنا لا تخلو الصورة أو المشهد الفني من أداء هذه الوظيفة ، لأن كليهما ((يعمل على تحويل الاعتقاد وزحزحته من أفق إلى آخر)) (3) فغالبا ما تتخذ الصورة أو المشهد الفني وسيلة للنقد والانتقاد والسخط والرضا عن تصرفات أفراد المجتمع .

- الوظيفة التفاعلية : Fonction d'interaction

الإنسان مدني بالطبع والفرد كما يقال ابن بيئته ومحيطه ، فهو يتخذ من اللغة أداة لمعرفة ما يحيط به والوقوف على حقيقة ما يجري من حوله ، فهو دوماً ((يسأل عن الجوانب التي لم يعرفها في بيئته حتى يستكمل النقص في معلوماته عن هذه البيئة ويكوّن صورة عنها.)) (4) ، ومن ههنا فإن الصورة أو ((الفن عموماً

(1) . شعرية المشهد غي الإبداع الأدبي ، حبيب مونسي . ص : 89

(2) . أساسيات تعليم اللغة العربية ، الدكتوران محمد كامل الناقة وفتحي يونس . ص : 11

(3) . شعرية المشهد غي الإبداع الأدبي ، حبيب مونسي . ص : 90

(4) . فلسفة اللغة واللسانيات ، د/ نور الدين النيفر . ص : 154

يحقق عبر أدواته الخاصة ما تحققه اللغة في هذه الوظيفة وغيرها . (((1) ومن أدوات الفن طبعاً التراكيب البلاغية بمختلف أشكالها .

- الوظيفة الإخبارية الإعلامية : Fonction Informative

إن الغرض الأساسي من اللغة هو الإخبار والتواصل والإعلام ، والشاعر كغيره يسعى من خلال ما يوظفه من صور إلى ((ضرب من الإعلام الخاص بلغته وفنه . إذ ليس في الإبداع الأدبي طلب اللذة الجمالية وحدها ، بل تحميل الصنيع الفني خطاباً خاصاً ، عامراً بالمعرفة والعلم ، هدفه ملامسة أكثر عدد من الناس والتأثير فيهم ، قصد تحقيق وظائف أخرى للنشاط الفني . (((2)

- الوظيفة التخيلية : Fonction Imaginative

يقوم الشعر باعتباره شكلاً من أشكال الفن على الخيال ، ويكمن الخيال فيه فيما يبطن به الشاعر خطابه من صور وتراكيب بلاغية لها من قوة التأثير ما يجعل الملتقي يسبح بخياله هو الآخر للوقوف على المراد ، ومن هنا تعتبر هذه الوظيفة ((عاملاً يبعث بالحركة في الحياة العمة ، مسهلاً الابتكار والإبداع وتنظيم ظروف العمل في أجواء من المتعة والراحة . إنها تجسيد لرغبات العملية التي يضيفها الفرد في مجال عمله وعلاقاته بالآخرين ، وما يصدق في اللغة بهذا المعنى يصدق كذلك في المشهد الفني . (((3) والجدير بالتنبيه أن الوظائف التي ((تؤديها اللغة في نشاطها العادي والتواصل بين الناس ، لا تستثني في حركتها تلك ، جانباً دون آخر ، بل التفكير اللغوي الحديث يسوق وظائفها على النحو الذي عددنا من دون أن نميز فيها بين العلمي والأدبي والحديث اليومي . (((4)

(1) . شعرية المشهد غي الإبداع الأدبي ، حبيب مونسي . ص : 91

(2) . شعرية المشهد في الإبداع الأدبي ، حبيب مونسي . ص : 93

(3) . شعرية المشهد في الإبداع الأدبي ، حبيب مونسي . ص : 93

(4) . شعرية المشهد في الإبداع الأدبي ، حبيب مونسي . ص : 94

ويمكن في الأخير أن نخلص أن الصورة تعد وسيلة من وسائل الاقتصاد اللغوي وهذا ما يحيلنا إليه علي صبح في قوله ((الصورة هي أقدر على نقل الأفكار العميقة والمشاعر الكثيفة في أوفر وقت ، وأوجز عبارة ، وأضيق حيز ، فكلما أمعن الناظر فيها استقطب أفكارا جديدة ومشاعر متجددة .)) (1)

الصورة الكلية والصورة الجزئية :

أ . الصورة الكلية :

الصورة الكلية هي تلك التي تعرف بالصورة الأدبية أو الشعرية ، وهي تقوم إضافة على المجاز والخيال والتجسيد والتشخيص والانزياح والعدول على الإيحاء والعاطفة والصورة الجزئية والموسيقى أي الإيقاع والنغم وغيرها (2) ، أي الأسلوب التصويري الذي تشترط فيه هذه الخصائص . وقد رأيت أن اكنفي بهذا التعريف الموجز للصورة الكلية ، لأن الذي يهمني من هذه الدراسة في المقام الأول هو الصورة الجزئية .

ب . الصورة الجزئية :

ينحصر تعريف الصورة الجزئية في ما يعرف في البلاغة بألوان البيان من تشبيه واستعارة وكناية ومجاز ، وكلها يشكل جزءا من الصورة الكلية ، وهي كما يقول الجرجاني : ((أصول كبيرة كأن جل محاسن الكلام . إن لم نقل كلها . متفرعة عنها ، وراجعة إليها ، وكأنها أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها ، وأقطار تحيط بها من جهاتها ، ولا يقنع طالب التحقيق أن يقتصر فيها على أمثلة تذكر ، ونظائر تعد ، نحو أن يقال : " الاستعارة مثل قولهم : الفكرة مخ العمل .)) (3)

(1) . البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، د/ علي صبح . ص : 34

(2) . ينظر البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، د/ علي صبح . ص : 26 ، 31 ، 222 ،

196 ، 197 ، 199 و 226 وما بعدها

(3) . أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني . ص : 27

وهذا ما سأتناوله بشيء من التفصيل في هذا المبحث . ولقد آثرت أن أشرع فيها بالحديث عن التشبيه لأنه الأصل الذي تتفرع عنه بقية ألوان البيان . (1)
أولا . التشبيه

مفهوم التشبيه :

لقد تناول البلاغيون العرب الحديث عن التشبيه وأسهبوا في مفهومه بحيث لا يسعني المقام أن أعرج على مختلف تعريفاته الاصطلاحية (2) ، ومن هنا سأكتفي ببعض منها على أن أحيل القارئ على بقيتها من خلال الرجوع إلى المصادر والمراجع التي تناولته . ومن جملة هذه التعاريف ما ورد في الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني الذي يقول : ((التشبيه الدلالة على مشاركة أمر لآخر في المعنى والمراد بالتشبيه ههنا ما لم يكن على وجه الاستعارة الحقيقية ولا الاستعارة بالكناية ولا التجريد ، فدخل فيه ما يسمى تشبيها بلا خلاف ، وهو ما ذكرت فيه أداة التشبيه كقولنا : زيد كالأسد أو كالأسد بحذف الأداة لقيام قرينة ، وما يسمى تشبيها على المختار كما سيأتي ، وهو ما حذف فيه أداة التشبيه وكان اسم المشبه به خبرا للمشبه أو في حكم الخبر كقولنا : زيد أسد ، وكقوله تعالى : " صُمُّ بُكْمٌ عُمِّي .. وكقولنا : رأيت زيدا بحرا ...)) (3)

يقوم التشبيه على نقل اللفظ من معناه الذي وضع له في العرف اللغوي إلى

(1) . ينظر الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني . ص : 202

(2) . ينظر مفهوم التشبيه لغة علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت ، دار الفكر اللبناني ، ط2 ،

1995 . ص : 93

(3) . الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني . ص : 198

. ينظر خزانة الأدب ، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزرازي . ص : 300 ،

301 ، 384

. ينظر علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت ص : 94

معنى آخر يحيل عليه السياق الذي يرد فيه ، بمعنى نقل اللفظ من حقل دلالي إلى حقل دلالي آخر ، ففي الأمثلة التي وردت في القول السابق " زيد أسد وبحرا " فقد نقل اللفظ الأول " أسد " من حقل الحيوان إلى حقل الإنسان ، وكذلك الحال مع اللفظ الثاني " بحر " الذي نقل من الطبيعة إلى الإنسان أيضا .
أركان التشبيه :

نتبين مما سبق أن التشبيه نوع من المقاربة بين شيئين أو مدركين (1) ، وهذا يعني أنه يقوم على عناصر أو أركان، وهي أربعة ((المشبه ، والمشبه به ، وأداة التشبيه ووجهه)) (2) وفي السياق ذاته جاء في خزنة الأدب أن ((التشبيه ركن من أركان البلاغة وأركانه أربعة كقولك : زيد في الحسن كالقمر ، الأول المشبه وهو زيد ، والثاني المشبه به وهو القمر والثالث المشبه ، وهو المتكلم ، والرابع التشبيه وهو الإلحاق المذكور في الشبه ، وأدوات التشبيه خمسة: الكاف وكأن وشبه ومثل والمصدر بتقدير الأداة كقوله تعالى: "وهي تمرُّ مرَّ السحابِ" (/ النمل : 88 /)) (3) وجاء أيضا قولهم ((التشبيه إلحاق أدنى الشئين بأعلاهما في صفة اشتركا في أصلها واختلفا في كلفتها قوة وضعفا ...)) (4) ويشترط أن يكون بين ((المعنيين تماثل في بعض أمور خاصة كمن يرى الرجل المقدام فيتصور الأسد ويسمع الألفاظ البليغة قد تبرجت في أسلوب محكم فيذكر الدرر المتناسقة في أسلاكها ، وعلى هذا النوع فن التشبيه والاستعارة اللذين هما من أوسع مضمار تتسابق فيه قرائح الشعراء والكتاب)) (5) ،

(1). ينظر الإبلاغية في البلاغة العربية ، سمير أبو حمدان . ص : 152

(2). الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني . ص : 249

(3). خزنة الأدب ج 1 ، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراي . ص : 383

(4). خزنة الأدب ج 1 ، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراي . ص : 384

(5). الخيال في الشعر العربي : دراسة أدبية ، محمد الخضر حسين . ص : 16

فالمشبه هو ((أساس التشبيه ، وكل عناصر الصورة تأتي لإبرازه وتوضيحه وجلاء هيئته وإيصال عاطفة الكاتب أو الشاعر / المرسل / نحوه لتتم المشاركة بين المبدع والمتلقي فيتأثر القارئ أو السامع / المستقبل / ويحس بانفعاله ويدرك خياله ويتفهم أفكاره)) (1) ، أي هو ما يلحق به المشبه به ، والمشبه به هو الأمر الذي يلحق به المشبه وهما يمثلان طرفي التشبيه ، والأداة هي الرابط بينهما ، ووجه الشبه هو الوصف المشترك أو الجامع بينهما .

أقسام التشبيه باعتبار طرفيه :

قسم البلاغيون العرب التشبيه باعتبار طرفيه إلى أربعة أقسام :

((الأول : تشبيه المفرد بالمفرد وهو ما طرفاه مفردان ، إما غير مقيدتين كتشبيه " الخد بالورد ونحوه ... " وإما مقيدان كقولهم لمن لم يحصل من سعيه على شيء " هو القابض على الماء وكالراقم في الماء ... الثاني : تشبيه المركب بالمركب ، وهو ما طرفاه أكثرتان مجتمعتان ...

الثالث : تشبيه المفرد بالمركب .. الرابع : تشبيه المركب بالمفرد ..)) (2) ، وهو التقسيم نفسه الذي نجده عند ضياء الدين بن الأثير في المثل السائر حيث يقول :

((ولنرجع إلى ذكر ما أشرنا إليه أولاً في تقسيم التشبيه إلى أربعة أقسام الأخرى التي هي : تشبيه مفرد بمفرد وتشبيه مركب بمركب وتشبيه مفرد بمركب وتشبيه مركب بمفرد ...)) (3)

(1) . علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 99

(2) . ينظر الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني . ص : 212 ، 213 ، 214

. ينظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج 1 ، ضياء الدين بن الأثير . ص : 383

. ينظر أساليب علم البيان ، د/ علي غازي يموت . ص : 111 ، 112 ، 113

(3) . ينظر خزنة الأدب ج 1 ، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزرازي . ص : 415

. ينظر أساليب علم البيان ، د/ علي غازي يموت . ص : 101

وقسم التشبيه باعتبار الطرفين أيضا من جهة أخرى إلى أربعة أقسام وهي :

((تشبيه المحسوس بالمحسوس وتشبيه المعقول بالمعقول وتشبيه المعقول بالمحسوس)) (1) ، والمراد بالمحسوس ما يدرك بالحواس الخمس وبالمعقول ما يدرك بالعقل وهذه الأقسام كلها إنما يلجأ إلى واحد منها بحسب الغرض والموقف التواصلية ، وسيفيدنا هذا التقسيم في الوقوف على دلالة الصورة في ضوء النظرية التأويلية التي جاء بها كل من كاتز وفودور واعتمدا فيها على المشيرات الدلالية وقواعد الإسقاط كما سنرى لاحقا (2) . ومن النماذج التي ندرجها هنا على سبيل التمثيل :

- تشبيه محسوس بمحسوس نحو قوله تعالى ((هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ)) (3)
 - تشبيه المعقول بالمعقول : الجهل كالمنية
 - تشبيه المحسوس بالمعقول كقول ابن بابك :
 - وأَرْضٍ كَأَخْلَاقِ الْكَرِيمِ قَطَعْتُهَا *** وقد كَحَلَ اللَّيْلُ السَّمَاءَ فَأَبْصَرَ
 - تشبيه المعقول بالمحسوس : الجهل ظلام (4)
- . أقسام التشبيه باعتبار وجه الشبه :

وجه الشبه هو كما سبقت الإشارة الوصف الجامع بين الطرفين ، وهو ((واحد أو غير واحد والواحد إما حسي أو عقلي ، وغير الواحد إما بمنزلة

(1) . خزنة الأدب ج 1 ، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزاري . ص : 415

(2) . ينظر هذه الرسالة . ص : 225 وما بعدها

(3) . البقرة : 187

(4) . للاطلاع على المزيد من نماذج هذه التشبيهات ينظر علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت ص :

102 ، 103 ، 104 ، 105 ، 106

الواحد لكونه مركبا من أمرين أو أمور أو متعدد غير مركب ، والمركب إما حسي أو عقلي ، والمتعدد إما حسي أو عقلي أو مختلف والحسي لا يكون طرفاه إلا حسيين لامتناع أن يدرك بالحس من غير الحسي شيء ، والعقلي طرفاه إما عقليان أو حسيان أو مختلفان بجواز أن يدرك بالعقل من الحسي شيء ، ولذلك يقال التشبيه بالوجه العقلي أعم من التشبيه بالوجه الحسي (((1) ويسمى ما كان فيه وجه الشبه منتزعا من متعدد التشبيه التمثيلي، وما كان فيه وجه الشبه واحدا بالتشبيه غير التمثيلي ، كما يسمى التشبيه الذي يذكر فيه وجه الشبه بالتشبيه المفصل وما يحذف منه يسمى مجملا، وسأتعرض لهذه الأنواع لاحقا .

. أقسام التشبيه باعتبار الأداة :

التشبيه باعتبار الأداة نوعان :

التشبيه المرسل :

هو ما تذكر فيه الأداة ، نحو ((الكاف ، كأن ، نحو ، وما يشتق من لفظة مثل وشبه ونحوهما ... وقد يذكر فعل ينبئ عن التشبيه كـ " علمت " في قولك " علمت زيدا أسدا " ونحوه)) (2) فللتشبيه إذا ((حروف وأسماء تدل عليه.)) (3) ويتعين أن ((تؤدي كلمة . بل كل حرف . وظيفتها في الصورة الجزئية ، وكذلك تؤدي

(1) . الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني . ص : 194

. ينظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج1 ، ضياء الدين بن الأثير . ص : 381

(2) . الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني . ص : 205

(3) . أسرار البلاغة ، الجرجاني . ص : 175

الصورة الجزئية بعد استيفائها وتامها دورها الحي وتأخذ مكانها المرهون بها في الصورة الكلية (((1) ، ويعد هذا النوع الأصل لبقية التشبيهات الأخرى فمعظمها يتفرع عنه إما بحذف الأداة أو وجه الشبه أو هما معا أو الزيادة في وجه الشبه بحيث يتحول التشبيه من تشبيه غير تمثيلي إلى تشبيه تمثيلي مع ما ينجر عن هذه التحويلات في الدلالة ، وهذا ما سأتناوله بشيء من التفصيل في أثناء حديثي عن طرق تحويل الصورة ، ويعتبر هذا التشبيه أدنى الأنواع الأخرى بلاغة ، ومن هنا جاءت تسميته بالمرسل لإرساله عن التأكيد وخلوه منه . وهناك من لا يعتبر هذا النوع من التشبيه من قبيل الخيال ، يقول محمد الخضر حسين :

((وأما ما تذكر فيه أداة التشبيه فلا أستطيع أن أعده في قبيل الخيال جملة كما لا أعزله عنه في كل حال ، فإن كان فيه إخراج المعقول في صورة المحسوس ، أو المحسوس في صورة المعقول ، أو إخراج الخفي إلى ما يعرف بالبداهة ، أو إخراج الضعيف إلى ما هو أقوى فيه صحت إضافته إلى الخيال ، إذ له الأثر القوي في تقريره)) (2)

والجدير بالتنبيه أن أدوات التشبيه تتدرج ضمن ما يسميه تشومسكي بالمورفيم أو المحدد ، وهي إما حرف واحد مثل الكاف ، أو مركبة من حرفين مثل " كأن " أو اسم نحو : مثل ، شبه شبيه ، نحو أو فعل نحو : يشبه ، يضارع يماثل ... إلخ . وقد اختلف النحاة والبلاغيون في الكاف ، فهي تارة حرف وتارة أخرى اسم

(1) . البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، د/ علي علي صبح . ص : 30

. ينظر علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 119

(2) . الخيال في الشعر العربي : دراسة أدبية ، محمد الخضر حسين . ص : 20

بمعنى أنها ((تستعمل في الكلام على ضربين جارة وغير جارة ، والجارة أيضا على ضربين ، أحدهما حرف والأخر اسم ، فأما الحرف فما لم يقع مواقع الأسماء وذلك نحو قولك : مررت بالذي كزيد ، فالكاف هنا حرف لا محالة لأنك لو قلت مررت بالذي مثل زيد أو مررت بالذي مثل جعفر لكان خلفا وقبيحا من الكلام حتى تظهر الضمير المبتدأ المحذوف فنقول : مررت بالذي هو مثل زيد ومررت بالذي هو مثل جعفر ، فإجماعهم على استحسان مررت بالذي كزيد دلالة على أن الكاف حرف جر وأنه بمنزلة قولك : مررت بالذي في الدار وضربت الذي من الكرام وجاءني الغلام الذي لمحمد ، وهذا استدلال سيبويه وهو الصواب الذي لا معدل عنه)) (1) ، وأما الكاف الاسمية فهي ((التي تقع مواقع الأسماء وذلك نحو قول الشاعر :
وصاليات كما يؤثفين فأولى حرف والثانية اسم لدخول حرف الجر عليها .)) (2) ، وقد تأتي الكاف الجارة بمعنى " على " في نحو قول من ((قيل له كيف أصبحت ؟ فقال : كخير أي على خير ، وقيل المعنى بخير ، ولم يثبت مجيء الكاف بمعنى الباء وقيل هي للتشبيه على حذف مضاف أي " كصاحب خير ")) (3)

(1) . سر صناعة الإعراب ج 1 ، ابن جني ، تحقيق د/ حسن هندراوي ، دار القلم دمشق ، ط 1 ، 1985
ص : 281

(2) . سر صناعة الإعراب ج 1 ، ابن جني . ص : 282

. ينظر المفصل في صناعة الإعراب ، الزمخشري ، تحقيق د/ علي بوملحم ، دار ومكتبة الهلال
بيروت ، ط 1 ، 1993 . ص : 385

. ينظر أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ج 3 ، د/ صبيح التميمي . 53

(3) . مغني اللبيب في كتب الأعراب ، ابن هشام الأنصاري . ص : 236

. ينظر المفصل في صناعة الإعراب ، الزمخشري . ص : 398

. ينظر هداية السالك إلى ألفية ابن مالك ج 1 ، د/ صبيح التميمي . ص : 328

أما " كأن " فقد ((ركبت " الكاف " مع " أن " كما ركبت مع " ذا " و " أي " في " كذا " و " كأين " ، وأصل قولك : كأن زيد الأسد أن زيدا كالأسد ، فلما قدمت الكاف فتحت لها الهمزة لفظا ، على الكسر والفصل بينه وبين الأصل إنك ههنا بأن كلامك على التشبيه من أول الأمر)) (1) ، ويعد التشبيه بـ " كأن " تشبيها مؤكدا لأنه مركب من " الكاف " و " أن " . (2)

2. التشبيه المؤكد :

يتفرع هذا النوع من التشبيه عن التشبيه المرسل ، وذلك بحذف الأداة ، ومن هنا يعده البلاغيون أوجز وأبلغ وأشد وقعا وأثرا في النفس ، وهذا لبلوغ المشبه منزلة المشبه به ، إذ بحذف الأداة يزول التفاوت بينهما ، فالفرق بين واضح بين قولنا : أنت كالأسد في الشجاعة وبين قولنا: أنت أسد في الشجاعة ، فالأول يوحي بالتفاوت بين طرفي التشبيه بوجود الأداة وبحذفها من الثاني ارتقى المشبه إلى مرتبة المشبه به وكأن لا تفاوت بينهما (3) وهذا ما سأوضحه لاحقا .

أقسام التشبيه باعتبار ذكر وحذف المشبه به :

سبق أن عرفنا أن التشبيه ينقسم باعتبار وجه الشبه إلى قسمين ، وهما :

1. التشبيه المفصل :

هو ما يذكر فيه وجه الشبه نحو قولنا : أنت كالأسد في الشجاعة ، فمن منظور النحو التوليدي والتحويلي تعد هذه الجملة الاسمية توليدية أي الجملة الأصل أو النواة ومنها يمكن أن نولد جملا أخرى عن طريق الزيادة أو الحذف مع ما يتبع ذلك من تغير في الدلالة .

(1) . المفصل في صناعة الإعراب ، الزمخشري . ص : 398

(2) . أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ج1 ، د/ صبيح التميمي . ص : 328

(3) . ينظر علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 152

2 . التشبيه المجمل :

وهو ما يحذف منه وجه الشبه نحو قولنا : أنت كالأسد ، فهذه جملة اسمية أيضا لكنها جملة تحويلية محولة عن الجملة الأولى عن طريق حذف وجه الشبه وبموجب هذا الحذف فقد تغيرت دلالة الصورة، فإذا كان الوصف الجامع بين المشبه والمشبه به في المثال السابق محصورا في صفة واحدة وهي " الشجاعة " ولا يكاد يتعدها ذهن المستقبل ، فإن في المثال التالي أي بحذف وجه الشبه " الشجاعة " فقد زال هذا الحصر وأصبح في إمكان هذا الأخير أن يضيف على المشبه ما جاء من الصفات التي يتصف بها الأسد ، ومنا الشجاعة ، القوة ، الفتك . وههنا تكمن مزية التشبيه المجمل .

وما تجدر الإشارة إليه هنا أنه يمكن أن نقول عن المثال الأول أنه تشبيه مرسل باعتبار الأداة ومفصل باعتبار وجه الشبه ، بينما يمكن اعتبار المثال الثاني أنه مرسل أيضا لكنه مجمل بحذف الشبه .

التشبيه التمثيلي وغير التمثيلي :

يندرج هذان النوعان ضمن أنواع التشبيه باعتبار وجه الشبه ، وقد سبق أن أشرت إليهما ورغبة في المزيد من التوضيح فقد خصصت لهما هذا الحيز .

1 . التشبيه التمثيلي :

هو ما كان في وجه الشبه منتزعا من عدة أمور ((يجمع بعضها إلى بعض ، ثم يستخرج من مجموعها الشبه ، فيكون سبيله سبيل الشئيين يمزج أحدهما بالآخر حتى تحدث صورة غير ما كان لهما في حال الأفراد، لا سبيل الشئيين يجمع بينهما وتحفظ صورتها .)) (1)

(1) . أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، مؤسسة الرسالة نشرون ، ط1 ، 2004 . ص : 79

وهو من ((أطف أنواع التشبيه وأدقها وأكثرها إعانة على توضيح الفكرة وجلاء المعنى لأن التشبيه إذا كان المشبه به فيه محسوسا أو معقولا كان دليلا على توضيح المعنى والثراء فيه مع الإيجاز والاختصار ، فإن التشبيه التمثيلي تتعدد فيه الأدلة ، وتتنوع به المحسات والمعقولات ، لأن وجه الشبه فيه يقع بين هيئات متعددة في الطرفين ولهذا كان التمثيل مناط البراعة لا يتأتى إلا للنوابغ من الشعراء..)) (1) وبه أيضا ((يصير الغرض أقرب إلى النفس وآلف إليها والعلم به أكمل وأشمل والمعرفة أوسع وأعمق ، وأدواته أسرع إلى النفس ، وألطف وقعا على القلب وأقوى سحرا وأشد أثرا وأجل سما ، فتثير صورته النفوس وتسري فيها صورة الطرب ويمتلئها الإعجاب وتطل منها كوامن الطرافة والجدة ومكاتم الحسن والجمال .)) (2)

ويحتاج هذا النوع من التشبيه إلى أعمال الفكر وحسن التدبر ودقة النظر للوقوف على دلالة الصورة ، ومواطن هذا التشبيه كثيرة إلا أنه يكثر في الأمثال ويؤتى به لغرض بلاغي وبعد تواصله بحسب ما يفرضه الموقف ، فهو إما للتوضيح أو المدح أو الذم أو العتاب أو يستعان به كدليل أو برهان على صحة الفكرة أو صواب المعنى وهو إما ظاهر الأداة كقوله تعالى ((مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا .)) (3)

. المشبه : الذين حملوا التوراة ولم يستفيدوا ما فيها ← محسوس

. الكاف ← الأداة : حرف

. المشبه به : الحمار ← محسوس

(1). البناء افني للصورة الأدبية في الشعر ، د علي علي صبح . ص : 154

(2). البناء افني للصورة الأدبية في الشعر ، د علي علي صبح . ص : 155

(3). الجمعة : 05

. ينظر أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني . ص : 79

. وجه الشبه : الحمل ، التعب وعدم الفائدة محسوس ← منتزع من متعدد
 أو خفي الأداة نحو قولهم : أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى .
 . المشبه المخاطب " الكاف في " أراك " ← محسوس
 . أداة التشبيه محذوفة : Ø ، ويمكن تقديره بحرف الكاف أو بفعل نحو تشبه ،
 تماثل..

. المشبه به " من يقدم " ، محسوس محذوف Ø
 . وجه الشبه : الإقدام والإحجام أي التردد محسوس منتزع من متعدد
 وأصل هذا التشبيه " أراك في ترددك وإحجامك مثل من يقدم رجلا مرة ويؤخر أخرى مرة
 " وهذا ما يمثل البنية العميقة للتشبيه في حين يمثل المثل كما ورد البنية السطحية ،
 وهذا ما سأعرض له في فصل التطبيق بحول الله .

2 . التشبيه غير التمثيلي :

هو ((ما كان وجه الشبه فيه أمرا بينا بنفسه لا يحتاج إلى تأويل ، ومثاله تشبيه
 الشيء بالشيء من جهة الصورة والشكل نحو أن يشبه الشيء إذا استدار بالكرة في
 وجه وبالحلقة في وجه آخر)) (1) . بمعنى أن يكون وجه الشبه مفردا نحو الأمثلة التي
 سقناها آنفا . وهو أقل بلاغة من الأول لأنه بمنزلة التشبيه المرسل .
 . التشبيه البليغ أو المؤكد المجمل :

التشبيه البليغ هو تشبيه محول عن التشبيه المرسل المفصل ، وهذا بحذف الأداة
 ووجه الشبه بمعنى أنه تشبيه لم يبق فيه إلا الطرفان المشبه والمشبه به ، وهو من
 حيث حذف الأداة يرقى إلى التشبيه المؤكد، ومن هنا يسميه البعض بالتشبيه المضمّر

(1) . علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 138

الأداة (1) ، إلا أن الإشكال في هذا النوع يكمن في ((تقدير أداة التشبيه فيه في بضع المواضع وهو ينقسم أقساماً خمسة ، فالأول يقع موقع المبتدأ والخبر مفردين والثاني يقع موقع المبتدأ المفرد وخبره جملة مركبة من مضاف ومضاف إليه ، والثالث يقع موقع المبتدأ والخبر جملتين ، والرابع يرد على وجه الفعل والفاعل والخامس يرد على وجه المثل المضروب ، وهذان القسمان الأخيران هما أشكال الأقسام في تقدير أداة التشبيه. أما الأول فكقولنا: زيد أسد ، فهذا مبتدأ وخبره، وإذا قدرت أداة التشبيه فيه كان ذلك ببديهة النظر على الفور، فقول زيد كالأسد ، وأما القسم الثاني والثالث فإنهما متوسطان في تقدير أداة التشبيه فيهما ، فالثاني كقول النبي الكمأة جدري الأرض ، وهذا يتنوع نوعين ، فإذا كان المضاف إليه معرفة كهذا الخبر النبوي لا يحتاج في تقدير أداة التشبيه إلى تقديم المضاف إليه ، بل إن شئنا قدمناه وإن شئنا أخرناه ، فقلنا : الكمأة للأرض كالجري أو الكمأة كالجري للأرض ، وإذا كان المضاف إليه نكرة فلا بد من تقديمه عند تقدير أداة التشبيه .)) (2)

أما من حيث حذف وجه الشبه يبلغ مبلغ التشبيه المجمل ، وههنا تكمن بلاغته وقوته ومزيتته ، فهو أبلغ أنواع التشبيه على الإطلاق ، إذ بحذف وجه الشبه يكون المستقبل غير مقيد في إضفاء أي صفة من صفات المشبه به على المشبه ، وهذا بخلاف ما إن كان وجه الشبه مذكوراً فلو قلنا على سبيل التمثيل : أنت كالأسد في

(1) . ينظر قرى الضيف ج 1 ، عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس ، تح عبد الله بن حمد

المنصور ، أضواء السلف الرياض ، ط 1 ، 1997 . ص : 25 و 346

. ينظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج 1 ، ضياء الدين بن الأثير . ص : 360 ، 384

. ينظر علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 154

(2) . قرى الضيف ج 1 ، عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس . ص : 373

الشجاعة لا يتعدى الوصف الجامع بين المشبه والمشبه به هذه الصفة ولا بد لنا أيضا أن المشبه أدنى من المشبه به منزلة، ويحذف الأداة يتساوى طرفا التشبيه في المنزلة ويحذف وجه الشبه يشتركان في جميع الصفات فيما لو قلنا : أنت أسد فهذا تشبيه بليغ وهو ما يمثل البينة العميقة في حين يمثل الأول البنية السطحية ، وعليه يمكن أن نرمز إلى ذلك بالمعادلتين الآتيتين - تشبيه مرسل مفصل = مشبه + أداة تشبيه + مشبه به + وجه الشبه .

أو : تشبيه بليغ = \emptyset + مشبه به - وجه شبه \emptyset - تشبيه بليغ = مشبه - أداة تشبيه
مشبه + مشبه به

. التشبيه الضمني :

يختلف هذا النوع من التشبيه عن بقية الأنواع الأخرى من حيث كونه لا يأتي على أي شكل من أشكالها ، إذ لا يذكر فيه لا المشبه ولا المشبه به ولا أداة التشبيه ولا وجه الشبه ، وإنما يلمح ذلك من خلال الكلام بمعنى ((أن الكاتب أو الشاعر / المرسل / قد يلجأ عند التعبير عن بعض أفكاره إلى أسلوب يوحي بالتشبيه من غير أن يصرح به في صورة من صورته المعروفة)) (1) ومن هذا القبيل نذكر قول المتنبي :

مَنْ يَهْنُ يسهلِ الهوانُ عليهِ *** ما لجرحٍ بميتٍ إيلامُ

بمعنى أن الذي ألف الهوان واعتاد على الذل يسهل عليه تحملهما ولا يتأذى لهما بدليل أن الميت إذا جرح لا يتألم ، وهذا ما يمثل البنية العميقة ، في حين تتجسد البنية السطحية في الشكل الظاهري للبيت ، ولقد عدل الشاعر عن التعبير الثاني وآثار الأول لما في ذلك من بعد جمالي وغرض تواصل يمكن في ترسيخ الفكرة

(1) . علم أساليب البيان ، د/. غازي يموت . ص : 167

في ذهن المستقبل من خلال الحجة التي ساقها ، ولما في ذلك أيضا من إيجاز ودقة في التعبير .

. التشبيه المقلوب :

هو ما يكون فيه المشبه مشبها به والعكس ومن هنا يسمى التشبيه المعكوس أو المنعكس وهو ((ما يرجع فيه وجه الشبه إلى المشبه به ، وذلك حين يراد تشبيه الزائد بالناقص ويلحق الأصل بالفرع للمبالغة ، وهذا النوع جار على خلاف العادة في التشبيه ، ووارد على سبيل الندور . وإنما يحسن في عكس المعنى المتعارف كقول البحري :

في طَلْعَةِ البدرِ شَيْءٌ من محاسِنِهَا *** وللقَضِيْبِ نَصِيْبٌ منْ تَشْبِيْهَا

والمتعارف تشبيه الوجوه بالبدور ، والقامات بالقضيب في الاستقامة والتثني ، لكنه عكس ذلك مبالغة..)) (1) وعنه يقول الجرجاني : ((فمن أظهر ذلك أنك تقول في النجوم : كأنها مصابيح ثم تقول في حالة أخرى في المصابيح : كأنها نجوم ، ومثله في الظهور والكثرة تشبيه الخد بالورد ، والورد بالخد ، وتشبيه الروض المنور بالوشي المنمنم ونحو ذلك ، ثم يشبه النقش والوشي في الحلل بأنوار الرياض وتشبه العيون بالنرجس ثم يشبه النرجس بالعيون كقول أبي نواس :

لَدَى نَرْجِسٍ غَضِ القَطَافِ كَأَنَّهُ *** إِذَا مَا مَنَحْنَاهُ العِيُونَ عِيُونَ)) (2)

الظاهر من هذا القول ومن نماذج التشبيه التي عددها الجرجاني أن التشبيه المقلوب يقوم على عنصر التحويل بحيث يحول المشبه إلى مشبه به والمشبه

(1) . جواهر البلاغة ، أحمد علي بك . ص : 273

. ينظر علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 157

(2) . أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني . ص : 150

به إلى مشبه لادعاء أن الأول أتم وأظهر وأبين من الثاني ، فلو قلنا : أنت أسد فبقلب طرفي التشبيه نحصل على: أسد أنت ، ومن هنا فالأول يجسد البنية العميقة والثاني يعكس البنية السطحية ، والشيء نفسه ينطبق على بيت البحتري السابق . أغراض التشبيه :

تحدث البلاغيون العرب بإسهاب وبشكل مستفيض عن أغراض كافة أنواع التشبيه التي سبق لي أن تناولتها ، ولقد أشرت إلى بعض من هذه الأغراض ، وقد رأيت أنه من المفيد أن أجمل الحديث عن كافة هذه الأغراض أو الأبعاد التواصلية لأنواع التشبيه في هذا المبحث .

إن التشبيه يعد ((وسيلة من وسائل الإيضاح التي يريد بها البليغ الوصول إلى تعيين الشيء أو تقريبه من مخاطبه ، ولذلك فهو وسيلة تربوية تتجلى من خلال القرائن التي تكون بين طرفي التشبيه ، وبهذا المعنى تبدو قيمة التشبيه في أعمال الفكر...)) (1) ، فقيمة التشبيه تكمن كما يرى ابن عاشور في جانبين ((أما الجانب الأول فعزاه إلى عناية البلغاء به كونه وسيلة مساعدة في تقريب المفاهيم من المتلقي ، مما ألزمهم إلى إيرادها في كلامهم . وأما الجانب الثاني فمبني على الجانب الأول مما جعل البلغاء يقدمونه على المجاز ، وهذا لتوقف بعض أنواع المجاز عليه ولهذا فإن علماء البلاغة محقون في تقديم فن التشبيه لما جعلوه يتصدر باب علم البيان)) (2) لا يعتمد إلى التشبيه كما يقول ابن الأثير إلا

((لضرب من المبالغة فإما أن يكون مدحا أو ذما أو بيانا وإيضاحا)) (3) وحاصل القول كما يرى سمير أبو حمدان ((إنه إذا كان ثمة وظيفة يضطلع بها التشبيه

(1) . المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور ، د/ حواس بري ،

ص : 189

(2) . الإبلاغية في البلاغة العربية ، سمير أبو حمدان . ص : 147

(3) . أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني . ص : 150

في الصورة الشعرية فهي تتحدد في أنها تهدف إلى توكيد المعنى المراد قوله وترسيخه في ذهن المستقبل ، ويستطيع التشبيه أن يقوم بوظيفته على أكمل وجه فيما لو استعان بعنصر المبالغة ..)) (1) لأن المعنى ((الموجود في الذهن يبقى في باب الظن ما لم يتحول إلى يقين من خلال تجسيمه في صورة حسية ، وأكثر من ذلك إذ أن المشاهدة ، التشخيص التجسيد تؤثر في النفس كما يقول عبد القاهر ، فالمشاهدة لعل تأثير نفسي على المستقبل ، حتى لو لم تكن في باب التخيل ولو كان ما نخبر به صادقا ولا يقبل النفي ، ويدخل التشبيه كعنصر حاسم وأساسي في عملية التشخيص ..)) (2) ، وهذا لا يقتصر على اللغة الأدبية بل يتعداه كما يقول الجرجاني إلى اللغة العامية التي كثيرا ما نلجأ فيها إلى التشبيه لأن ((التشبيهات سواء كانت عامية مشتركة أم خاصة على قائل دون قائل تراها لا يقع بها اعتداد ولا يكون لها موقع من السامعين ولا تهز ولا تحرك حتى يكون الشبه مقورا بين شيئين مختلفين في الجنس ، فتشبيه العين بالنرجس عامي مشترك معروف في أجيال الناس جار في جميع العادات ..)) (3)

ومن أغراض التشبيه المفيد التي تجدر الإشارة إليها : ((إثارة الانفعالات النفسانية كالإغراء والتحذير والترغيب والترهيب والتعظيم والتحقير...)) (4)

(1). الإبلاغية في البلاغة العربية ، سمير أبو حمدان . ص : 154

. ينظر أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني . ص : 109

(2). الإبلاغية في البلاغة العربية ، سمير أبو حمدان . ص : 147

(3). أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني . ص : 97

(4). صبح الأعشى في صناعة الإنشاج 14 ، أحمد بن علي الفلقشندي . ص : 255

. ينظر الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني . ص : 205 وما بعدها

. ينظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج 1 ، ضياء الدين بن الأثير . ص : 352

وتختلف هذه الأغراض باختلاف المواقف التواصلية وغاية المرسل من اللجوء إلى هذا الشكل أو ذاك من التشبيهات .

شروط حسن التشبيه :

ميز البلاغيون العرب بين التشبيه القريب المأخذ وبين البعيد المأخذ ، ومن الشروط التي يتعين مراعاته في التشبيه كما يرى هؤلاء ((أن يشبه البليغ الأدون بالأعلى إذا أراد المدح اللهم إلا إذا أراد الهجو .)) (1) وهذا يعني حسن انتقاء طرفي التشبيه ووجه الشبه والتمييز بين ما هو حسي منها وما هو عقلي ، وما هو مفرد منها وما هو مركب وغير ذلك بحسب ما يتطلبه الموقف حتى تؤدي الصورة الغرض المنوط بها .

ومن صفات حسن التشبيه أن يكون أيضا واضحا قريبا المأخذ يدرك بيسر بعيدا أن التأويل ولا يكلف المتلقي جهدا ، ففي هذا المعنى يقول الجرجاني عن التشبيه القريب المأخذ : ((فمما يشبه الذي بدأت به في قرب المأخذ وسهولة المأتى ، قولهم في صفة الكلام ألفاظه كالماء في السلاسة ، وكالنسيم في الرقة ، وكالعسل في الحلاوة ، يريدون أن اللفظ لا يستغلق ولا يشبته معناه ، ولا يصعب الوقوف عليه ، وليس هو بغريب وحشي يستكره لكونه غير مألوف، أو ما ليس في حروفه تكرير وتتافر ، يكد اللسان من أجلهما ..)) (2) أما عن التشبيه البعيد المأخذ فيقول ((وأما ما تقوى الحاجة إلى التأويل حتى لا يعرف المقصود من التشبيه فيه ببديهة السماع ، فنحو قول كعب الأشقري ، وقد أوفده المهلب على الحجاج ، فوصف له بنيه وذكر مكانهم من الفضل والبأس ، فسأله في آخر القصة قال : فكيف كان بنو المهلب فيهم ؟ قال : كانوا حماة السرح نهارا ، فإذا أليلوا ففرسان البيات قال :

(1). خزانة الأدب ج 1 ، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزرازي . ص : 383

(2). خزانة الأدب ج 1 ، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزرازي . ص : 384

فأيهم كان أنجد ؟ قال : كانوا كالحلقة المُفرغة لا يدري أين طرفاها. فهذا كما ترى ظاهر الأمر في فقره إلى فضل الرفق به والنظر ألا ترى أنه لا يفهمه حق فهمه إلا من له ذهن ونظر يرتفع به عن طبقة العامة ؟ (((1)

وهذا ما كان يحترز منه الشعراء والأدباء والبلاغيون الذين وبالرغم ((من اهتمامهم الزائد الذي أولوه للتشبيه نبهوا في الوقت نفسه إلى عدم التقريط والإكثار منه فالتشبيه قد ينقلب على النص الشعري ويصبح عبثا إذا زاد عن الحد المطلوب وانطلاقا من ذلك يقول ذو الرمة " إذا قلت / كأن / فلم أجد وأحسن فقطع الله لساني .)) (2) كما أنهم ((وإن اعتبروا التشبيه نوعا من المقاربة بين شيئين أو مدركين " مشبه ومشبه به " ، فإنهم ركزوا على أن يكون بينهما علاقة من نوع ما إن شيئا يمكن أن ينوب عن شيء آخر ويقوم مقامه ، بالرغم من ضرورة أن يكون هذا الشيء " المشبه " (غير) ذلك الشيء " المشبه به " ، ومن هنا تركيز البلاغيين على شيء أطلقوا عليه تسمية " الغيرية " (((3) ، لأن التشبيه يفقد ((قيمته الجمالية الإبلاغية فيما لو خيل للمتلقي بأن الشئيين أو المدركين المشبهين إلى بعضهما البعض أصبحا شيئا واحدا متحدا في السمات والصفات . فالاشتراك في الصفات بين الاثنين يجب إلا يصل إلى حد التطابق ، هنا يجب أن يتدخل

(1). أسرار البلاغة ، الجرجاني . ص : 72

(2). الإبلاغية في البلاغة العربية ، سمير أبو حمدان . ص : 153

(3). الإبلاغية في البلاغة العربية ، سمير أبو حمدان . ص : 152

صاحب القول الشعري كيما يبقى على حد فاصل بين الاثنين .)) (1)
ثانيا . الاستعارة :

الأصل في الاستعارة المجازية لغة ((مأخوذ من العارية الحقيقية التي هي ضرب من المعاملة ، وهي أن يستعير بعض الناس من بعض شيئا من الأشياء ولا يقع ذلك إلا من شخصين بينهما سبب معرفة ما يقتضي استعارة أحدهما من الآخر شيئا ، وإذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه فلا يستعير أحدهما من الآخر شيئا إذ لا يعرفه حتى يستعير منه، وهذا الحكم جار في استعارة الألفاظ بعضها من بعض ، فالمشاركة بين اللفظين في نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر كالمعرفة بين الشخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما إلى الآخر .)) (2) وفي الاصطلاح فهي ((ضرب من التشبيه ، ونمط من التمثيل ، والتشبيه قياس والقياس يجري فيما تعيه القلوب ، وتدركه العقول ، وتستفتى فيه الإفهام والأذهان لا الأسماع والآذان .)) (3) بمعنى أن التشبيه ((أصل في الاستعارة ، وهي تشبيه بالفرع له أو صورة مقتضبة من صورته)) (4) وذلك كأن ((تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه ، تريد أن تقول : رأيت رجلا كالأسد في الشجاعة وقوة بطشه سواء

(1). أسرار البلاغة ، الجرجاني . ص : 152

(2). المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج1 ، ضياء الدين بن الأثير . ص : 347

. ينظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج1 ، ضياء الدين بن الأثير . ص : 343

(3). أسرار البلاغة ، الجرجاني . ص : 21

(4). أسرار البلاغة ، الجرجاني . ص : 28

. ينظر أسرار البلاغة ، الجرجاني . ص : 47

فتدع ذلك وتقول : رأيت أسدا ..)) (1) ، وبعبارة أخرى تبني ((الاستعارة على التشبيه فهي نوع منه ، وإن كانت في الظاهر تبدو مختلفة عنه في الترادف اللغوي وفي تنوع النطق بها والحقيقة أنهما يتفقان في الطبيعة ولا يختلفان في الكنه فالاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه ، أو هما مع بقاء لازم المشبه مبالغة في المعنى وزيادة في إيضاح الغرض منه ، وهما يلتقيان معا في إيجاز العبارة وكيفية التركيب في الصورة والاختراع في المعنى والتوليد في الفكرة)) (2) ، وفي السياق ذاته عرفها القزويني بأن ((تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به)) (3) تقوم الاستعارة إذاً على التحويل عن طريق الحذف وذلك ((بأن تسقط ذكر المشبه من البين، وتطرحة وتدعي له لاسم الموضوع للمشبه به كما مضى في قولك : رأيت أسدا ، تريد رجلا شجاعا ، ووردت بحرا زاخرا ، تريد رجلا كثير الجود فائض الكف ، وأبديت نورا ، تريد علما ، وما شاكل ذلك . فالاسم الذي هو المشبه غير مذكور بوجه من الوجوه كما ترى ..)) (4)

والملاحظ أنه وإن كان التشبيه يقوم كما سبقت الإشارة على نقل لفظ من حقل دلالي إلى حقل دلالي آخر ، فإن الاستعارة ما دامت تشبيها فهي أيضا تعتمد على هذه الظاهرة ، ومن هنا فحد الاستعارة ((نقل المعنى من لفظ إلى لفظ بسبب المشاركة بينهما مع طي ذكر المنقول إليه)) (5) لأن ((الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع ثم يستعمله

(1) . دلائل الإعجاز ، الجرجاني . ص : 67

(2) . البناء افني للصورة الأدبية في الشعر ، د/ علي علي صبح . ص : 166

(3) . الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني . ص : 293

. ينظر خزنة الأدب ج 1 ، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزرازي . ص : 224

(4) . أسرار البلاغة ، الجرجاني . ص : 176

(5) . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج 1 ، ضياء الدين بن الأثير . ص : 351

الشاعر وغير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلا غير لازم فيكون هنا " كالعارية " (((1) ، فالأسد والبحر والنور في النماذج التي عددها الجرجاني ألفاظ مستعارة ومحولة أي منقولة ، فأول منقول من الحيوان والثاني والثالث منقولان من الطبيعة إلى حقل دلالي آخر وهو حقل الإنسان ليعبر بها عن الجشاعة وعن الكرم وعن العلم بمعنى أنه وقع في هذه الألفاظ الثلاثة انزياح أو عدول من الدلالة الوضعية إلى دلالة سياقية . وهذا ما أدركه البلاغيون العرب الذين نظروا إلى ((الاستعارة على أنها تلك العملية التي ينتقل فيها اللفظ حين الاستخدام من معنى إلى آخر)) (2)

إن اللفظ المنقول إما أن يكون اسما أو فعلا ، فإن كان أسما ((فهو اسم جنس أو صفة ، فإذا كان اسم جنس فإنك تراه في أكثر الأحوال التي ينقل فيها محتملا مكتفئا بين أن يكون للأصل وبين أن يكون للفرع الذي من شأنه أن ينقل إليه، فإذا قلت : رأيت أسدا، صلح هذا الكلام لأنك تريد به أنك رأيت واحدا من جنس السبع المعلوم ، وجاز أن تريد أنك رأيت شجاعا باسلا شديد الجرأة ، وإنما يفصل لك أحد الغرضين من الآخر شاهد الحال وما يتصل به من كلام من قبل وبعد)) (3) وإن كان فعلا أو صفة ((كان فيهما هذا الاحتمال في بعض الأحوال ، وذلك إذا أسندت الفعل وأجريت الصفة على اسم مبهم ، يقع على ما يكون عليه أصلا في تلك الصفة وذاك الفعل وما يكون فرعا فيهما ، نحو أن تقول : أنار لي شيء منير فهذا الكلام يحتمل أن يكون " أنار " و"منير" فيه واقعين على حقيقة بأن يعن بالشيء بعض الأجسام ذوات النور ، وأن يكونا واقعين على المجاز بأن تريد بالشيء نوعا من

(1). أسرار البلاغة ، الجرجاني . ص : 29

(2). الإبلاغية في البلاغة العربية ، سمير أبو حمدان . ص : 160

(3). أسرار البلاغة ، الجرجاني . ص : 176

. ينظر أسرار البلاغة ، الجرجاني . ص : 40

العلم والرأي وما أشبه ذلك من المعاني التي لا يصح وجود النور فيها حقيقة ، وإنما توصف به على سبيل التشبيه (...)) (1) ويرجع وصف الفعل ((بأنه مستعار بالرجوع إلى مصدره الذي اشتق منه ، فإذا قلنا في قولهم " نطقت الحال " وإن " نطق " مستعار فالمعنى أن النطق مستعار (...)) (2) والجدير بالتنبيه أنه إذا ((بنيت الاستعارة على صيغة الفعل ، فإنها تمنح الصورة الحيوية والدينامية والحركة الكثيفة ، وهي سمات الشعر الرومانسي فالفعل في حد ذاته حركة ، أما النعت والمصدر فهما سكون (...)) (3) ، ولقد اصطلح على تسمية هذا النوع من الاستعارة بـ " الاستعارة الحركية " .

والملاحظ أن اللفظ المستعار لا يخلو أن يكون أحد الستة أقسام :

((استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسي أو بوجه عقلي ، أو بما بعضه حسي وبعضه عقلي واستعارة معقول لمعقول واستعارة محسوس لمعقول واستعارة معقول لمحسوس (...)) (4)

فمن القسم الأول أي استعارة محسوس لمحسوس :

- بوجه حسي قوله تعالى : ((فَأَخْرَجَ لَهُمَ عِجْلًا جِسْدًا لَهُ خَوَارٌ)) (5)
- بوجه عقلي قوله تعالى : ((وَآيَةً لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلُخُ مِنْهُ النَّهَارَ)) (6)

(1) . أسرار البلاغة ، الجرجاني . ص : 176

(2) . أسرار البلاغة ، الجرجاني . ص : 45

(3) . الصورة الفنية في التجربة الرومانسية : ديوان أبي القاسم الشابي أنموذجاً " رسالة ماجستير يحيى زكية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة مولود معمري تيزي وزو ، 2011 ص : 86

(4) . خزانة الأدب ج 1 ، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراي . ص : 276

(5) . طه : 88

(6) . يس : 37

محسوس لمحسوس بما بعضه حسي وبعضه عقلي قولهم : رأيت شمسا ومن القسم الثاني أي استعارة معقول لمعقول قوله تعالى: ((مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا)) (1) ومن القسم الثالث أي استعارة محسوس لمعقول قوله تعالى : ((فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ)) (2) ومن القسم الرابع ، أي استعارة معقول لمحسوس قوله تعالى : ((إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ)) (3).

ينكر بعض النقاد المحدثين أن تكون الاستعارة عملية نقل لفظ من حقل إلى حقل على غرار ما قال به البلاغيون العرب كما مر ، لأنه إذا كانت ((الاستعارة لا تتعدى كونها " نقل " اللفظة من حيث الاستعمال من معنى إلى آخر ، فذلك عبث باللغة ودلالاتها ، أو هو عي فيها ..)) (4) ، فالاستعارة تتجاوز هذا المفهوم لأننا في ((الاستعمال الاستعاري لا نقوم بنقل لفظة من مكان إلى مكان آخر ، ولا نستعيرها لتأدية معنى جديدا ، وليست الاستعارة . بعد هذا . ذلك التشبيه الذي لا يصلح فيه وجود الأداة أو عدمها ...)) (5) وإنما هي ((محو للحدود بين عناصر العالم وأصنافه وامتداد للذات في الوجود حسا وعاطفة ووجودا . إنها تمكن الشاعر من إجراء عمليات تحويلية من قبيل السحر الذي يهدم أمام المشاهد طبيعة الأشياء ، ويبطل في عقله قوانين المادة فيها . فهي بهذا الاقتدار لن تكون تشبيها ، ولن تكون " استعارة بالمعنى الذي يشيعه اللفظ من معنى أولي .)) (6) ، وعليه ((فالإدراك الاستعاري نظام شمولي ، لا يعتني

(1) . يس : 51

(2) . الحجر : 94

(3) . الحاقة : 11

. ينظر خزنة الأدب ج 1 ، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزرازي

ص : 276 ، 277 ، 278

(4) . شعرية المشهد في الإبداعي العربي ، حبيب مونسى . ص : 61

(5) . شعرية المشهد في الإبداعي العربي ، حبيب مونسى . ص : 61

(6) . شعرية المشهد في الإبداعي العربي ، حبيب مونسى . ص : 61

بالتفاصيل ، ولا يهتم بما هو جزئي ولا يضع خطة أو مقدمة ينتقل منها إلى نتاج ما ،
أو يترتب عنها أحكام .)) (1)

للاستعارة إذاً فعلها العجيب ، ذلك أننا حين ((نتأملها في خضم المشهد نستعظم
فعلها فيكون لنا منه اعتقاد غريب يوحي لنا بأن الشعر كله استعارة بمعنى التقمص
الوجداني والتماهي العاطفي ، وفتح مجال الحياة من غير حد ولا حاجز . فتتراءى لنا
النجوم القصية لأحلام الذات وامتداداتها ..)) (2)

لقد كان لبعض المناهج الحديثة والمدارس الأدبية المعاصرة أثرها الواضح والجلي في
تغيير بعض المفاهيم القديمة وفضح قصورها أو إثرائها بما ينسجم ويتمشى مع
النظريات والدراسات الجديدة في اللغة واللسانيات والبلاغة وغيرها . ومن هنا انطلقت
التركيب البلاغية واصطبغت بصبغة العصر وفي مقدمها الاستعارة كما مر .
ولعل أبرز مذهب كان له هذا الأثر الجلي هو المذهب الرومانسي الذي ولع
أصحابه بالخيال (3) ، حيث حفل شعرهم بالتجسيد والتجسيم والتشخيص فجاءت
صورهم محفوفة بالحركة ، مفعمة بالأحاسيس والمشاعر الإنسانية مما ((أدى
إلى توليد علاقات جديدة استطاعت أن تملأ الهوة بين المجرّد والحسي ، وبالتالي
التقريب بين المحدود واللامحدود ، الواقعي والمثالي ...)) (4) ، وظهرت عندهم
صور جديدة منها الصورة الثيمية أي الموضوع الذي يقابل في المصطلح الغربي

(1) . فلسفة الجمال في النقد الأدبي : مصطفى ناصف نموذجاً ، كريب رمضان . ص : 139

(2) . شعرية المشهد في الإبداع الأدبي ، حبيب مونسي . ص : 62

(3) . ينظر الرومانتيكية ، د/ غنيمي هلال . ص : 73

(4) . الصورة الفنية في التجربة الرومانسية : ديوان أغاني الحياة لأبي القاسم الشابي أنموذجاً ،

رسالة ماجستير ، يحيى زكية . ص : 145

" الذي يعرفه رباح ملوك نقلا عن يحيى زكية بقوله : ((أنه الصورة الخاصة theme بالموضوعات المهيمنة في الخطاب الشعري ، وقد تم الاحتفاظ بمصطلح الموضوع "ثيمة" نسبة إلى Theme " تجنباً للبس الذي قد يحصل في حالة النسبة إلى كلمة موضوع مفردة أو جمعا)) (1) .
أنواع الاستعارة :

1. أقسام الاستعارة باعتبار ما يذكر من الطرفين :

الاستعارة كما سبق القول هي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي ، أو هي تشبيه حذف أحد طرفيه إما المشبه أو المشبه به ، ومن هنا فهي تنقسم باعتبار ما ذكر منهما إلى قسمين وهما ((المصرح بها والمكنى عنها)) (2) .
الاستعارة التصريحية :

وهي ((التي يصرح فيها بلفظ المشبه به دون المشبه)) (3) ، ومن ذلك قول المتنبي في وصف دخول رسول الروم على سيف الدولة :
وأقبلَ يمشي في البساطِ فما درى *** إلى البحرِ يسعى أم إلى البدرِ يَرْتَقِي
ففي هذا البيت ((مجازان لغويان ، هما لفظا " البحر و " البدر " اللذان استعملتا في

(1) . الصورة الفنية في التجربة الرومانسية : ديوان أغاني الحياة لأبي القاسم الشابي أنموذجاً ،

رسالة ماجستير ، يحيى زكية . ص : 145

(2) . الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني . ص : 293

(3) . الإبلاغية في البلاغة العربية ، سمير أبو حمدان . ص : 160

غير معناهما الحقيقي ، فالمنتبى يشبه سيف الدولة بالبحر لمشابهة لم يذكرها ، وإن كان اللفظ يوحي بها ، وهي الكرم والعطاء وسعة الثقافة .. كما يشبهه بالبدر إحياء بجامع الرفعة والجمال والضياء في كل منهما ، والقرينة الدالة على الاستعمال المجازي، هي عبارة " يمشي في البساط ، يدل على أن " البحر " الذي يسعى رسول الروم إليه ، و " البدر " الذي يرغب في الارتقاء إليه ، ليساهما المعروفان على وجه الحقيقة ، وإنما المقصود بهما . على سبيل الاستعارة " سيف الدولة . (((1) .
أقسام الاستعارة التصريحية :

قسم البلاغيون العرب الاستعارة التصريحية إلى ثلاثة أقسام ، وهي :

((.تحقيقية : وهي ما كان المستعار له فيها محققا حسا أو عقلا ، بأن كان اللفظ منقولاً إلى أمر معلوم ، يمكن الإشارة إليه إشارة حسية أو عقلية ... نحو قوله تعالى ((أهدنا الصراط المستقيم)) / الفاتحة: 05 / ، فالمستعار له ملة الإسلام أي شرعها ، أمر محقق عقلا)) (2) أو بعبارة أخرى هي التي ((تقيد بالحقيقية لتحقق معناها حسا أو عقلا ، أي التي تتناول أمرا معلوما يمكن أن ينص عليه ويشار إليه إشارة حسية أو عقلية ، فيقال إن اللفظ نقل من مسماه الأصلي فجعل اسما له على سبيل الإعارة للمبالغة في التشبيه ، أما الحسي فكقولك : رأيت أسدا وأنت تريد رجلا شجاعا)) (3) أما القسم الثاني منها فهي الاستعارة التخيلية ((وهي ما كان المستعار له فيها غير محقق لا حسا ولا عقلا ، بل هو صورة وهمية محضة ، لا يشوبها شيء من التحقيق

(1) . علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 249

(2) . علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 254

(3) . الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني . ص : 241

. ينظر الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني . ص : 269

بفرعيه ، نحو قولي الهذلي :

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا *** أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَتَفَعُّ (((1)

والقسم الثالث والأخير منها فهي ((الاستعارة المحتملة للتحقيقية والتخييلية : نحو قول زهير :

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَأَقْصَرَ بَاطِلُهُ *** وَعُرِّيَ أَفْرَاسُ الصَّبَا وَرَوَّاحِلُهُ

أراد أن يبين أنه ترك ما كان يرتكبه زمن الحب من الجهل والغي ، وأعرض عن معاودة ما كان ينصرف إليه من اللهو.. فشبه الصبا بجهة من جهات المسير كالحج والتجارة ، قضى منها حاجاته فبطلت آلاته تشبيها مضرا في النفس، واستعار الجهة للصبا وحذف الجهة ورمز إليها بشيء من لوازمها وهي الأفراس والرواحل ((...)) (2) .
الاستعارة المكنية :

هي ما يحذف منها المشبه به ويرمز إليه بشيء من لوازمه (3) ، من ذلك قوله

تعالى : ((يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ)) (4) ففي ((إسناد التسبيح إلى

الرعد مجاز عقلي ولك أن تجعله استعارة مكنية ، بأن شبه الرعد بآدمي يسبح لله تعالى ، وأثبت شيئا من لوازم علائق المشبه به وهو التسبيح " قوله : سبحان الله

تعالى ، وأثبت شيئا من لوازم علائق المشبه به وهو التسبيح " قوله : سبحان الله "

فالقول في ملابسة الرعد للحمد مساو للقول في إسناد التسبيح إلى الرعد ، فالملابسة

(1) . علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 254

(2) . علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 255

(3) . الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني . ص : 250

(4) . الرعد : 14

مجازية عقلية أو استعارة مكنية وإجراؤها يتم على النحو التالي : شبه الرعد بإنسان يسبح لله وحذف هذا الإنسان وأبقى على شيء من لوازمه وهو التسبيح . (((1) أقسام الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار :

تنقسم الاستعارة من حيث اللفظ المستعار إلى قسمين ، وهما الاستعارة الأصلية والتبعية : فالأولى هي ((ما كان اللفظ المستعار أو اللفظ الذي جرت فيه ، اسم جنس غير مشتق ، سواء أكان اسم ذات مثل " أسد " أو اسم معنى مثل " القتل " و " الإذلال " وسواء أكان اسم جنس حقيقة مثل إنسان ، أم تأويلا في الأعلام الذي اشتهرت بنوع من الوصف كحاتم في قولك : " مررت اليوم بحاتم " تريد رجلا كريما جوادا ، مثل حاتم . فكما أن " أسدا " يقصد به الحيوان المفترس حقيقة والرجل الشجاع مجازا كذلك " حاتم " يشار به إلى الرجل الطائي المعروف بهذا الاسم حقيقة ، ويقصد به " الجواد " مجازا)) (2) ، ومن النماذج على هذا النوع نكتفي بقول المتنبي :

يُمجُّ ظلامًا في نهارٍ لسانه *** ويفهمُ عنمُ قالَ ما ليسَ يُسمعُ

شبه الشاعر القلم بالإنسان ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه ، وهو اللسان ، فالاستعارة مكنية وهي أصلية باعتبار " اللسان " اسما جامدا .

(1) . المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور ، د/ حواس بري ص : 236

. للاطلاع على المزيد من نماذج الاستعارة المكنية ينظر علم أساليب البيان . ص : 250 وما

بعدها والمقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير . ص : 236 وما بعدها

(2) . علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 256

. ينظر المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور، د/ حواس بري

ص : 241

أما القسم الثاني فهي التي تعرف بالاستعارة الفرعية أو التبعية ، وهي تلك ((الواقعة في الأفعال وفي المشتقات من الأسماء وفي الحروف)) (1) ، وسميت هذه الاستعارة تبعية لأنها ((تابعة لاستعارة لأخرى في المصدر ، لأن الاستعارة تعتمد التشبيه ، والتشبيه يعتمد كون المشبه موصوفا والأفعال والصفات المشتقة منها بمعزل عن أن توصف ، والمحتمل للاستعارة في الأفعال والصفات المشتقة منها هو مصادرها)) (2) ، ومن نماذج هذا النوع قوله تعالى : ((وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ)) (3) ، شبه الغضب بإنسان وحذفه وعوضه بلازمة " سكت " على سبيل الاستعارة المكنية التبعية لأن اللفظ المستعار فيها فعل " سكت " .

أقسام الاستعارة باعتبار الجامع :

يراد بالجامع ((ما يتصل بالمشبه أو المشبه به أو ما يناسبهما)) (4) ، وأقسام الاستعارة باعتبار الجامع ثلاثة أقسام : مرشحة ومجردة ومطلقة

- الاستعارة المجردة : هي ((أن يذكر مع المستعار له ما يلائمه سواء كان صفة له نحو : رأيت أسدا عند الأمير أو في الحرب ، وبحرا يناظر ، وشمسا لا تغيب أو غير صفة مثل قول كثير عزة :

غَمَرَ الرِّدَاءَ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا *** غَلَقْتَ لَضِحْكَتِهِ رِقَابُ

وأصل الغمر أن يكون للماء ، ثم استعيرت للعطاء بجامع كونهما ساترين ، هذا للعرض ، وذلك للبدن ففيه استعارتان)) (5) . وسميت مجردة ((لتجريدها عن

(1) . المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتتوير للطاهر ابن عاشور، د/ حواس بري . ص : 241

(2) . علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 258

(3) . البقرة : 26

(4) . علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 260

(5) . المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتتوير للطاهر ابن عاشور، د/ حواس بري . ص : 256

. ينظر علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 260

بعض المبالغة ، إذ يبعد المشبه بالمبالغة ، عن المشبه به ، فيبعد دعوى الاتحاد الذي هو مبنى الاستعارة .)) (1)

. الاستعارة المرشحة : وهي التي ((يذكر معها صفات تلائم المشبه به وسميت مرشحة لترشيحها وتقويتها بذكر الملائم ويسمى الملائم ترشيحا)) (2) ، ومن ذلك قول ابن زيدون :

يا أيها الملك الذي في ظلّه *** رِيضَ الزمانِ فذلّ منه قيادُ

شبه الشاعر ((الزمان بالحيوان أو البعير بجامع الجموح في كل مهما ، ثم حذف المشبه به وجاء بشيء من لوازمه ، وهو الفعل المجهول " ريض " فالاستعارة مكنية تبعية ، ويلاحظ في هذه الاستعارة وجود ما يلائم المشبه به ، وهو القياد الذي يكون عادة للحيوان ، فالاستعارة مرشحة .)) (3)

. الاستعارة المطلقة وهي ((التي خلت من الصفات التي تلائم المشبه والمشبه به أو هي التي ذكرت فيها صفات تناسبهما معا . ومن ذلك قول قريظ بن أنيف :

قومٌ إذا الشرُّ أبدى ناجذيه لهم *** طأروا إليه زرافاتٍ ووحداناً

لقد شبه الشاعر الشر بالحيوان المفترس ، فأبقى المشبه وحذف المشبه به وجاء بشيء من لوازمه ، وهو " ناجذيه " ، فالاستعارة مكنية ، واللفظ المستعار جامد ، فالاستعارة أصلية ، ولكن هذه الاستعارة خلت مما يلائم المشبه أو المشبه به فهي استعارة مطلقة .)) (4)

(1) . علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 260

(2) . علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 261

. ينظر المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور، د/ حواس

بري . ص : 251

(3) . المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور، . ص : 262

(4) . علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 263

. أغراض الاستعارة :

الاستعارة كما سبقت الإشارة تشبيه حذف أحد طرفيه إلا أنها كما يقول البلاغيون

أبلغ وأقوى منه (1) ، وقد بين هؤلاء ما للاستعارة من مزية وفضل على سائر بقية الألوان البلاغية لأنها ((تبرز هذا البيان أبداً في صورة مستجدة تزيد قدره نبلاً وتوجب له بعد الفضل فضلاً ، وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت بها فوائد ، حتى تراها مكررة في مواضع ، ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد ، وشرف مفرد وفضيلة مرموقة وخلاصة مرموقة.)) (2)

تعتبر الاستعارة شكلاً من أشكال الطاقات التعبيرية التي تتيحها اللغة فهي ((تكون

مع الصور الأخرى صوراً للفصاحة وللبناء وللتفكير وللطرق الأسلوبية . أي تكون أشكالاً أكثر إثارة للإعجاب وأكثر حدة وتعطي الكلام طاقة أكبر ، وهذا يتناسب مع ما سميناه حتى الآن " القيم التعبيرية .)) (3)

فهي إذاً ((تعبير عن شعور القائل وخواطره ، فتخرج في صورتها مطبوعة من نفسه

ملونة بأحاسيسه ، لتدل على أصالته فيها ، وقدرته البيانية في تركيبها وبراعته في تقوية الفكر بالدليل الاستعاري ، وجلاء المعنى بالبرهان المحس المتخيل والوحي بأعمق الحقائق وأبعدها غوراً .)) (4)

كما تعمل الاستعارة من جهة أخرى وهو الأهم على ((ترسيخ المعنى وتأكيده)) (5) في الذهن ، ومن هنا يتأكد البعد التواصلية للاستعارة حيث تمكن المستقبل من فهم

(1) . ينظر البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، د/ علي علي صبح ص : 167

. ينظر علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 273

(2) . أسرار البلاغة ، الجرجاني . ص : 38

(3) . علم الدلالة عند العرب ، عادل فاخوري . ص : 75

(4) . البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، د/ علي علي صبح . ص : 167

(5) . الإبلاغية في البلاغة العربية ، سمير أبو حمدان . ص : 162

المحيط الذي يعيش فيه ، ففي هذا السياق يقول عبد المجيد جحفة : ((إن القدرة على فهم التجربة عن طريق الاستعارة تعد معنى في حد ذاتها، وهي في ذلك مثل استخدام حاسة الرؤية أو حاسة اللمس في حصول بعض الإدراكات . وهذا يعني أننا لا ندرك مظاهر العالم ومكوناته ، ولا نباشر التجربة إلا من خلال بعض الاستعارات ، فالاستعارات تلعب دورا يوازي من حيث أهميته ذلك الدور الذي تلعبه حواسنا في مباشرة إدراك العالم وممارسة تجربته.)) (1)

وبعبارة أخرى فبالاستعارة ((يتجسد المعنوي حتى يغدو كتلة من عالم المحسوسات تراه العين وتسمعه الأذن ويشمه الأنف وبذوقه اللسان وتتقراه اليدين بلمس)) (2) وبها أيضا ((تتلطف الأجسام ، وترتفع إلى المعنوي ، ويتحول الظاهر للعيان خفيا تطلع عليه النفس ويعتبر من مكونات القلب ... وبها يشخص المادي ، فتدب الحياة في الأرض والبحار والسهول والأنهار والسماء والنجوم والشمس والقمر ، وتغدو الطبيعة كلها ممتلئة بالحياة ، تشاركنا مشاعرنا ، فتفرح لفرحنا وتحزن لأحزاننا ، وينبض قلبها مقلما تنبض قلوبنا ..)) (3)

ويشترط في الاستعارة إذا ما أردنا أن يكون لها هذا الفضل وهذه المزية أن تكون مفيدة أي أن تتوفر فيها جملة من الخصائص ((التي تجعلها نابضة حية ، وهو إلحاح الموقف على طلب ذات الاستعارة بحيث يقتضيها المقام ، ولا يحل محلها التشبيه أو التصوير الحقيقي ، لكي تصير في موطنها أبين للغرض وأقوى تأثيرا في النفس من

(1) . مدخل إلى الدلالة الحديثة ، عبد المجيد جحفة . ص : 52

(2) . علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 271

(3) . علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 271

غيرها ، بحيث لو أخذ مكانها التشبيه أو التعبير الحقيق لكانا دونها في الإفادة وتناصر عنها في مزية البلاغة ضعفا في درجة التأثير والإقناع)) (1)

ومن هنا حذر البلاغيون من التعمية والتعقيد والغموض مما ينعكس سلبا على المعنى لأن هذا ((خلاف ما عليه الناس ، أل تراهم قالوا : إن خيرَ الكلام ما كان معناه إلى قلبكَ أسبقَ من لفظه إلى سمعِكَ .)) (2)

ثالثا . الكناية :

مفهوم الكناية :

- الكناية لغة :

الكناية في العرف اللغوي من قولهم ((كنييت الشيء إذا سترته)) (3) ، فهي إذا مشتقة ((من الستر ، يقال كنييت الشيء إذا سترته ، وأجري هذا الحكم في الألفاظ التي يستر فيها المجاز الحقيقة فتكون دالة على الساتر وعلى المستور معا .)) (4)

الكناية اصطلاحا :

يراد بالكناية في اصطلاح البلاغيين ((اللفظ الذي أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ ، كقولك : فلان طويل النجاد ، أي طويل القامة ، وفلانة نؤون الضحى ، أي مرفهة مخدومة غير محتاجة إلى السعي بنفسها في إصلاح المهمات ، وذلك أن وقت الضحى وقت سعي نساء العرب في أمر المعاش وكفاية ، أسبابه وتحصيل ما يحتاج إليه في تهيئة المتناولات وتدبير إصلاحها ، فلا تنام فيه من نسائهم إلا من

(1) . البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، د/ علي علي صبح . ص 168

. ينظر أسرار البلاغة ، الجرجاني . ص : 39

(2) . أسرار البلاغة ، الجرجاني . ص : 104

(3) . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج 1 ، ضياء الدين بن الأثير . ص : 184

. ينظر علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 283

(4) . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج 2 ، ضياء الدين بن الأثير . ص : 183

لها خدَم يَنوبون عنها في السعي لذلك ولا يمنع أن يراد .)) (1) وعبارة أخرى الكناية هي ((أن مع ذلك طول النجاد والنوم في الضحى من غير تأويل يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيوميء به إليه ويجعله دليلاً عليه مثال ذلك قولهم : هو طويل النجاد يريدون طويل القامة وكثير رماد القدر يعنون كثير القرى (((2) ، وعرفها آخر بأنها ((الدلالة على المعنى باسم ما يلزمه في الخارج ، وصح هذا نظراً إلى أن حضور المعنى الموضوع له اللفظ يستدعي حضور لازمه في ذهن المخاطب)) (3) وهذا يعني أن الكناية هي ((اللمحة الدالة وهي الإلماح حين لا يجوز الإفصاح .)) (4)

يرى حبيب مونسي أننا في الكناية ((نتحسس وجود طبقتين للتعبير : طبقة سطحية في ظاهر القول ، وطبقة عميقة هي المراد من القول . وكأننا أمام ضرب من الصياغة لا تتفي أحدهما الأخرى ، ولا ينصرف عنه ، بل يبقى على الهيئة التي هي له ، على الرغم من انصرافه إلى مراد يقع وراءه .)) (5) لا يعدم أن تكون الكناية كغيرها من ألوان البيان إحدى الطاقات التعبيرية يعمد إليها، إذا أحسن استعمالها في العملية التواصلية في المنطوق والمكتوب والفصيح وغير الفصيح ، ومن ههنا يمكن القول إن للكناية ((قيمة إبلاغية بغير شك والتعبير

(1) . الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني . ص : 273

. ينظر علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 283

(2) . دلائل الإعجاز ، الجرجاني . ص : 66

. ينظر دلائل الإعجاز ، الجرجاني . ص : 316

. ينظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج2 ، ضياء الدين بن الأثير . ص : 181 ، 182

(3) . الخيال في الشعر العربي ، محمد الخضر حسين . ص : 15

(4) . الإبلاغية في البلاغة العربية ، سمير حمدان . ص : 157

(5) . شعرية المشهد في الإبداع الأدبي ، حبيب مونسي . ص : 69

الكناي ، إذا جاز القول ينطوي على مقدار لا يستهان به من التأثير النفسي . نريد أن نقول بمعنى آخر أن ثمة بعدا إبلاغيا في الكناية يتمثل في اللمحة الدالة فالشاعر عندما يسدل على المعنى الحقيقي الذي يصد إليه ستارا لفظيا شفافا ، يجعل المتلقي متحفزا ومتشوقا لرد هذا الستار ومعرفة المرمى الذي يسدد إليه فمن خلال الكناية، وهي لمحة دالة أو تلميح يشعر المتلقي بميل إلى اكتشاف المعنى الحقيقي المتواري وراء المعنى المجازي. إن المتلقي وهو بإزاء القول الكناي، لا يحبذ الانتقال فورا إلى المعنى الذي يقصد الشاعر ، وإنما يفضل أن يعبر بتمهل وروية تلك المنطقة المؤدية من المعنى المجازي إلى المعنى الحقيقي... وإذ ثمة ما تؤديه الكناية في الصورة الشعرية ففي أنها ترفع من قيمة المعنى الحقيقي وترسخه في النفس بعد الكشف عنه من قبل المتلقي (((1)

ومن هنا تعد الكناية ((نشاطا مزدوجا يوظف المعنيين معا في سياق ونسق واحد . أما أمر السياق فيرفده الواقع المعطى من حيث عناصر الصورة والمشهد وأما النسق فمن حيث عناصر التعبير والصياغة (((2)

ويضرب لنا حبيب مونسي مثلا على هذا النشاط المزدوج للتركيب الكناي

الذي يقوم على السياق والنسق بالبيت الآتي لمرئ القيس :

وقد أَعْتَدِي والطيرُ في وُكْنَائِهَا *** بِمَنْجَرِدٍ قِيدِ الأَوَابِ هَيْكَلِ

قائلا : ((إذا قرأنا كناية امرئ القيس عن الإبكار ألفينا حقيقة الكناية في المزوجة المعنوية بين المستويين : السطحي والعميق . وكأن الشاعر يريد أن يقول القولين معا ، وإن كان قصده ينصرف إلى حقيقة تقع وراءهما معا (((3)

(1) . الإبلاغية في البلاغة العربية ، سمير حمدان . ص : 159

(2) . شعرية المشهد في الإبداع الأدبي ، حبيب مونسي . ص : 69

(3) . شعرية المشهد في الإبداع الأدبي ، حبيب مونسي . ص : 70

يقوم هذا التركيب الكنائي على حد تعبير الباحث نفسه على أربعة مستويات ، إذ يقول ((فإذا عدنا إلى مستويات الكناية في هذا المشهد ألفينا في صنعها عجا ، فهي ذات أربعة مستويات :

- مستوى الصورة الواقعية الطير في وكناتها.
 - مستوى الدلالة الزمنية الإبكار .
 - مستوى الدلالة التعريضية خمول الغير ، وتكاسله .
 - مستوى الدلالة الفخرية الاعتداد بالنفس ونشاطها . (1)
- ولانتقال المستقبل من المعنى المجازي إلى المعنى الحقيقي والوقوف على مختلف هذه المستويات يفترض أن يكون على دراية بأساليب اللغة وطاقاتها التعبيرية، قادرا على التأويل في البحث عن المعنى المكنى عنه ، وهذا لن يتم طبعاً إلا من خلال التمييز بين البنية السطحية والبنية العميقة اللتين تختلفان من حيث الحذف والزيادة والإضمار والتقديم والتأخير وغيرها بمعنى البحث عما وراء ما قيل .
- . أقسام الكناية باعتبار المكنى عنه :

قسم البلاغيون العرب الكناية باعتبار المكنى عنه إلى ثلاثة أقسام ، وهي :

. كناية عن صفة . كناية عن موصوف . كناية عن نسبة

1 . كناية عن صفة :

هي التي ((يطلب بها نفس الصفة ، والمراد بالصفة هنا ، الصفة المعنوية كالشجاعة والكرم والغنى والحلم والجمال والطول ، لا النعت المعروف في علم النحو . وفي هذا النوع من الكناية يذكر الموصوف ، وتستتر الصفة مع أنها هي المقصودة))

(2) ، هي ((ضربان قريبة وبعيدة ، القريبة ما ينتقل منها إلى المطلوب بها لا

(1) . شعرية المشهد في الإبداع الأدبي ، حبيب مونسي . ص : 70

(2) . علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 286

. ينظر الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني . ص : 274

بواسطة ، وهي إما واضحة كقولهم كناية عن طويل القامة : طويل نجاهه وطويل النجاد ، والفرق بينهما أن الأول كناية ساذجة والثانية كناية مشتملة على تصريح ما لتضمن الصفة فيه ضمير الموصوف بخلاف الأول... وأما الخفية كقولهم كناية عن الأبله : عريض القفا ، فإن عرض القفا وعظم الرأس إذا أفرط فيما يقال دليل الغباوة ... (1) وهي بعبارة أخرى التي لا يحتاج الانتقال فيها إلى إعمال روية وفكر ، لعدم الوساطة بينها وبين المطلوب .

أما الضرب الثاني فهو ما يعرف بالكناية البعيدة ، وهي ((ما ينتقل منها إلى المطلوب بها بواسطة كقولهم كناية عن الأبله : عريض الوسادة ، فإنه ينتقل من عرض الوسادة إلى عرض القفا ومنه إلى المقصود)) (2) ، بمعنى أنها تلك التي يحتاج فيها إلى إعمال روية وفكر ، لوجود الوساطة بينها وبين المطلق الانتقال

2. كناية عن موصوف :

وهي التي ((يطلب بها نفس الموصوف ، وشرطها أن تكون مختصة بالمكنى عنه ، لا تتعداه وذلك ليحصل الانتقال ، وفي هذا النوع من الكناية تذكر الصفة ويستتر الموصوف مع أنه هو المقصود)) (3) ، ومن هذا النوع قول المتنبي :

ومن في كفه منهم قنأة *** كمن في كفه منهم خضابُ

ففي البيت كنايتان ، الأولى في قوله : " من في كفه قنأة " كناية عن موصوف وهو "الرجل" والثانية في قوله : " من في كفه خضاب " كناية عن موصوف وهي المرأة

(1) . الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني . ص : 274

(2) . الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني . ص : 275

(3) . الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني . ص : 275

3. كناية عن نسبة :

وهي ((ما يراد بها إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه ، وبها يذكر الصفة والموصوف ولا يصرح بالنسبة الموجودة ، مع أنها هي المقصودة)) (1) ، ومنها قول الشاعر :

اليمَنُ يَتَّبِعُ ظِلَّهُ *** وَالْمَجْدُ يَمْشِي فِي رِكَابِهِ ِ

فقد نسب كل من اليمن والمجد إلى ظل الممدوح وركابه .

. أقسام الكناية باعتبار اللوازم والسياق :

تنقسم الكناية باعتبار اللوازم والسياق إلى أربعة أقسام ، وهي :

1. التعريض :

وهو أن يطلق الكلام ويراد معنى آخر يفهم من السياق تعريضا بالمخاطب نحو قوله تعالى : ((قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا)) (2) فالتعريض في قوله " ما نراك إلا بشرا مثلنا " غايته أن ينفوا عنه أي ميزة له عليهم وأنه ليس أحق منهم بالنبوة . (3)

2. التلويح : وهو أن تكثر الوسائط بدون تعريض ، نحو قولهم : " كثير الرماد "

3. الإيماء والإشارة : تتميز هذه الكناية عن سابقتها بأنها ((قليلة الوسائط ، واضحة اللزوم ، بلا تعريض ، تدل على المعنى المراد دلالة مباشرة ، كأنها تومئ إليه وتشير ، كقول البحري :

أَوْ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْقَى رِحْلَهُ *** فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَّحَوَّلْ

فالبحري يتحدث عن إلقاء الرجل ، وهذا يعني توقف المسافر ، وإلقائه ما

(1) . علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 289

. ينظر الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني . ص : 278

(2) . هود : 27

(3) . ينظر علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 293

يستصعبه من أغراض في سفره بهدف الإقامة في المكان ، ولكن المجد هو الذي يريد الإقامة الدائمة في " آل طلحة " ، فالغاية من ذلك أن ينسب الشاعر المجد إلى " آل طلحة " على طريق الكناية فلم يعمد إلى إطالة المسافة بين اللازم والملزوم ، بل جعل الوسائط بينهما قليلة واضحة كل الوضوح . (((1)

4. الرمز : في هذا النوع من الكناية تقل الوسائط مع خفاء في اللزوم بدون تعريض ، نحو قولهم : " عريض الوسادة " أي أبله .

أغراض الكناية :

- للكناية كغيرها من التشبيه والاستعارة بعد بلاغي وآخر تواصل ، وهذا ما لمح إليه البلاغيون العرب في حديثهم عن أغراضها التي يمكن حصرها في ما يأتي :
- تقوية المعنى لأنها بمثابة الدعوى مع البيئة ، إذ لو قيل " فلان كريم " فقد يسأل سائل : " ما دليل ؟ فاللازم أن يقال : " بدليل كثرة الرماد " .
- تصوير المعنى وتجسيده في صور المحسوسات بما يؤثر في النفس ويحدث فيها الإعجاب بمعنى أنها تلبس المعقول ثوب المحسوس ((وتبرزه في صورة محسة متخيلة ، يتخذ عناصرها من مقومات الطبيعة ومظاهر الحياة التي لا تفارق الإنسان على وجه الأرض وهذا ما يمنح الخلود .)) (2)
- الكناية تمتاز بالإيجاز والاختصار حيث تؤدي المعنى الكثير في قليل من الألفاظ ، ومن هنا تساعد على الاقتصاد اللغوي .
- تمكين المرسل من التعبير عن أفكاره وأحاسيسه من طرق أخرى غير مباشرة أي تحاشي الإساءة أو النيل من المستقبل بطريقة مباشرة أو اللجوء إليها بهدف التعمية والإبهام عليه . وذلك ((حرصا على المكنى عنه أو خوفا منه

(1). ينظر علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 297

(2) . البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، د/ علي علي صبح . ص : 177

كالكناية عن أسماء النساء أو أسماء الأعداء)) (1) ، وعلى العموم فالكناية أبلغ من التصريح وأجمل منه .

- تعد الكناية ((من أقدر الأساليب الشعرية على الاقتصاد اللغوي الشعري واختلافها عن التشبيه والاستعارة في هذا الشأن، يكسبها طواعية أكثر في استغراق دلالات المشهد الشعري واستغراق خطابه.)) (2)

رابعاً . المجاز المرسل :

سبق لي أن تحدثت عن المجاز في مفهومه العام في المبحث الخاص بالحقيقة والمجاز ، وبينت من خلاله أن المجاز في مفهومه العام يعني العدول عن الحقيقة الموضوعية للمعنى المراد وتتطوي تحته الاستعارة والمبالغة والتمثيل والتشبيه والكناية وغيرها ، وعليه فقد ارتأيت أن أعرج في هذا المبحث على المجاز في مفهومه الخاص كلون من ألوان البيان ، وهو ما يعرف في الاصطلاح البلاغي " المجاز المرسل " .

- المجاز لغة :

المجاز لغة من ((ج و ز جاز الموضوع سلكه وسار فيه..)) (4) ، وهو ((مفعول من من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه، وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً)) (5) والظاهر أنه ((من قولهم جعلت كذا مجازاً إلى حاجتي إي طريقاً له .)) (6)

(1) . شعرية المشهد في الإبداع الأدبي ، حبيب موني . ص : 70

(2) . علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 307

(3) . مختار الصحاح ج1 ، الرازي . ص : 49

(4) . أسرار البلاغة ، الجرجاني . ص : 279

(5) . الإيضاح في علوم البلاغة القزويني . ص : 232

المجاز اصطلاحاً :

يراد بالمجاز في الاصطلاح البلاغي كما يقول الجرجاني : ((كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها ، لملاحظة بين الثاني والأول ، فهي مجاز . وإن شئت قلت : كل كلمة جرت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له ، من غير أن تستأنف فيها وضعا ، لملاحظة بين ما تُجوزُ بها إليه ، وبين أصلها الذي وضعت له في وضعها فهي مجاز)) (1) أي هو ((عبارة عن تجوز الحقيقة بحيث يأتي المتكلم إلى اسم موضوع لمعنى فيخصه إما أن يجعله مفردا بعد أن كان مركبا أو غير ذلك من وجوه الاختصاص .)) (2)

يرى منقور عبد الجليل أن المجاز مرتبط بالحقيقة حيث يقول : ((لما كان المجاز تابعا للحقيقة وكانت الحقيقة تنقسم إلى لغوية وعرفية ووضعية وشرعية ، كان المجاز في التقسيم تابعا كذلك للحقيقة ، ولا تنفصم عرى الاتصال بين دلالة اللفظ الحقيقية ودلالاته المجازية ، بل يبقى رباط خفي دقيق يصل الدالتين.)) (3) تكمن أهمية المجاز كما يقول هذا الأخير في حديثه عن المجاز عند الأمدي في وظيفة التواصل والإبلاغ (4) ، وهو ((طريق من طرق التوليد في النظام اللغوي فما دام لفظ الحقيقة لا يمكنه التعبير عن كل أغراض المجتمع ، احتيج إلى هذا التوليد المتمثل في الدلالة المجازية ، ثم إن نظام اللغة يتمدد عبر المكان " المقام " والزمان

(1) . الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني . ص : 232

(2) . الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني . ص : 251

(3) . علم الدلالة : أصوله ومباحثه في التراث العربي ، د/ منقور عبد الجليل ، ديوان المطبوعات

الجامعية ، ب . ط ، 2010 . ص : 278

(4) . ينظر علم الدلالة : أصوله ومباحثه في التراث العربي ، د/ منقور عبد الجليل . ص : 278

" الحال " ليوائم كل التحولات والتغيرات التي تطرأ على بيئة المجتمع فيعبر عن حاجاته اللغوية أو النفسية أو الاجتماعية الثقافية ، وذلك بخلق أنظمة إبلاغية جديدة ما تلبث أن تصبح محل تعارف واصطلاح بين أفراد المجتمع اللغوي . (((1)

- أقسام المجاز :

ينقسم المجاز إلى نوعين : مجاز عقلي ومجاز لفظي ، ففي هذا السياق يقول الجرجاني : ((واعلم : أن المجاز على ضربين : مجاز من طريق اللغة ، ومجاز من طريق المعنى والمعقول فإذا وصفنا بالمجاز الكلمة المفردة كقولنا : اليد مجاز في النعمة ، والأسد مجاز في الإنسان وكل ما ليس بالسبع المعروف ، كان حكماً أجريناه على ما جرى عليه من طريق اللغة ، لأننا أردنا أن المتكلم قد جاز باللفظة أصلها الذي وقعت له ابتداء في اللغة وأوقعها على غير ذلك إما تشبيهاً ، وإما لصلة وملابسة بين ما نقلها إليه وما نقلها عنه . ومتى وصفنا بالمجاز من الكلام كان مجازاً من طريق المعقول دون اللغة ...)) (2)

1. المجاز العقلي :

هو ((ما أسند فيه الفعل أو ما في معناه إلى غير صاحبه لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي ، ويقصد بعبارة " وما في معناه " المصدر ، اسم

(1) . علم الدلالة : أصوله ومباحثه في التراث العربي ، د/ منقور عبد الجليل . ص : 278

(2) . أسرار البلاغة ، الجرجاني . ص : 287

. ينظر المجاز عند الإمام ابن تيمية وتلاميذه بين الإنكار والإقرار ، د/ عبد العظيم إبراهيم محمد

المعطني ، مكتبة وهبة القاهرة ، ط 1 ، 1995 . ص : 29 ، 33

الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة واسم التفضيل .. وهي مشتقات تعمل أحيانا عمل الفعل . (1)

. علاقات المجاز العقلي :

أشهر العلاقات المانعة من إرادة المعنى الأصلي في هذا النوع من المجاز :
المكانية والزمانية والسببية والمصدرية والفاعلية والمفعولية .

- المكانية : وفيها ((يسند الفعل أو ما في معناه إلى مكان المسند إليه ، نحو قولك

: تجري الأنهار ، فالفعل " تجري " أسند إلى " الأنهار " والأنهار لا تجري ،

وإنما هي أمكنة ، لما يجري ، للمياه .. والعلاقة التي سوغت هذا الإسناد هي

المكانية . والقرينة التي منعت من اعتبار هذا الإسناد حقيقيا إدراكنا بالعقل ، أن

المكان لا يجري ، وإنما الذي يجري هو المياه التي تحل فيه . (2)

- الزمانية : وفيها ((يسند الفعل أو ما في معناه إلى زمان حدوث الفعل)) (3) نحو

قوله تعالى: ((فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا)) (4) ففي الآية

أسند الفعل " جعل " إلى اليوم وهو ليس بفاعله ، وإنما زمن وقوعه .

- السببية : وفيها ((يسند الفعل أو ما في معناه إلى سببه... نحو قوله تعالى :

((وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا)) / الأنفال : 03 / فالمجاز هنا عقلي إذ

أسندت زيادة الإيمان التي هي من فعل الله عز وجل إلى الآيات لكونها سببا

في الزيادة . (5)

(1) . علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 205

(2) . علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 205

(3) . علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 206

(4) . المزمّل : 17

(5) . علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 205

- المصدرية : يسند فيها الفعل إلى مصدره ، نحو قول الشاعر :

سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جَدُّهُمْ *** وفي الليلية الظلماءِ يُفْتَقَدُ البَدْرُ

في هذا البيت أسند الفعل " جد " إلى المصدر " الجد " بينما الذين يجدون هم القوم ، ومن هنا أسند الفعل إلى غير فاعله الحقيقي ، فهو إذا مجاز علاقته " المصدرية " .

- الفاعلية : وفيها ((يسند الوصف المبني للمفعول إلى الفاعل أي يستعمل

المفعول والمقصود اسم الفاعل نحو قوله تعالى : ((إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا))

/ مريم : 61 / أي آتيا ، ففي هذا القول ، أسند الوصف المبني للمفعول أي

" مأتيا " إلى الفاعل أي " آتيا " على سبيل المجاز ، والعلاقة بالقرينة

المانعة من إرادة المعنى الحقيقي هي الفاعلية (((1)

- المفعولية : نحو قولنا : بيني وبين الأشرار حجاب مستورا أي ساترا ، فقد جعل

الحجاب مستورا مع أنه هو لسائر . (2)

2. المجاز المرسل :

إن ((المجاز المرسل : metonymy وبحسب التعريف القاموسي : هو نقل الألفاظ

من حقيقتها اللغوية إلى معان أخرى لصلة غير صلة المشابهة وله علاقات منها :

السببية ، المسببية الجزئية ، الكلية ، اعتبار ما كان ، اعتبار ما يكون ، المحلية (((3)

أو هو ((استعمال اللفظ في غير ما وضع له أصلا لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة

المعنى الحقيقي وهذا المجاز يكون في المفرد كما يكون في التركيب (((4) ، وسمي

هذا النوع من المجاز مرسلا لكونه غير مقيد بعلاقة واحدة ، أو لإرساله عن التقيد

(1) . علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 209

(2) . ينظر علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 211

(3) . الإبلاغية في البلاغة العربية ، سمير أبو حمدان . ص : 165

(4) . علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 200

بعلاقة المشابهة ، وإنما له العديد من العلاقات ، كإطلاق ((اسم الحال على المحل ، والسبب على المسبب ، والكل على الجزء ، وعكسها ...)) (1) ، ومن علاقاته أيضا اعتبار ما كان و اعتبار ما يكون والآلية والمجاورة .
علاقات المجاز المرسل :

- السببية : أي ذكر لفظ السبب ويراد منه المسبب ، نحو قول الشاعر :

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ ِ *** رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا

يريد الشاعر أن يقول " رعينا العشب " لأن المطر " نزل السماء " سبب فيه

- المسببية : إذا ذكر لفظ المسبب وأريد منه السبب ، نحو قوله تعالى : ((إن

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ

سَعِيرًا)) (2) ، إن النار ((لا تؤكل وإنما هي المسبب عما يأكله الإنسان من

الطعام المحرم)) (3)

- الجزئية : أن يؤتى بلفظ الجزء ويراد به الكل ، ومن ذلك قوله تعالى :

((فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ)) (4) فالمجاز في قوله " عينها "

حيث جاء بالجزء وأراد الكل أي قلبها ونفسها وجوارحها . "

- الكلية : إذا أطلق لفظ الكل وأريد به الجزء ، وهي عكس الجزئية ، نحو قوله

تعالى : ((يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ)) (5) ، فالمراد بالأفواه وهي الكل

اللسان وهو الجزء .

(1) . الخيال في الشعر العربي : دراسات أدبية ، محمد الخضر حسين . ص : 16

ينظر الخيال في الشعر العربي : دراسات أدبية ، محمد الخضر حسين . ص : 179

(2) . النساء : 10

(3) . علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 220

(4) . طه : 40

(5) . آل عمران : 167

- اعتبار ما كان : أي ذكر الشيء بما كان عليه في الماضي ومن هنا تسمى هذه العلاقة عند الماضوية (1) ، ومن ذلك قوله تعالى : ((وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ)) (2) ، أي الذين كانوا يتامى ثم بلغوا سن الرشد .
- اعتبار ما يكون أو المستقبلية : وهذا بذكر اسم الشيء على ما يكون أو يوول إليه في المستقبل ، نحو قوله تعالى : ((إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا)) (3) أي أعصر عنبا باعتباره سيتحول في المستقبل إلى خمر .
- المحلية : إذا ذكر لفظ المحل وأريد به لفظ الحال فيه ، نحو قوله تعالى : ((فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَدَّعُ الزِّيَانِيَّةَ)) (4) ، استعمل لفظ المحل " النادي " ويراد به الذين يحلون فيه وهم الناس أو القوم .
- الحالية : إذا استعمل لفظ الحال وأريد به المحل ، نحو قوله تعالى : ((فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)) (5) ، استعمل لفظ الحال " الرحمة " وأريد به المحل أي الجنة التي تحل بها الرحمة .
- الآلية : وفيها يذكر اسم الآلة ويراد به الأثر المترتب عنها بمعنى الأثر الذي ينتج عنها ، نحو قوله تعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ " - الآلية : وفيها يذكر اسم الآلة ويراد به الأثر المترتب عنها بمعنى الأثر الذي ينتج عنها ، نحو قوله تعالى : ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ)) (6) ، فاللسان استعمل مجازاً مرسلًا علاقته الآلية ، والمراد به لغة القوم .

(1) . ينظر علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 223

(2) . النساء : 2

(3) . يوسف : 36

(4) . العلق : 17

(5) . آل عمران : 107

(6) . إبراهيم : 4

- المجاورة : وذلك ((بأن يطلق لفظ الشيء ويراد به ما يجاوره . مثاله قول عنتره :

فَشَكَّكْتُ بِالرُّمَحِ الْأَصَمِ ثِيَابَهُ *** لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمَحْرَمٍ

يفتخر عنتره بشجاعته ، وشدة مراسه في القتال ، ويصف طعنه للعدى ، فيقول

: إنه شك بالرمح ثياب العدو . فإذا أخذنا اللفظ على معناه الحقيقي ، فإن الضربة

لا شك هزيلة ، لكن عنتره استعمل اللفظ على سبيل المجاز ، فذكر الثياب وقصده

ما جاوره من اللحم والعظم ، وبهذا يأخذ المعنى أبعاده الصحيحة فالثياب مجاز

علاقته المجاورة .)) (1)

. أغراض المجاز :

المجاز ضرب من ألوان البيان ، تكمن أهميته في التوسع في أساليب اللغة بحيث

يمكن من التعبير عن المعنى الواحد بطرق مختلفة ، كما يساعد على الإيجاز وبه

تحصل ((القدرة التأثيرية على المتلقي انطلاقاً من ناحيتين :

1 . فثمة ناحية أولى رأوا إليها أنها مسلمة عقلية ، وهي أن المجاز فرع من أصل .

2 . وأن خروج الفرع من الأصل أي حدوث المجاز ، لا طائل من ورائه ما لم ينطو

على فائدة بلاغية تضاعف من قوة النص وتأثيره . أما إذا لم تحصل مثل هذه الفائدة

البلاغية فإن المجاز حينئذ يتحول عبثاً على النص ، ويفصل البلاغيون في هذه الحال

أن يقتصر التعبير على اللفظ الأصل .)) (2)

وهذا يعني أن للمجاز غرضاً تواصلياً وبعداً جمالياً لهما من التأثير على المستقبل

(1) . علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 229

(2) . الإبلاغية في البلاغة العربية ، سمير أبو حمدان . ص : 174

ما ((يطرد السأم من النفس ، ويجعل التواصل مولد جيد للإبلاغية والنص فهو من وجه أول يوجد حالا من التفاعل والانفعال بين المتلقي والنص...ولعل هذه الحال من التفاعل والانفعال تؤدي إلى جعل المتلقي يقبل على النص فيتشرب معناه ويحفر له مكانا في ذهنه)) (1) ، فالمراد بالنص الرسالة .

فمدار المجاز هو ((أن ذهن المخاطب / المستقبل / ينتقل إلى المعنى المراد بسهولة حيث كان بينه وبين المعنى الحقيقي مناسبة تقتضي تقاربهما في الذهن لأن إدراكهما كان في وقت واحد ، كالحال والمحل والكل والجزء ، أو على التعاقب كالسبب والمسبب .)) (2)

ومن أغراض المجاز أنه ((يبعث على التأمل ويستشير الخيال والتفكير ويشرع للمعاني أفاقا عريضة .)) (3)

(1) . الإبلاغية في البلاغة العربية ، سمير أبو حمدان . ص : 175

(2) . الخيال في الشعر العربي : دراسات أدبية ، محمد الخضر حسين . ص : 16

(3) . علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 231

الباب الثاني : الصورة البلاغية والعملية التواصلية

. الفصل الأول : الصورة في التراث الغربي

. الفصل الثاني : نماذج تطبيقية على الصورة

الباب الثاني : الصورة البلاغية والعملية التواصلية

. الفصل الأول : الصورة في التراث الغربي

الصورة في الأدب الغربي :

خصت هذا المبحث للصورة في الأدب الغربي غير أنني رأيت أنه من المفيد ومن باب الإيجاز أن أتجاوز بعضاً من القضايا التي ليست بذات أهمية ، ومن هنا فإنني سأقتصر فيه على بعض من المفاهيم . وباختصار أيضاً . التي تفرضها طبيعة الموضوع ومنها :

مفهوم البلاغة في التراث الغربي :

تلتقي كلمة بلاغة في اللغة العربية ((مع كلمة ريطورية في التراث البلاغي الغربي المنحدر من الثقافة اليونانية واللاتينية عامة " Rhétorique " في اللغة الفرنسية ، " Rhétoric " في الإنجليزية ..)) (1)

تعني البلاغة في التراث الغربي ((فن جودة القول)) (2) ، والفن ((يعني هنا الصنعة . إن نتاج هذه الصنعة أمر مدبر أي أنه لا يرجع إلى الطبيعة وصدفها ، بل هو نتاج العقلانية المنهجية الإنسانية . وبعبارة أخرى : البلاغة منهج يمس خاصية ملازمة للإنسان هي الكلام . وبصفتها منهجاً فإنها تتميز بمجموعة من القواعد)) (3) إلا أن هذه القواعد ((ليست مرصوفة بطريقة تعسفية ، بل لقد ربط بينها من زوايا نظر قائمة على أساس منطقي ، وتكون هذه القواعد في مجموعها بناء معقداً يتكون هيكله من التبعية والمثابرة والتحديد . نستخلص من ذلك أن للبلاغة طبيعة نسقية ، ومع أن هذا النسق بقي عبر 2500 سنة من عمره غير كامل وتعرض لتغيرات متوالية ، فإن وظيفته الأولى بقيت مع ذلك واحدة ، وهي نتاج نصونصوص حسب

(1) . المعرفة : البلاغة العامة والبلاغة المعجمة ، محمد العمري ، العدد : 25 . ص : 01

(2) -Rhétorique de la poésie , ouvrage du groupe " à " , Editions du seuil , octobre 1990 – p : 589

(3) . البلاغة والأسلوبية : نحو منهج سيميائي لتحليل النص ، هنريش بيلث ، تج د/ محمد العمري ،

إفريقيا الشرق بيروت لبنان ، ب . ط ، 1999 . ص : 23

قواعد فن معين .)) (1) يختلف هذا المفهوم للبلاغة عن مفهومها العلمي الحديث ، فهو ((عكس المفهوم السابق ، إذا لم يعد الهدف الأول للبلاغة العلمية هو إنتاج نصوص بل تحليلها .)) (2)

الملاحظ أن مفهوم البلاغة عند الغرب لا يكاد يختلف في شيء عن مفهومها في البلاغة العربية كما مر آنفا ، ولقد حرص الأدباء والشعراء الغربيون على " جودة القول وجمال التعبير وقوة الأسلوب " من خلال توظيف الصورة بكافة أشكالها بهدف التأثير على المستقبل إذ ((ليس هناك شعر من دون صور .)) (3)

ومن هنا عرج النقاد على أغراض أو مقاصد البلاغة التي يمكن الوقوف عليها من خلال حديثهم عن البعد التداولي للبلاغة الذي ((يظهر في تمييزها ، ومنذ القدم بين ثلاثة أنماط أساسية من المقصدية ، واحد منها فكري ، واثنان عاطفيان أحدهما معتدل والثاني عنيف " انفعالي أو تهييجي " .)) (4) ويضم الأول منها أي المقصد الفكري ((مكونا تعليميا ومكونا احتجاجيا ومكونا أخلاقيا ، وليست هذه المكونات منفصلة بعضها عن بعض ، بل إنها متداخلة على الدوام .)) (5) ونظرا لأهمية هذه المكونات في العملية التواصلية ، فقد رأيت من المفيد أن أتعرض لكل منها بشيء من التفصيل .

. البعد التعليمي : يتمثل في أخبار المستقبل ((بواقع ما دون استدعاء العواطف .

(1) . البلاغة والأسلوبية : نحو منهج سيميائي لتحليل النص ، هنريش بيلث ، تج د/ محمد العمري ، ص : 23

(2) . البلاغة والأسلوبية : نحو منهج سيميائي لتحليل النص ، هنريش بيلث . ص : 23

(3) – Rhétorique de la poésie , ouvrage du groupe " ù " – p : 18

(4) . البلاغة والأسلوبية : نحو منهج سيميائي لتحليل النص ، هنريش بيلث ، تج د/ محمد العمري ، ص : 25

(5) . البلاغة والأسلوبية : نحو منهج سيميائي لتحليل النص ، هنريش بيلث . ص : 25

ويتولاه الجانب الإخباري من الخطاب ، كما يقوم أيضا على تقديم موضوعي " كما في النصوص العلمية والإخبارية " ((1))

. البعد الحجاجي : تكمن أهميته في ((جعل موضوع الخطاب ممكنا بالرجوع إلى العقل ، ويمكن أن يتحقق هذا الغرض بالحجة المادية " الحجة غير الصناعية " .. كما يمكن أن يتحقق بالحجة المنطقية وشبه المنطقية " الصناعية " التي تسير من الخاص إلى العام " الاستقراء ، أو من العام إلى الخاص " الاستنباط " ، والغرض من ذلك هو جعل غير المحتمل محتملا وغير الأكيد أكيدا .)) (2)

. البعد الأخلاقي : تتحصر وظيفة هذا البعد كما يتجلى من خلال التسمية في ((تعليم المجتمع في مجال الأخلاق ، يتضمن عناصر تعليمية واحتجاجية ، كما يتضمن دعوة إلى العقل ، وتسجل عناصر النصح هنا الانتقال من المقاصد الفكرية إلى المقاصد العاطفية . إن هذا المقصد الأخلاقي يظهر في جميع النصوص التعليمية .)) (3) أما المقصدية العاطفية فهي تهدف إلى إثارة الانفعالات والعواطف والمتعة الجمالية في حين تبحث مقصدية التهيج عن إثارة الانفعالات العنيفة " الحقد الألم الخوف " في وقت معين . (4)

Figure : مفهوم الصورة .

قبل الحديث عن مفهوم الصورة يبدو من الضروري ضبط معنى مصطلح الصورة التي تبقى ((غامضة وغير دقيقة في نفس الآن ، غامضة لكونها يسمح باستعمالها بمعنى عام مبهم جدا وواسع جدا ، وذلك بالنظر إلى هذا الاستعمال من منظور

- (1) . البلاغة المدخل لدراسة الصور البيانية ، فرنسوا مورو ، تج محمد الولي وعائشة جريج . ص : 25
- (2) . البلاغة المدخل لدراسة الصور البيانية ، فرنسوا مورو ، تج محمد الولي وعائشة جريج . ص : 25
- (3) . البلاغة المدخل لدراسة الصور البيانية ، فرنسوا مورو ، تج محمد الولي وعائشة جريج . ص : 26
- (4) . ينظر البلاغة المدخل لدراسة الصور البيانية ، فرنسوا مورو . ص : 26 ، 27

أسلوبي خاص ، وغير دقيقة لأن استعمالها ولو في مجال البلاغة المحصور عائم وغير محدد بدقة .)) (1)

ومرد الصعوبة في ضبط هذا المصطلح يعود لكونه ((يستخدم تارة كاسم جنس للدلالة على كل علاقة مشابهة ، ويستخدم طورا آخر كمرادف للاستعارة وحسب دون التشبيه ..)) (2) ، ومن هنا نجد من النقاد من ((يطلق تسمية الصورة على الطرفين المقربين ، ومنهم من يخص بهذه التسمية الطرف " المصور " Imageant ، ومنهم من يشير باسم الصورة إلى محسن بعينه .)) (3)

ولقد كان للمدارس النقدية والأدبية دور في هذا الخلط الذي عرفه هذا المصطلح وهذا لتباين نظرتها إلى مفهوم الصورة التي تعد عند الرومانسيين . على حد تعبير الشاعر الفرنسي بيار ريفاردي . ((image إبداعا فنيا صرفا، وهي لا يمكن أن تنبثق من الجمع بين حقيقتين واقعتين تتفاوتان في البعد قلة وكثرة ، ولا يمكن إحداث صورة المقارنة بين حقيقتين واقعتين بعيدتين لم يدرك ما بينهما من علاقات .)) (4) وتقوم الصورة عند كولريديج على الخيال لأنه ((الأساس في بنائها عن طريق الجمع بين عناصرها المختلفة .. فبواسطة فاعليته ونشاطه تنفذ الصورة إلى مخيلة المتلقي فتتطبع فيها بشكل معين وهيئة مخصوصة ناقلة إحساس الشاعر تجاه الأشياء وتفاعله معها .)) (5)

أما البرناسية ((فلا تعترف إلا بالصورة المرئية المجسمة أو ما يسمى في حين ((لا تقف الرمزية " بالبلاستيكية " بعيدا عن نطاق الذات الفردية)) (6) عند حدود

(1) . البلاغة المدخل لدراسة الصور البيانية ، فرنسوا مورو، تج محمد الولي وعائشة جريج . ص :

(2) . البلاغة المدخل لدراسة الصور البيانية ، فرنسوا مورو، تج محمد الولي وعائشة جريج . ص : 17

(3) . البلاغة المدخل لدراسة الصور البيانية ، فرنسوا مورو، تج محمد الولي وعائشة جريج . ص : 17

(4) – www.arabsgate.com

(5) – www.arabsgate.com

(6) – www.arabsgate.com

الصورة كالبرناسية ولكنها تتجاوزها إلى أثرها في أعماق النفس أو اللاشعور ، وبالتالي ابتدعوا وسائلهم الخاصة في التعبير كتصوير المسموعات بالمبصرات والمبصرات بالمشمومات ، وهو ما يسمى بتراسل الحواس (((1)

وهذا خلافا للسريالية التي ((اهتمت بالصورة على أساس أنها جوهر الشعر ولبه وجعلت منها فيضا يتلقاه الشاعر نابعا من وجدانه.)) (2)

تطلق الصورة ((على شكل من أشكال اللغة ، ولها وظيفة خاصة حيث تكسي الفكرة جملا وتجعلها أكثر إثارة للانتباه . ليست الصورة إجراء استثنائي ، وإنما هي عملية طبيعية يلجأ إليها كل فرد لعبر عن إحساسه سواء أكان مثقفا أو غير مثقف)) (2) ، أو هي كما يعرفها " روبرت " Robert ((بأنها إعادة إنتاج طبق الأصل أو تمثيل مشابه للكائن أو شيء ، ويحيل أصل المصطلح الاشتقاقي على فكرة النسخ والمثابفة والتمثيل والمحاكاة ، ذلك أن الفعل اللاتيني " Emitar " يعني " إعادة الإنتاج بواسطة المحاكاة . أما في الاصطلاح السيميوطيقي فإن الصورة تنضوي تحت نوع أعم يطلق عليه مصطلح الإيقون " Icône " ، وهو يشمل العلامات التي تكون فيها العلاقة بين الدال والمرجع ، وهو على المثابفة والتماثل ..)) (4)

وهناك من ينفي أن تكون الصورة مجرد مقارنة أو محاكاة بل هي كما يقول بيري ريفيردي ((إبداع خالص للذهن ، ولا يمكن أن تنتج عن مجرد المقارنة . إنها نتاج التقريب بين واقعتين متباعدتين قليلا أو كثيرا ، ويقدر ما تكون علاقات الواقعتين المقربتين بعيدة وصادقة بقدر ما تكون الصورة قوية وقادرة على التأثير الانفعالي وتحقيق الشعرية ..)) (5)

(1) – www.arabsgate.com

(2) – www.arabsgate.com

(3) – Encyclopédie générale Larousse , tome 1 – p : 590

(4) . المعرفة ، الصورة واللغة " مقارنة سيميوطيقية ، محمد العمري ، العدد 13 . ص : 01

(5) . البلاغة المدخل لدراسة الصور البيانية ، فرانسوا مورو ، تج محمد الولي وعائشة جريز

ويمكن على حد ما أقرته الأكاديمية الفرنسية التمييز بين نوعين من الصورة : صور الكلمات التي ترتبط بالنحو وصور الفكر التي ترتبط بالبلاغة ، الأولى حسبها هي استعمال أو توافق الكلمات التي تمنح للخطاب قوة .. والثانية تتصل بالأفكار وتضفي عليها شيئاً من الجمال والحسن ...)) (1) ، فالنوع الأول ينحصر كما يتبادر إلى الذهن من هذا القول في توضيح الأشياء و تقريب المفاهيم أي له بعد تعليمي محض . أما النوع الثاني فيراد به الصورة الفنية التي لا تخلو من التأثير لما فيها من عنصر الجمال والرونق ، وهي تلك التي اصطلح على تسميتها فرانسوا مورو ((بالصورة الحية والفريدة والمتصفة بقصد استنطقي ..)) (2) على غرار ما نجده في أعمال كبار الأدباء والشعراء ، وهي تقابل عنده الصورة الميتة وهي ((عبارة بلغت حد الاندراج في المعجم بطريقة لم يعد التعرف عليها ورادا وبطريقة أصبحت معها بمثابة لفظة حقيقية.)) (3) ويستدل فرانسوا مورو في هذا المقام بملاحظة هـ . إستيان التي ورد فيها : ((إننا نجد بين الفرنسيين الكثيرين الذين يستخدمون كل يوم مثل هـ الكلمات ; hagard ; niais (ou niez) ; débonnaire ; leurré إن المعاني المنتسبة لهذه الكلمات بالتتابع هي : " الصقر الملازم للعش الصقر المتوحش ، ذوات الأعشاش الجيدة مثل النسور ، مصدر هذا الفعل يعني قطعة من الجلد الأحمر في شكل طائر يربط بها طعم الصيد لجلب الصقر للعودة إلى قبضة اليد " القليل منهم من يعلم بالاستعمال الأول ، ولهذا يجدون أنفسهم يقولون عن الناس ما يقال في الحقيقة عن الطيور الكاسرة ..)) (4) والحال نفسه ينطبق على مستعملي اللهجات العامية في الوطن العربي الذين يلجؤون إلى هذا النوع من الصور

(1) -Les figures du discours , Pierre Fontanier , Flammarion , sciences de l'homme –p :64

(2) . البلاغة : المدخل لدراسة الصورة البيانية ، فرانسوا مورو ، تج محمد الولي وعائشة جرير . ص

(3) . البلاغة : المدخل لدراسة الصورة البيانية ، فرانسوا مورو . ص : 79

(4) . البلاغة : المدخل لدراسة الصورة البيانية ، فرانسوا مورو . ص : 79

الميتة في تخاطبهم اليومي وهم لا يدركون ذلك .

ومن هنا نميز بين نوعين من صور التعبير الأول تلك الصور ((التي تحتكر مسطح الدال : الصوت مرفولوجيا " أو صرف " الكلمات أو تركيبها النحوي)) (1) أما النوع الثاني فهي تلك الصور التي ((تحتكر مسطح المدلول ويؤثر تحديدا على مفهوم الأفكار ، ولهذا فإن صور الفكر تظهر في الواقع في المعنى " Invertio " في حين أن صور التعبير " أو العبارة " هي من خصائص الفصاحة ..)) (2)

ويستدعي ((مفهوم الصورة تقابلا بين استخدام عاد ، عفوي وطبيعي واستخدام خيالي غير مباشر ، لا يدل عليه ولكن يشير إليه بالرمز . فالصورة إذاً نتاج تقابل نصي بين معنى عاد مألوف وبين معنى مراد يفسح المجال للاستخدام المزدوج للفظ أو الجملة.)) (3)

والجدير بالإشارة أن الصورة في نشأتها الأولى عند الغرب ارتبطت بالفكر الفلسفي اليوناني حيث ((يعود تاريخ نظرية الاستعارات إلى عهد أرسطو ولقد لقت هذه النظرية تطورا هائلا في عصر اليكساندرين ولاتين ، ولقد أحصى القواعديون اللاتينيون أربعة

synécdoque ، المجاز المرسل la métaphore عشر نوعا : التشبيه

الكناية métonymie ، الاستعارة المجردة antonomase النعت epithete الاستعارة الرمزية

allegorie ، الصورة البلاغية la metalepse ، الأحجية والسخرية ironie Et enigme

(1) . نظرية اللغة الأدبية ، خوسيه ماريا بوتو يلو إيقانكوس ، تج / د/ حامد أبي حامد . ص : 189

(2) . نظرية اللغة الأدبية ، خوسيه ماريا بوتو يلو إيقانكوس ، تج / د/ حامد أبي حامد . ص : 189

(3) – Dictionnaire encyclopédique ; Larousse , tome 4 librairie Larousse Paris – 1983 – p : 4259

وهاتان موزعتان في التورية periphrase ، تقديم الكلام وتأخيره hyperbate المبالغة hyperbate ((1)

لقد تعامل الغربيون إذاً مع الصورة figure وبمرور الزمن تجاوزوا مرحلة البلاغة الكلاسيكية التي كانت ((تعزل الصورة الشكلية ضمن الوسائل التي تؤثر على الكلمات وتدافع عنها بوصفها Immutatio verboum أي إحلال كلمة" أو كلمات" مكان أخرى)) (2) إلى مرحلة ربط الصورة بالخطاب لأن ((الصور ما هي إلا طرق مختلفة لاعتماد الخطاب وتعديله "بالإضافة أو الحذف أو بتغيير النظام" ، وهي من ثم فإنها تؤثر على محور التركيب sintagmatico وعلى تداخل العناصر.)) (3)

هذا يعني أنهم ميزوا بين المعنى الأساسي والمعنى السياقي ذلك ((إذا استطاع اسم من الأسماء أن يكون له معان عديدة ، فيجب أن نعلم أنها معاني محتملة ، وأن أحد هذه المعاني يتحقق ضمن سياق معين تتضمن كل كلمة معنى أساسياً ومعنى سياقياً ، فالسياق يحدد المعنى)) (4) ، فمعنى الكلمة لا يتضح إلا من خلال ((علاقات الكلمة مع كلمات المقام "contexte" الأخرى ، وتحدد هذه العلاقات بنية النظام اللساني ويمكن القول إن مجموع هذه العلاقات هو الذي يحدد معنى أو معاني كل كلمة ، ولا تحدها الصورة التي تحملها الكلمات)) (5)

وإذا كان النقاد الغربيون قد ربطوا الصورة بالسياق أو التركيب على غرار

(1) . علم الدلالة ، بيير جيرو ، تج د/ منذر عياشي . ص : 76

(2) . نظرية اللغة الأدبية ، خوسيه مارييا بوتو يلو إيقانكوس ، تج د/حامد أبي حامد . ص : 202

(3) . نظرية اللغة الأدبية ، خوسيه مارييا بوتو يلو إيقانكوس ، تج د/حامد أبي حامد . ص : 188

(4) . علم الدلالة ، بيير جيرو ، تج د/ منذر عياشي . ص : 56

(5) . علم الدلالة ، بيير جيرو ، تج د/ منذر عياشي . ص : 42

البلاغيين والنقاد العرب الذين ربطوها بالنظم كما سبقت الإشارة ، فإنهم تحدثوا أيضا عن الانحراف والانزياح والعدول من خلال حديثهم عن الإبداع الذي ((تعينه الصورة في مقابل استعمالات اللغة يمكن أن يظهر على طريقتين :

1 . الانحراف : las desviaciones التي هي إبداعية تعكس الاستعمالات، وهي تؤسس علاقات جديدة وغير مسبقة بين التعبير والمضمون ، يتولد عنها أولا تحطيم للعلاقة المستعملة " انحراف " ، وتؤدي ثانيا إلى " اختصار الانحراف " ، كما يصبح في الإمكان تفسير ذلك وبميز خ . أ . مارتينيت ثلاثة أنواع من اختصار الانحراف والتفسير وهي :

أ . الاختصار بالتداخل مثل المجاز والصورة الدقيقة

ب . الاختصار بتغيير المعنى metasemia مثل الاستعارات والصور الدقيقة

ج . الاختصار بالاستعمال مثل hipatage " نوع من الاستعارة " والصورة المرتبطة به . (((1)

كما نبه هؤلاء إلى ((أن الجزء الأكثر من الأشكال ليس بصورة خاصة صوتيا أو نحويا أولا ، لأن كل الأشكال في المقام الأول دلالية نظرا لأن أي وسيلة لها دلالة ، وخاصة في مجال الأدب حيث إن أي عنصر . كما بينه لوغان 1987 يأخذ الطابع الدلالي se semantiza حتى أقل العناصر في الجانب الفيزيقي الكتابي وثانيا لأن بعض الأشكال تؤثر على مستويات عدة وتقديمها في واحد منها يستجيب في الغالب لاختيار من نوع درجة التركيز)) (2)

(1) . نظرية اللغة الأدبية ، خوسيه ماريا بوتو يلو إيفانكوس ، ترجمة د/ حامد أبي حامد . ص : 192

(2) . نظرية اللغة الأدبية ، خوسيه ماريا بوتو يلو إيفانكوس ، تج د/ حامد أبي حامد . ص : 195

ينظر

ترتبط الصورة في البلاغة الغربية باللغة الأدبية التي توصف بأنها ((خلاقة

ما دامت :

1. تخلق تعبيرات جديدة " وليست فونيمات جديدة "
2. تخلق مضامين جديدة " وليست مكونات جديدة "
3. تخلق ارتباطات جديدة بين التعبير والمضمون
4. تقييم علاقات تكملية معينة غير مسبقة بين التعبيرات والمضامين
والعلامات (((1)

ومن هنا يمكن ((الوصول إلى تصنيف نمطي Tipologia للمجازات والصور ، يتم فيه تحليل الأساس اللساني لهذه أو تلك ، واختصار الانزياح أو تفسيره بواسطة التداخل يفسح المجال مثلا للكتابة Métonimia في حين أن الاستعارة شكل لاختصار الانحراف بتفسيره بواسطة معنى المعنى Métasemia ، أو تغيير المضمون وإلى جانب المجازات يميز الصورة Imagen " ، وهي انحراف بدون اختصار " عن الأشكال Figuras " وهي آلية إبداعية في مقابل استعمالات اللغة .)) (2)

تعتبر الصورة في البلاغة الغربية من آليات تغيير المعنى حيث يرى ((الداليون المتقدمون أمثال Darmesteter و Bréal في المجاز المرسل وفي الكنية والتشبيه النماذج الأساسية لتغيرات المعنى..)) (3) ، فمن هذه ((التغيرات الدالية ما يقوم على المشابهة ومنه ما يقوم على التجاور " مجازية " ، الأولى تتحقق فوق محور التشابه الذي ينظم وجود العلاقات السياقية " تداخل الملامح ")) (4) ، وهو الموقف نفسه الذي نجده عند

(1) . نظرية اللغة الأدبية ، خوسيه ماريا بوتو يلو إيقانكوس ، تج د/ حامد أبي حامد . ص : 72

(2) . نظرية اللغة الأدبية ، خوسيه ماريا بوتو يلو إيقانكوس ، تج د/ حامد أبي حامد . ص : 72

(3) . علم الدلالة ، بيير جيرو . ص : 76

(4) . نظرية اللغة الأدبية ، خوسيه ماريا بوتو يلو إيقانكوس ، تج د/ حامد أبي حامد . ص : 203

البلاغيين العرب إلا أنه وعلى الرغم ((من التشابه بين الموقفين الغربي والعربي إزاء المجاز المرسل فإن الاختلاف كبير بين الاثنين فيما يخص الصور البيانية ، فالإثنان يوافقان على أن الفرق بين الاستعارة والمجاز كامن في أن الأول يقوم على التشبيه ، في حين الثاني لا يقوم على التشبيه ، فهو ينهض على " العلاقة المتبادلة " أو " التجاور فيما بين اسم شيء واسم شيء آخر .

بالإضافة إلى ذلك يمكن القول إنه إذا كان البلاغيون قد رأوا أن ثمة " علاقة كلية " و " علاقة جزئية " تدخلان في إطار المجاز الكلي ، إلا أن العرب جعلوا كل ذلك من ضمن المجاز المرسل .)) (1)

. أشكال الصورة في البلاغة الغربية :

لقد أحصى النقاد الغربيون حوالي أربعة عشر نوعاً من الصور كما مر ، وهي التشبيه ، المجاز ، الكناية ، الاستعارة المجردة ، الاستعارة الرمزية ، النعت الصورة البلاغية ، الألفية والسخرية التي تضم التورية ، التقديم والتأخير والمبالغة وغيرها ولضيق المقام سينحصر حديثي على الأشكال التي تناولتها في البلاغة العربية وهي التشبيه ، الاستعارة ، الكناية والمجاز .

إن الصورة في البلاغة الغربية ترتبط كما هو الحال في البلاغة العربية بالانزياح ويمكن أن نميز بين ثلاثة ((أصناف من الانزياحات :

- (1) انزياح في التركيب " العلاقة بين الدلائل " .
- (2) وفي التداول " العلاقة بين الدليل والمرسل والمتلقي " .
- (3) وفي الدلالة " العلاقة بين الدليل والواقع " .)) (2)

(1) . الإبلاغية والبلاغة العربية ، سمير أبو حامد ، ص : 168
 . ينظر فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ، د/ رجاء عيد . ص : 162
 (2) . البلاغة والأسلوبية ، هنريش بليث ، تج د/ محمد العمري . ص : 66

والملاحظ أنه يرتبط بكل ((مجال من هذه المجالات صنف من الصور البلاغة فهناك صور " سميوية " تركيبية ، وصور تداولية ، وصور " سميوية " دلالية . يفترض الصنف الأول حضور نموذج نحوي ، ويفترض الثاني حضور نموذج تواصلية ، ويفترض الثالث حضور نموذج للواقع . ويجب أن نحدد الفئة التي ينتمي إليها الانزياح داخل كل صنف بشكل مختلف ، لنأخذ ، كمثال لذلك ، الصور " السميوية - " تركيبية ، سنجد الموجه النوعي للانزياح هنا مكونا من تغيير الخط العادي للسلسلة اللسانية " أي التأليف " . ويجب أن نحدد السلسلة التي تمثل درجة الصفر من طرف المعيار النحوي للغة الطبيعية . ففي مقابل هذه الدرجة ينشأ " نحو ثان " يصف مختلف إمكانيات التغيير . وهذا " النحو الثاني " هو بدوره معيار وموضوعه وصف " بلاغة " الدليل اللساني على المستوى السميوي - تركيبية (((1) تقوم الصورة أو عملية خرق المعيار على عمليات ، أو عناصر التحويل وهي تقريبا العناصر ذاتها التي تحدثها عنها تشومسكي في النحو التوليدي التحويلي ، وهي

((1 . الزيادة

2 . النقص

3 . التعويض

4 . تبادل الدلائل (((2)

وانطلاقا من هذه العمليات توجد ((صور للزيادة والتعويض والتبادل مثلما توجد صور للتعاادل .)) (3)

(1) . البلاغة والأسلوبية ، هنريش بليث ، تج د/ محمد العمري . ص : 66

(2) . البلاغة والأسلوبية ، هنريش بليث ، تج د/ محمد العمري . ص : 67

(3) . البلاغة والأسلوبية ، هنريش بليث ، تج د/ محمد العمري . ص : 68

أولاً . التشبيه : Comparaison

يعد التشبيه نوعاً من أنواع الصور التي تناولتها البلاغة الغربية إلا أن كلمة ((تشبيه Comparaison شأنها شأن كلمة صورة Image هي مصطلح له معنى عام أوسع من ذلك الذي تسنده إليه البلاغة في الحدود الضيقة لمعجمها . نلاحظ بدءاً أن مصطلح تشبيه لا يناسب بتاتا محسن الفكر الذي يحمل هذا الاسم ، إذ بخلاف عملية التشبيه المنطقية التي تكمن حسب ليتري في اختبار المشابهات والاختلافات في الآن نفسه، فإن محسن التشبيه يخص بالتمييز دائماً واحداً من الطرفين المشبه والمشبه به لا يتمتع بوجوده إلا في علاقته بطرف التشبيه.)) (1)

يرى من جهة أخرى ميشيل لوكينر نقلاً عن فرانسوا مورو غموضاً في كلمة تشبيه فهي ((تعوض في مصطلحات النحو كلمتين لاتينيتين مختلفتين ، وتدل كل واحدة منهما على معنى جد مختلف عن المعنى الذي تدل عليه الأخرى ، وهاتان الكلمتان هما Comparatio المقارنة و Simitudo التشبيه ... فالمقارنة تتسم بكونها تعتمد على مراعاة عنصر تقدير كمي ، والتشبيه يستخدم ، عكس ذلك للتعبير عن تقويم نوعي)) (2) ويكمن المقياس للتمييز بين المصطلحين أي بين ((المقارنة الاستعارية Simitudo وبين المقارنة الصادقة Comparation في المبالغة ، إنه يكفي أن نقارن " إنه قوي مثل أبيه " بـ " إنه قوي مثل الأسد " و " إنها جميلة مثل أختها " بـ " إنها جميلة مثل الورد " لكي ندرك .. أننا نجد في الحالة الأولى تشبيهاً صادقاً وفي الثانية نلمح إلى مبالغة مقصودة.)) (3)

وعلى الرغم من التداخل بين المصطلحين فقد حاول البلاغيون الغربيون

(1) . البلاغة: المدخل لدراسة الصور البيانية، فرانسوا مورو، تج محمد الولي وعائشة جريز. ص :

(2) . البلاغة: المدخل لدراسة الصور البيانية، فرانسوا مورو . ص : 29

(3) . البلاغة: المدخل لدراسة الصور البيانية، فرانسوا مورو . ص : 29

تعريف التشبيه وأقسامه ، ويجمع هؤلاء على أن التشبيه في مفهومه العام يقوم ((على المقارنة بين العديد من الأشياء لتوضيح أحدها أو المقارنة بين ظواهر متميزة..)) (1) أو هو ((عقد علاقة تشابه بين شيئين بواسطة لفظ يدل على مماثلة بينهما ، فوجود هذا اللفظ أو الأداة مثل / يشبه ، كما أن.. إلخ / يُميز التشبيه من الاستعارة)) (2) ، أو هو ما يعبر عنه ((في أغلب الحالات بواسطة أداة التشبيه ، ولا يمكن لهذه الأداة أن يتم الاستغناء عنها)) (3) وللتشبيه في البلاغة الغربية الأغراض ذاتها التي أشرت إليها في أثناء حديثي عن أغراض التشبيه في البلاغة العربية ، ومنها البيان والتوضيح والتجسيم . يتألف التشبيه كما هي الحال في البلاغة العربية من العناصر الآتية :

- المشبه : Le compare

- المشبه به : Le comparant

- أداة التشبيه : terme comparant -outil

- وجه الشبه : Similarité – point de ressemblance

ويختلف نوع التشبيه بحسب هذه العناصر ذكرا أو حذفاً انطلاقاً من طرق التحويل التي تتيح لنا إمكانية الانتقال من نوع إلى آخر ، ويجب في المقام الأول أن ((نميز بين التشبيه البسيط وبين التشبيه التصويري الذي يهتم أكثر النقد الأدبي هذان النوعان من التشبيه يتمثلان في بنيتهما : مشبه ' مشبه به وأداة التشبيه التي يمكن أن تنتمي إلى كافة الأشكال النحوية .)) (4)

(1) – Rhétorique générale ; Groupe à ; J.Edeline ; J.M.Klinkenberg ; P.Minguet ; F.Pire ; H.Trinon , P : 113

(2) – Grand dictionnaire encyclopédique ; Larousse , tome 3 – p : 2447

(3) . البلاغة: المدخل لدراسة الصور البيانية ، فرانسوا مورو، تج محمد الولي وعائشة جريير . ص : 37

(4) - .comparaisonwww.flsh.unilim.fr

يُستعمل التشبيه البسيط بكثرة في ((الخطابات اليومية ، ويمكن أن نجده في الأعمال الأدبية ، لكن من دون أن يكون له أي أثر جمالي ، فهو يساعد على التقريب بين العناصر التي تنتمي إلى نفس النظام المرجعي .)) (1) أي التوضيح والبرهنة والتعليل كما هو شائع في النصوص العلمية التي يغلب عليها الأسلوب العلمي . وهذا عكس التشبيه التصويري الذي يضيف على العبارة صبغة جمالية في النصوص الأدبية التي يبحث أصحابها عن البعد الجمالي للتأثير في المتلقي .

وللتمييز بين بقية أنواع التشبيه يتعين . كما يرى فرانسوا مورور في مؤلفه البلاغة : المدخل لدراسة الصور البيانية . الرجوع إلى ما يسميه الصيغ النحوية للتشبيه أي مختلف التراكيب النحوية التي تأتي عليها أنواع التشبيه التي تختلف بحسب ما يذكر فيها وما يحذف منها من عناصر ، ومن جملة أنواع التشبيه التي تحدث عنها :
1. التشبيه الصريح أو التشبيه البسيط :

يقوم ((بالاعتماد على كلمة أداة ، هي في أغلب الحالات " مثل " أو " ك " Comme)) (2) ، وهو ما يسمى في البلاغة العربية تشبيها مرسلا الذي تذكر فيه الأداة وكافة بقية عناصر التشبيه من مشبه ومشبه به ووجه الشبه . وقد تكون الأداة غير " مثل " أو " ك " حيث تأتي ((الجملة التابعة التشبيهية مصدرية ب :

- مثل : comme أو شأنه شأن : de meme que أو بنفس الطريقة : que de la meme façon
أو كذلك : ainsi que إلخ ، " المشبه به " + الجملة الأساسية حيث توجد في الكثير اللفظة الرابطة كذلك .)) (3) ، كما يمكن أن تقام المشابهة بغير هذه الأدوات

(1) – www.flsh.unilim.fr . comparaison

(2) . البلاغة : المدخل لدراسة الصور البيانية ، فرانسوا مورور ، تج محمد الولي وعائشة جرير . ص : 37

(3) . البلاغة : المدخل لدراسة الصور البيانية ، فرانسوا مورور . ص : 37

حيث يتحقق ذلك ((في مكمل الفعل أو الصفة، إن الأفعال : شابه ومائل والصفات شبيه ب ، مماثل يمكن أن تقيم مشابهة بين طرفين :

- إننا نشبه جميعا المياه الجارية " بوشوي "

- إن الشاعر شبيه بأمير السحب " بودلير " (((1)

ففي هذين التشبيهين تحقق التشبيه بفعلٍ نشبه " ، والصفة " شبيه " .

كما يمكن أن تعقد المشابهة بغير أداة بمعنى أن يرتبط كل من المشبه والمشبه به

بعلاقات نحوية متعددة تتصل ((بأبواب نحوية كثيرة هي علاقة " الإسناد بين المبتدأ

والخبر " و " العامل ومعموله حيث الفعل والمفعول المطلق ، ويكون التقدير " قتال

البطل مثل قتال الأسود " و " الإضافة بين النور والعلم ، ويكون التقدير العلم كاشف

ثغرات الجهل " ، و " العامل ومعموله حيث الفعل والحال ، ويكون التقدير " وقوفي

وثباتي في وجه الباطل وقوف وثبات صخرة " .)) (2) ومن جهة أخرى قد يرتبط المشبه

به ((بواسطة الإضافة أو الجار إلى الخاصية المشتركة التي تفسح المجال للصورة :

لقد كان لزرقة السماء نعومة الطلس " فلوبيير ")) (3)

ومما سبق نرى أن ((العلاقات النحوية معان بلاغية تتضح أكثر لو تتبعنا بقية أنواع

التشبيه وبقية فنون البيان .)) (4) كالأستعارة والكناية والمجاز التي تبني هي الأخرى

على علاقات نحوية ، يمكن عن طريق عناصر التحويل من خلال الزيادة والحذف

(1) . البلاغة : المدخل لدراسة الصور البيانية ، فرانسوا مورو ، تج محمد الولي وعائشة جرير

ص : 38

(2) – www.ahlalhadeeth.com

(3) . البلاغة : المدخل لدراسة الصور البيانية ، فرانسوا مورو ، تج محمد الولي وعائشة جرير. ص

38

(4) – www.ahlalhadeeth.com

والحذف الانتقال من صورة إلى أخرى ومن تشبيه إلى آخر مع فرق في الدلالة .
2. التشبيه الضمني :

ففي هذا النوع من التشبيه كما يقول فرانسوا مورو ((يقترن الطرفان دون أن تدل على وجود التشبيه أية أداة)) (1) ، لا يكاد يختلف مفهوم التشبيه هنا عما قال به البلاغيون العرب حيث لا يأتي التشبيه الضمني . كما مر . على أي شكل من أشكال التشبيه المعروفة ، فهو يستخلص من ضمن السياق .

ثانيا . الاستعارة : Métaphore :

تعامل الفلاسفة والأدباء الغربيون مع الاستعارة منذ عهد أرسطو الذي أسهب في الحديث عنها في فن الشعر وربطها ((بالمحاكاة " أو التخيل " التي هي / أي الاستعارة / طبيعة فطرية في الإنسان ، ولها يرجع الفضل في إخراج الخطاب من عالم المألوف إلى عالم غير المألوف ، وهذا التخيل جوهرى في الأقاويل الشعرية ومهم في الأقاويل الخطابية باعتبار أن الغرض من الشعر هو حصول الالتذاد والمتعة النفسية " والجنسية " ، في حين أن الغرض من الخطابة هو الإقناع الذي يمكن أن تساهم فيه الأقاويل المخيلة شريطة ألا تكون مكثفة أو غريبة أو مركبة)) (2) تقوم الاستعارة عند أرسطو ((على المشابهة ، ولهذا فهو لا يعتبر الاختلاف بين الاستعارة والتشبيه اختلافا كبيرا ، وإنما يكمن الاختلاف بينهما في حضور أداة التشبيه في الثاني وغيابها عن الأولى ، مما يجعل الاستعارة تشبيها مختصرا.)) (3)

(1) . البلاغة : المدخل لدراسة الصور البيانية ، فرانسوا مورو ، تج محمد الولي وعائشة جرير . ص : 39

(2) . المعرفة ، أرسطو والاستعارة ، عمر أوكان ، العدد 117 . ص : 1

(3) . فن الشعر ، أرسطو طاليس ، تج عبد الرحمن بدوي . ص : 58

وهي عنده أيضا ضربا من المجاز الذي يعرفه بأنه ((نقل اسم يدل على شيء إلى شيء آخر : والنقل يتم إما من جنس إلى نوع ، أو من نوع إلى جنس ، أو من نوع إلى نوع أو بحسب التمثيل)) (1)

والملاحظ أنه إذا كان التشبيه ((مستحيل الوجود إلا بين طرفين معبر عنهما ، إذ إن العملية الذهنية للتشبيه تعتمد بالضرورة على شيئين . فالتشبيه لا يكون إلا بتشبيه شيء بآخر . فإن الاستعارة ، وهي محسن كلمة وليست محسن فكر يمكنها . وإن كانت تطابق بين شيئين ، الشيء المدلول والشيء الدال . ألا تظهر في العبارة إلا الشيء الدال ، إننا نميزه اعتمادا على حضور الشيء المدلول أو غيابه بين استعارة الحضور / in praesentia / حيث يكون الطرفان حاضرين/ وبين استعارة الغياب / in absentia / حيث يحضر طرف ويغيب آخر)) (2)

ومن هنا يقترب مفهوم الاستعارة في البلاغة الغربية من مفهومها عند البلاغيين العرب ، إذ تعرف على أنها ((تحويل كلمة من معناها الأصلي إلى معنى آخر لعلاقة بعض التشابه بين المعنى الأول والثاني ، على سبيل التمثيل عندما نتحدث عن رجل شجاع ، نقول : إنه أسد)) (3) والاستعارة ((في حقيقة الأمر ليست لتغيير المعنى ، ولكن لتغيير المحتوى الدلالي للكلمة ، وهذا التغيير يقوم على عمليتين : الزيادة أخرى تعرف الاستعارة بأنها ((صورة شكلية تحل والحذف في العناصر...)) (4) وبعبارة فيها مفردة " ب " محل مفردة أخرى " أ " بمقتضى علاقة التشابه القائمة بينهما

(1) . فن الشعر ، أرسطو طاليس ، تج عبد الرحمن بدوي . ص : 9

. ينظر فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ، د/ رجاء عيد . ص : 151

(2) . البلاغة : المدخل لدراسة الصور البيانية ، فرانسوا مورو ، تج محمد الولي وعائشة جرير

ص : 41

(3) - Encyclopédie générale de Larousse ; tome:1; P : 591

(4) - Rhétorique générale ; Groupe ù ; P : 106

. ينظر علم الدلالة ، بيير جيرو . ص : 77

" لها علامات مشتركة " ، وهذا الاستبدال يتضمن تغييرا في المدلول ، لأن العلاقة بين المفردة " المستبدلة " " أ " أو المستدعاة " فحوى " و المفردة " ب " الاستعارية " أداة " تتضمن انتقالا أو نقلا يتحقق بواسطة القارئ من دلالة إلى أخرى)) (1) ، وهذا ما أشار إليه أرسطو الذي يعتبر الاستعارة ((نقلا " أو تغييرا " حيث إنها " نقل اسم شيء إلى شيء آخر ، يمكن أن يفهم من هذا التعريف أن الاستعارة هي نقل دال إلى دال آخر " دال=1 دال=2" في حين أن الاستعارة هي نقل دال إلى مدلول آخر "دال= 1 = مدلول(2)) (2) إذا كان البعض يرى أن الاستعارة هي مجرد تشبيه حذف أحد طرفين ، فإن البعض الآخر ينفي أن تكون كذلك ، فهذا المنظور كما يقول فرانسوا مورو ((سطحي : إذ يوجد بين المشابهة وبين التطابق الاستعاري فارق أبعد من أن نغض عنه الطرف، ولا يمكن تفسيره بمجرد وجود أو حذف أداة التشبيه ولا شيء يبرهن على أن الفكر يمر بالضرورة عبر التشبيه لأجل خلق الاستعارة)) (3) فالاستعارة إذا ((ليست تشبيه مكثف لأنها تدل على شيء آخر غير التشبيه.)) (4) حتى وإن كانت ((البينة العميقة للتشبيه هي نفسها البنية العميقة للاستعارة ، وما يفرق بينهما هو الخطاب والشكل ..)) (5)

وتختلف الاستعارة عن التشبيه بقوة الإيحائية وتؤدي إلى التطابق بين المشبه والمشبه به ، حيث كما يقول فرانسوا مورو إن ((الكاتب الذي يستخدم التشبيه لا

(1). نظرية اللغة الأدبية ، خوسيه ماريا بوتو يلو إيقانكوس ، تج د/ حامد أبي حامد . ص : 205

. ينظر م . ن . ص : 204 ، 206

(2) . المعرفة ، أرسطو والاستعارة ، عمر أوكان ، العدد 117 . ص : 3

(3) . البلاغة : المدخل لدراسة الصور البيانية ، فرانسوا مورو ، تج محمد الولي وعائشة جرير

ص : 25

(4) – www.flsh.unilim.fr : comparaison

(5) – www.flsh.unilim.fr : comparaison

تدفعه الجرأة مهما بلغت قوة هذا التشبيه إلى حد التطابق بين الطرفين المقربين . إن الاستعارة وحدها هي التي تسمح بالتطابق بين طرفي الصورة . (((1)

كما تختلف عنه من جهة أخرى كونها ((تمتاز بمباشرة immédiateté تتعدم في التشبيه ، وأن قدرة المشابهة في هذه تقيم بين الأشياء علاقات أضيف من العلاقات التي تفرزها قدرة التطابق في تلك ، وأن محسن الفكر / أي التشبيه / يفتقر إلى قوة التركيب الكوني التي نجدها في محسن الكلمة / أي الاستعارة /، ولكن هذا لا يقتضي بالضرورة التهوين من التشبيه . (((2) والملاحظ أنه إذا كانت الكلمة ((الكلمة لا تدل في التشبيه على شيء آخر مختلف عما تدل عليه في العادة، فإن الكلمة في الاستعارة تمتلئ بدلالة جديدة . (((3)

وانطلاقاً من الربط بين الاستعارة والنقل عند أرسطو تنقسم الاستعارة ((إلى أربعة أقسام :

- أ . نقل من الجنس إلى النوع " ويمكن أن نسميه ذكر الجزء وإرادة الكل "
- ب . نقل من النوع إلى الجنس " ويمكن تسميته بذكر الكل وإرادة الجزء "
- ج . نقل من النوع إلى النوع " ويمكن تسميته بذكر الكل وإرادة الكل "
- د . نقل بالتناسب حيث ينقل الرابع بدلا من الثاني ، والثاني بدلا من الرابع حتى تكون نسبة الاسم الثاني إلى الأول كنسبة الرابع إلى الثالث . (((4)

(1) . البلاغة: المدخل لدراسة الصور البيانية ، فرانسوا مورو، تج محمد الولي وعائشة جريير. ص: 34

(2) البلاغة: المدخل لدراسة الصور البيانية ، فرانسوا مورو، تج محمد الولي وعائشة جريير ص: 35

(3) . البلاغة: المدخل لدراسة الصور البيانية ، فرانسوا مورو، تج محمد الولي وعائشة جريير. ص : 28

(4) . المعرفة ، أرسطو والاستعارة ، عمر أوكان ، العدد 117 . ص : 3

ينظر الاستعارة في ظل النظرية التفاعلية " لماذا تركت الحصان وحيدا " لمحمود درويش أنموذجا

جميلة كرتوس ، رسالة ماجستير ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، 2011 . ص : 15

إلا أنه وفي ضوء الدراسات والنظريات الحديثة التي تناولت الاستعارة ، وفي مقدمتها النظرية التجريبية التفاعلية فقد تم دحض النظرية الأرسطية للاستعارة لقصورها ، وتتمثل مواطن قصور هذه النظرية كما عدتها جميلة كرتوس في :

- ارتباط الاستعارة بقضية التخييل / شمولية التعريف

- انحصارها في مستوى الخطابين الشعري والخطابي

- قصورها على الوظيفة الجمالية

- تبئيرها في محور المشابهة

- توقفها عند حدود اللفظ الواحد . (1)

ومن هنا فقد تجاوزت الاستعارة المفهوم التقليدي الذي ساد لدى الفلاسفة والنقاد والبلاغيين في العصور القديمة حيث لم تعد الاستعارة تبنى على التشابه فحسب بل ((تبنى على التباين والاختلاف ، وكلما كانت أطراف الاستعارة متباعدة كلما كان الاقتران أقوى.)) (2)

وإذا كانت الاستعارة قديما تهتم بالكلمة ، فإنها أصبحت الآن تهتم ((بعلم دلالة الجملة قبل اهتمامها بعلم دلالة الكلمة المفردة ، إنها ظاهرة إسناد ما دامت لا تحضى بالمغزى إلا في القول ، والمتحدث يقوم بوضع كلمتين يمكن تسميتهما حسب مصطلحات ريتشاردز المحمول والحامل ، واللذان تجمعهما علاقة توتر وما يشكل الاستعارة هو الجمع بينهما ، وبالتالي لا ينبغي الحديث عن استعمال استعاري لمجرد كلمة واحدة وإنما ينبغي الحديث عن قول استعاري بالكامل.)) (3)

(1) . الاستعارة في ظل النظرية التفاعلية " لماذا تركت الحصان وحيدا " لمحمود درويش أنموذجا

جميلة كرتوس . ص : 15

(2) . الاستعارة في ظل النظرية التفاعلية " لماذا تركت الحصان وحيدا " ، جميلة كرتوس . ص : 27

(3) . نظرية التأويل " الخطاب وفائض المعنى " ، بول ريكور ، تج سعيد الغانمي ، المركز الثقافي

العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ط1 ، 2000 . ص : 90

ومن هنا فالاستعارة تقوم على التركيب أي الإسناد ذلك أن دلالة الكلمة تتوقف على ما يسبقها وما يلحقها من كلمات وبحسب السياق الذي ترد فيه فلا معنى للكلمة الواحدة خارج الجملة أو النص ، ومن هنا انتقل الحديث الآن في ضوء النظريات الحديثة من استعارة الكلمة إلى استعارة النص، وهي ((الاستعارة المحورية التي يبنى عليها النص ، والتي تتفرع بدورها إلى مجموعة من الاستعارات التي ترتبط فيما بينها وتتعلق لتشكل الاستعارة المحور .)) (1) فعدت الاستعارة بذلك ((قصيدة مصغرة .)) (2)

وتنقسم الاستعارة من حيث ذكر أو حذف أحد طرفي التشبيه في البلاغة الغربية على غرار ما رأيناه في البلاغة العربية إلى قسمين :

- الاستعارة المعلنة : *La métaphore annoncée* ، وهي التي يذكر فيها المشبه *Le*

comparé ، ويقترب هذا النوع من الاستعارة ((كثيرا من التشبيه ولكن بخلاف ما

نجده في التشبيه ، فإن الأداة تكون محذوفة .)) (3)

- الاستعارة المباشرة *La métaphore directe* ، وهي التي يحذف منها المشبه ويذكر

فيها المشبه به *Le comparant* ومن هنا فهي تقابل الاستعارة التصريحية في البلاغة

العربية ، والجدير بالتنبيه أنه ((عندما يكون المشبه *Le comparé*

محذوفا ولم يبق إلا المشبه به *Le comparant* ، فإن الاستعارة قد تتحول إلى

نوع من الأحجية أو اللغز .)) (4)

(1) . نظرية التأويل " الخطاب وفائض المعنى " ، بول ريكور ، تج سعيد الغانمي . ص : 47

(2) . ينظر نظرية التأويل " الخطاب وفائض المعنى " ، بول ريكور . ص : 46

(3) – www.flsh.unilim.fr : comparaison

(4) – www.flsh.unilim.fr : comparaison

تنقسم الاستعارة من جهة أخرى إلى ثلاثة أقسام وهي استعارة الحضور والاستعارة الاقترانية والإسنادية .

1 . استعارة الحضور : Metaphore de présence ; In praesentia

يتوفر هذا النوع من الاستعارة كما هو الحال في التشبيه على ((طرفين ظاهرين ، إلا أنها خلافاً للتشبيه تطابق بينهما بدل التقريب بينهما وحسب.)) (1)
2 . الاستعارة الاقترانية :

وفيها يرتبط ((الشيء الدال بالشيء المدلول اعتماداً على وظيفة / أي علاقة / الاقتران ... ويمكن أن نجد الترتيب مقلوباً : الشيء الدال + الشيء المدلول.)) (2)
3 . الاستعارة الإسنادية :

تقوم هذه الاستعارة على الإسناد حيث يكون ((فيها الشيء الدال مسنداً إلى الشيء المدلول أو العكس.)) (3) بمعنى أن يكون أحد طرفي الاستعارة مسنداً والآخر مسنداً إليه والعكس أي عمدة ، كما يمكن أن يكون ((الشيء المدلول مفعولاً والشيء الدال صفة لهذا المفعول "مع سمي، وجعل.)) (4) بمعنى أن يكون ضمن عناصر الفضلة . ويندرج ضمن ((نظام التركيب الاستعاري " Syntaxe de la metaphore " حالة الزيادة مثل " mer de la vie " " بحر الحياة " ، والإسناد بواسطة فعل الكينونة " Etre " مثل : C'est un lion dans la bataille " إنه أسد في المعركة " على تقدير فعل الكون ، إنه مثل

(1) . ينظر البلاغة : المدخل لدراسة الصور البيانية ، فرانسوا مورو ، تج محمد الولي وعائشة جرير

ص : 41

(2) . ينظر البلاغة : المدخل لدراسة الصور البيانية ، فرانسوا مورو . ص : 41

(3) . ينظر البلاغة : المدخل لدراسة الصور البيانية ، فرانسوا مورو . ص : 41

(4) . ينظر البلاغة : المدخل لدراسة الصور البيانية ، فرانسوا مورو . ص : 42

" C'est un lion dans la bataille " إنه أسد في المعركة " على تقدير فعل الكون ، إنه كان أو يكون ... إلخ ، والترابط السببي بواسطة فعل " Faire " مثل : Son courage fait de lui un lion dans la bataille " إن شجاعته تجعل منه أسدا في المعركة " (1) قيمة شعرية وهي :

((1 . الاستعارة الاضطرارية وتدعى " Catachrese " ، وهي تغطي نقصا في الحياة اليومية " مثل : رجلُ المائدة " .

يميز النقاد من جهة أخرى بين ثلاثة أنواع من الاستعارة ، وهي ما ليس لها أية قيمة شعرية وهي :

((1 . الاستعارة الاضطرارية وتدعى " Catachrese " ، وهي تغطي نقصا في الحياة اليومية " مثل : رجلُ المائدة " .

2 . الاستعارة المبتذلة : حيث تختفي المفارقة بين د1 ود2 نتيجة العادة التي استقرت

لصالح د1 " مثل : حارس الأمن " = الشرطي "

3 . الاستعارة الملفقة : " Kakoselon " ، وهي تؤلف بين استعارات مستهلكة بطريقة غير

صحيحة

The hand that roched the cradle has kicked the buchet

((2)) La main qui balançait le berçeau a cassé sa pipe

وتشيع هذه الأنواع من الاستعارة في التواصل اليومي بين عامة الناس .

(1) . البلاغة والأسلوبية ، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص ، هنريش بليث ، تج د / محمد العمري

ص : 86

(2) . البلاغة والأسلوبية ، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص ، هنريش بليث . ص : 86

ثالثاً – الكناية : Métonymie

تتمثل الكناية في ((التعبير عن شيء بواسطة شيء آخر تربطه بالأول علاقة منطقية أو تاريخية ...)) (1) بمعنى أن الكناية ((صورة شكلية تحل فيه مفردة مكان أخرى لأن بينهما علاقة تجاور ، ويأتي النقل لا بواسطة المشابهة " كما في الاستعارة " بل بواسطة التقارب الموجود بينهما في مجال التجربة ، فالمصطلح أو المفردة " ب " يحملنا إلى مصطلح آخر " أ " لأنهما متجاوران في علاقات السببية والإجراء ... إلخ ، إذ يقال على سبيل المثال : " لديه ريشة سهلة " بدلا من " يكتب بخفة " لأن الكتابة عادة ما تتحقق بالريشة أو نقول : " قلبه طيب " بدلا من مشاعر طيبة ، والكناية في اللغة الأدبية هي كذلك صورة كلية ذات أهمية عظمى...)) (2)

فالكناية إذاً إحدى الطاقات التعبيرية التي تتيحها اللغة العربية وغير العربية ، وفيها يلجأ الأديب وغير الأديب إلى التعبير غير المباشر الذي يقوم على الترابط التجاوري كما يقول نيروب في تعريفه للكناية ((إنها انتقال من تمثيل إلى تمثيل آخر يرتبط محتواه بعلاقة تجاور مع التمثيل المعطى.)) (3) إلا أن ((طبيعة العلاقة التي تربط الشيء المدلول والشيء الدال ليست متشابهة في الاستعارة والكناية.)) (4)

(1) – Rhétorique générale ; Groupe à, P : 106

(2) . نظرية اللغة الأدبية ، خوسيه ماريا بوتو يلو إيقانكوس ، تج د/ حامد أبي حامد . ص : 206

. ينظر فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ، د/ رجاء عيد . ص : 181

(3) . نيروب نقلا عن فرانسوا مورو ، البلاغة : المدخل لدراسة الصور البيانية ، تج محمد الولي

وعائشة جرير . ص : 62

(4) . البلاغة : المدخل لدراسة الصور البيانية ، فرانسوا مورو . ص : 62

وما يميز الكناية عن الاستعارة ، أن الأولى منهما ((تجمع ، في تأويلنا لها ، عددا من التعويضات القائمة على المجاورة التي تعرف في الأسلوبية المعيارية باسم المجاز المرسل " Synecdoque " (الجزء . الكل . النوع . الجنس . المفرد الجمع) ، وتعويض الاسم الشخصي باسم الجنس والعكس " Antonomase " والكناية " Métonymie " (السبب ، المسبب ، المساحة ، الحجم ، الزمن المدة .)) (1) يبدو أن هناك تداخلا بين المصطلحين بحيث يصعب على البعض التمييز بينهما على الرغم من ((أن الحدود النظرية بين الكناية والمجاز مرسومة بدقة أما في التطبيق فإن ضبط هذه الحدود يغدو صعبا للغاية)) (2)، وهذا مرد التردد في تصنيف بعض العبارات ضمن فئة من المجازات ، لا داخل فئة أخرى ، وهذا ما ينطبق على المجاز المرسل والكناية اللذين ينظر إليهما ((من زاوية العلاقات بين الشيء المدلول والشيء الدال ، يتصفان هما معا... بعلاقة المجاورة)) (3) ، ويعد هذا الخلط خطيرا كما يقول فرنسوا مورو ((حينما نعتبر عبارة ما كناية أو مجازا مرسلا في حين أن لا شيء يجمعها بين هذين المحسنين .)) (4)

(1) . البلاغة والأسلوبية ، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص ، هنريش بليث ، تج د / محمد العمري

ص : 87

(2) . البلاغة والأسلوبية ، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص ، هنريش بليث . ص : 65

(3) . البلاغة : المدخل لدراسة الصور البيانية ، فرانسوا مورو ، تج محمد الولي وعائشة جريير ص :

66

(4) . البلاغة : المدخل لدراسة الصور البيانية ، فرانسوا مورو . ص : 67

وعلى الرغم من أهمية الكناية وتداولها من طرف الأدباء والشعراء ، فإنها بالنسبة لبعض النقاد أقل إثارة للانتباه إذ ((نادرا ما تلعب دورا هاما بين الصور الأكثر إثارة للانتباه عند كاتب ما ، صحيح أن الكناية والمجاز المرسل يمكن أن يكونا مفيدين أسلوبيا ، إلا أنهما أقل لفتا للنظر بالمقارنة مع الاستعارة .)) (1)

تنقسم الكناية في البلاغة العربية كما مر آنفا إلى كناية عن صفة ، كناية عن موصوف وكناية عن نسبة ، في حين أحصى فونتاني تسعة أنواع من الكناية وثمانية أنماط من المجاز المرسل (2) في البلاغة الغربية وكلها يقوم على التعويضات القائمة على المجاورة ، أقتصر على البعض منها ، وهي :

- الكناية المخصصة : نحو : " مؤسف أنه لم يعد تلك الروح الفاضلة " فولتير يريد : " ذلك الإنسان " ، حيث ذكر الجزء وأراد الكل .
- الكناية المعجمة : نحو : " قبل أن توجد ، أيها المخلوق الأخرق كنت ولدتُ القدر بسعادتك " لمارتين ، يقصد الجنس البشري .
- كناية الأثر : نحو : " يا بني ، يا فرحتي ، يا شرف أيامي " راسين ذكر المسبب وأراد السبب . أي يا سبب فرحتي وسعادتي .
- كناية السبب : نحو : شرب باخوس ، / إله الخمر / ، ذكر المسبب وأراد السبب .

(1) . البلاغة : المدخل لدراسة الصور البيانية ، تج محمد الولي وعائشة جرير . ص : 64

(2) . ينظر البلاغة والأسلوبية ، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص ، هنريش بليث ، تج د / محمد

- كناية العرض : نحو : " وداعا أيتها القسوة الجميلة " ، ذكر الصفة وأراد الموصوف .

- كناية الجوهر : نحو : " الأيام قبيحة " ، ذكر المحل وأراد الحال .

- كناية مُخرِجة : نحو : " داخل الجدران ، وخارج الجدران ، الكل يتحدث عن عظمته " كورني ، يريد " المدينة " .

كناية مدخلة : أخذ الخمر في اليد ، يريد الإناء . (1)

رابعاً . المجاز : Synecdoque

المجاز هو ((استعمال اللفظ في غير موضعه الأصلي ، ومن ذلك كالانتقال من الخاص إلى العام أو من الجزء إلى الكل أو من الأقل إلى الأكثر أو من الجنس إلى النوع ..)) (2) بمعنى أن المجاز هو ((تغيير المعنى القائم على علاقة التجاور بين مفردتين ، وله صلة بالقدرة البشرية على إحداث التداخل ، والأنساق بين الوحدات اللغوية ..)) (3) وفيه كما يرى ألبير هنري يُعتمد على العقل ((إذ يجوب الحقل الدلالي للكلمة ، فهو يركز على إحدى الوحدات " الدلالات " الصغرى أي المهمة ..)) (4)

(1) . ينظر البلاغة والأسلوبية ، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص ، هنريش بليث ، تج د / محمد

العمرى . ص : 89

(2) - Rhétorique générale ; Groupe ù, P : 102

. ينظر علم الدلالة ، بيير جيرو . ص : 77

(3) . نظرية اللغة الأدبية ، خوسيه ماريا بوتو يلو إيقانكوس ، تج د/ حامد أبي حامد . ص : 204

(4) . الإبلاغية في البلاغة العربية ، سمير أبو حمدان . ص : 169

ويعرفه برنار لامي B.Lamy نقلا عن سمير أبو حمدان على أنه ((استبدال اسم
 بآخر ، في كل مرة نستعمل فيها اسما غير الاسم الصالح نكون قد اخترنا وسيلة تعبير
 تدعى " مجازا مرسلا ، فعندما يقال مثلا: " اجتاح قيصر بلاد الغال " أو " كل الناس
 يقرؤون شيشرون أو " باريس في حالة رعب " يكون المقصود بالطبع أن
 " جيوش " قيصر اجتاحت بلاد الغال ، وأن كل الناس يقرؤون " كتب " شيشرون ، وأن
 " شعب " باريس في حالة رعب من الذعر الشديد... (1)

ينقسم المجاز إلى قسمين ((المجاز المرسل " Métonymy " والمجاز الكلي
 " Synecdoque " ، فإذا كان الأول يقوم على أساس " العلاقة المتبادلة في الصورة البيانية
 بين اسم شيء واسم شيء آخر ، فإن الثاني يقوم وحسب على الصلة
 القوية بينهما (...)) (2)

(1) . الإبلابية في البلاغة العربية ، سمير أبو حمدان . ص : 167

(2) . الإبلابية في البلاغة العربية ، سمير أبو حمدان . ص : 168

. الصورة والنظرية التأويلية :

كانت الصورة بنوعها الكلية والجزئية من ضمن اهتمامات المناهج اللسانية الحديثة ، وعلى رأسها المنهج التوليدي والتحويلي بزعامة تشومسكي الذي تحدث كما سبقت الإشارة عن اللغة وربطها بالفكر والمنطق ، كما تحدث عن الإبداعية في اللغة التي يعتبرها ((ظاهرة عادية يمتاز بها الإنسان بصورة طبيعية ، ولا يجب بالتالي حصرها فقط في الأعمال الخلاقة في مجال الإبداع اللغوي أو الأدبي ففي الواقع كل إنسان يتكلم لغة قادر على أن ينتج جملا متعددة لم يسبق له سماعها من قبل واستعماله لغته في مختلف المجالات التواصلية اليومية هو في الحقيقة استعمال إبداعي في ظل مفاهيم الألسنية التوليدية والتحويلية .)) (1)

نتبين مما سبق أنه وما دام الناطق بلغة ما قادر على إنتاج جملا لم يسمعها من قبل ، فهو قادر على إنتاج الصورة بمختلف أشكالها من تشبيه واستعارة وكناية ومجاز واستعمالها في تواصله مع غيره ، وهذا ما يتجلى بوضوح في ما اصطلح على تسميته في هذا المنهج بالأداء الكلامي الذي يعني تمظهر ما يسمى الكفاية اللغوية " وهي المعرفة الضمنية لقواعد اللغة " في عملية التكلم " . (2)

ترتبط الصورة بنظرية الدلالة التأويلية في المنهج التوليدي والتحويلي الذي تفرع إلى اتجاهين، الأول يتزعمه تلميذ تشومسكي المنشق عنه "هوج" الذي تبنى الدلائيات التوليدية ، والثاني الدلائيات التأويلية بزعامة تشومسكي نفسه إن استخلاص الدلالة

(1) . الألسنية التوليدية والتحويلي وقواعد اللغة العربية " النظرية الألسنية ، د/ ميشال زكريا . ص :

. ينظر مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى تشومسكي ، ريجيته بارثشت ، نج أ . د/ سعيد

حسن بحيرى ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة ، ط 1 ، 2004 . ص : 289

(2) . مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى تشومسكي ، ريجيته بارثشت . ص : 18

من الاتجاه الأول تقوم على الانطلاق من البنية المضمرة أو البنية العميقة المجسدة في الشكل الظاهري للجملة وما طرأ عليها من تحويلات عن طريق ما يسمى "ضغط اشتقاقية وصولاً إلى البنية السطحية فالتركيب والدلالات إذا ((مجتمعتان في المستوى العميق" أو المضمرة وفي هذا المستوى يتم جمع ما يتعلق بتأويل الجملة . (1) ولتأويل الجملة والوقوف على دلالاتها يتعين ((أخذ التركيب النحوي بعين الاعتبار ثم التركيب الدلالي اعتماداً على معاني المفردات ، وهو بالتالي يحتوي من جهة على معجم يسند لكل مفردة معنى أولياً ، ومن جهة أخرى على قواعد إسقاطية تدل على طريقة مزج المعاني المفردة التي يتوصل بها إلى مدلول الجملة (((2) وللتذكير فإن المفردات المعجمية ترتبط من جهة بمقومات نحوية بمعنى أنها تنتمي إلى أحد أجناس الكلمة وهي : اسم أو فعل أو حرف وبمقومات دلالية متفرعة أو ما يسمى بالسلسلة الذرية أي المعاني الفرعية التي تكتسبها الكلمة من خلال السياق الذي ترد فيه من جهة أخرى ومن ثم الانتقال إلى ما يسمى بحواصر الفرز " Sélection restriction التي لا يمكن إغفال ما لها من دور أساسي في تحديد دلالة الجملة . (3) فعن طريق قواعد الإسقاط أو قواعد التأويل الدلالي يمكن تجاوز الالتباس

-
- (1) . مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة ، كاترين فوك، بيارلي فوفيك تج المنصف عاشور. ص : 105 (2) .
 الألسنية التوليدية والتحويلي وقواعد اللغة العربية " النظرية الألسنية ، د/ ميشال زكريا . ص : 54
 . ينظر مدخل إلى الدلالة الحديثة ، عبد الحميد حجة . ص : 60
 (3) . ينظر الألسنية التوليدية والتحويلي وقواعد اللغة العربية " النظرية الألسنية ، د/ ميشال زكريا . ص

الحاصل على مستوى المدخل المعجمي الذي ينعكس على دلالة الجملة ، ومن ثمة فإننا ((حين ننقي جزءا معيناً من معاني الوحدة المعجمية فإننا نقصي بذلك المعاني الأخرى الممكنة ، وهذا الأمر له أهمية بالغة ، ذلك أن الانتقاء والالتباس المعجمي هما اللذان يحددان المعنى الذي يسند إلى الجملة من خلال قواعد التأويل الدلالي " أي قواعد الإسقاط . ولذا ينبغي أن تتضمن كل قراءة من قراءات المدخل المعجمي قيوداً انتقائياً ، وهو الصياغة الصورية للشروط الضرورية والكافية تحدد ضم قراءة معينة هو الذي يحدد تراكيبها الممكنة مع قراءات وحدات معجمية أخرى تساوبها عند انطباق قواعد الإسقاط (1) لأن ((كل جملة تتوفر على دلالة مقالية ، ترتبط بالمعاني الحرفية للألفاظ ، ودلالة مقامية ترتبط بما وراء اللفظ ، مثل نية المتكلم والاستلزام المرتبط باللفظ وتأويل المخاطب والافتضاء ..)) (2) ، وللتمثيل أدرج نموذجاً من النماذج التي ذكرها عبد الحميد جحفة في مؤلفه " مدخل إلى الدلالة الحديثة وهو "هناك عين تراقبنا " فمن خلال العودة إلى المدخل المعجمي لهذه المفردة نجد أنها قد تعني : عين الركبة ، كبير القوم ، عين الماء ، الجاسوس ، العين الباصرة ... وباعتماد قواعد الانتقاء نقصي كافة المعاني باستثناء " الجاسوس " لأن القرائن السياقية تحيلنا عليه (3) ، ومن هنا فإن مفردة " عين استعملت في غير موضعها الأصلي أي مجازاً ، وهذا ما يحيلنا عليه السياق تبدو أهمية قواعد الإسقاط في كونها

(1) . مدخل إلى الدلالة الحديثة ، عبد الحميد جحفة . ص : 76

. ينظر مدخل إلى الدلالة الحديثة ، عبد الحميد جحفة . ص : 61

(2) . مدخل إلى الدلالة الحديثة ، عبد الحميد جحفة . ص : 66

(3) . ينظر مدخل إلى الدلالة الحديثة ، عبد الحميد جحفة . ص : 63

تمدنا ((بالتأويل الدلالي المرتبط بالجملة ككل... إن التأويل الشامل المسند إلى الجملة يتم عبر ما يسمى بقواعد الضم الملغمة " Amalgamation " ، ففي الجملة هو نتيجة ضم مدلول كل مفردة من المفردات المشكلة للجملة إلى مداليل المفردات الأخرى الموجودة في هذه الجملة فمعنى الجملة يساوي معاني الوحدات التي تكونها وتخضع عملية الضم لشروط ثلاثة : - قيد التركيب ، - شرط دلالي ، - قيد انتقاء .)) (1)

مما سبق يمكن القول إن علاقة التركيب بالدلالة وطيدة حيث لا يمكن الوقوف على دلالة الجملة أو إدراك الصورة وتحديد بعدها التواصلية بمعزل عن التركيب الذي بواسطته نميز بين الجمل التي لها معنى والتي ليس لها معنى .
يؤكد تشومسكي في السياق ذاته على ضرورة اعتماد قواعد التفسير الدلالي التي يحصرها في نوعين وهما :

((أ . قواعد التفسير الدلالي التي هي جزء من قواعد الجملة والتي تتناول مظاهر موضوع الكلام Thématique ومظاهر التكرار Anaphore فتكون الشكل المنطقي .
ب . قواعد التفسير الدلالي التي يتم إجراؤها على الأشكال المنطقية والتي تتداخل مع بقية البنى الإدراكية ، ومن خلال هذين النوعين من قواعد التفسير الدلالي يتم في إطار النظرية التوليدية والتحويلية تمثيل المعاني .)) (2)

(1) . مدخل إلى الدلالة الحديثة ، عبد الحميد حجة . ص : 62

. ينظر مدخل إلى الدلالة الحديثة ، عبد الحميد حجة . ص : 32

(2) . الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية " النظرية الألسنية ، د/ ميشال زكريا . ص :

الصورة والانحراف في النظرية التأويلية :

ارتبطت الصورة في النظرية التأويلية كما هو الشأن في التراث العربي بالانحراف حيث فسر أصحابها ((اللغة الأدبية على أنها انحراف)) (1) رابطين الانحراف بالفهم لأن ((سلمية درجات النحوية لن تكون واردة إلا إذا تمكنت من رسم حدود الفهم . فالفهم قد يحصل من جملة غير جيدة تماما ، ومن السهل أن نبين أن بعض الجمل المنحرفة قليلا تكون جملا غير مفهومة عند المتكلمين ، في حين أن جملا أخرى تتحرف بدرجة أكبر تكون مفهومة .)) (2)

يعد الانحراف تعبيرا متميزا يلجأ إليه المبدع ليبتعد به ((عن التعبير المشترك باتجاه آخر يختص به وكأنه من أملاكه ومقتنياته)) (3) ، فالمبدع سواء أكان كاتباً أم شاعراً حينما يريد التعبير عن معنى أو فكرة ما ((يجد نفسه بإزاء رهط من أنماط التعبير أو لنقل مجموعة من التعبيرات التي تعني شيئاً واحداً ملزم بغربلتها لأجل التوصل من ثمت إلى اختيار واحد منها ، لكن هذا لا يعني أن نمط التعبير المختار يملك وحده قوة التأثير الإبلاغي ، بل إن كلا من هذه الأنماط يحتفظ في الداخل منه بكمية من هذا التأثير يختلف بكثير أو بقليل عن الكمية التي يحتفظ بها الآخر .)) (4) وهذا ما يسمى عند البعض بتداعي المعاني عند المبدع وغير المبدع في اللغة الأدبية وغير الأدبية مما يفرض عليه انتقاء من بينها ما يتلاءم والمقام أو الموقف

(1) . نظرية اللغة الأدبية ، خوسيه ماريا بوتو يلو إيقانكوس ، تج د/ حامد أبي حامد . ص : 40

. ينظر نظرية اللغة الأدبية ، خوسيه ماريا بوتو يلو إيقانكوس . ص : 38

(2) . مدخل إلى علم الدلالة ، عبد المجيد جحفة . ص : 69

(3) . الإبلاغية في البلاغة العربية ، سمير أبو حمدان . ص : 40

(4) . الإبلاغية في البلاغة العربية ، سمير أبو حمدان . ص : 40

التواصل ، وترجع الأسباب التي ((تجمع بين المعاني وتجعلها بحيث يكون حضور بعضها في النفس يستدعي حضور بعض إلى ثلاثة أنواع : أولها اقتران المعنيين في الذهب حيث يكون تعلقهما أو إحساسهما في وقت واحد أو على التعاقب ، ومن هذا تذكر الوقائع عندما يخطر بالبال مكانها)) (1) ، ومن هنا فالمبدع مطالب بانتقاء المفردة المناسبة وتحديد درجة انحرافها باللجوء إلى قواعد الإسقاط وحواسر الفرز التي تمكنه من إقصاء بقية المفردات التي لا تتسجم مع المقام أو الظرف .

طرق تحويل الصورة :

تقوم الدلالة في النظرية التأويلية على عنصر التحويل الذي يتم عن طريق الإبدال والتوسيع وإلحاق السمة والجمع والحذف (2) والإضمار والإحلال وغيرها وبموجب هذا التحويل تتغير الدلالة خاصة في اللغة الأدبية ((التي تخلق دائما معان جديدة وارتباطات في المعنى عن طريق عملية تغيير الدلالة التي تكون متصلة بتغيير كلمة بأخرى تشير إليها بطريقة عابرة أو غير مباشرة ، فبدلا من المفردة " أ " نجد أنفسنا في النص الأدبي أمام مفردة أخرى " ب " وهذه المفردة الثانية تستدعي الأولى لأن معها علاقة معنى محددة ، بعض الدلالات المتطابقة أو مجال إشارة مشابهة للكلمة التي تظهر في النص " ب " تضطر القارئ والمستمع إلى الانتقال ، بمعنى أن يهرع إلى النسق اللغوي للدلالة أو إلى معرفته بالعالم " الإشارة أو الإحالة Referência لكي

(1) . الخيال في الشعر العربي ودراسات أدبية ، محمد الخضر حسين . ص : 15

(2) . ينظر الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية " النظرية الألسنية ، د/ ميشال زكريا .

ص : 154 وما بعدها

يجد مفردة " أ " مشارا إليها حقيقة ، ويعيد بذلك تركيب الدلالة الواقعية للنص . (((1) ومن ذلك أننا نجد أنفسنا ((إزاء إنسان يقول عن شخص ما: " إنه تحفة أو جوهرة " فنعيد بدون جهد تركيب المعنى على أنه " شخص مرموق ورائع " لأننا حينئذ نقيم الرابطة المتصلة في نظامنا اللغوي بالدلالة الواقعية لكلمة جوهرة Alhaja بوصفها شيئا ذا قيمة ، فقد استبدلنا بشيء " أ " شخص " شيئا آخر بـ"مادي" بمقتضى الدلالة القائمة بينهما التي تعرفها كفاءتنا (Compétencia اللغوية .)) (2)

مما سبق ندرك أهمية التأويل في تحديد دلالة الصورة التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالبنية العميقة كما سأبين ذلك لاحقا ، فمن خلال الوقوف على ما تضمنته الصورة من عناصر التحويل يمكن إذا إدراك المعنى المراد إذ يرى ((الداليون المتقدمون مثل Darmesteter و Bréal في المجاز وفي الكناية والتشبيه النماذج الأساسية لتغيرات المعنى (((3) ويضعان من جهة أخرى ((الاستعارات في إطار منطقي وذلك طبقا لما يكون من تقييد وامتداد أو تحول في المعنى ، يكون كل من المجاز المرسل والحذف حالات مقيدة أو ممتدة للمعنى ، أما التقييد فيكون عندما نأخذ الجزء مكان الكل أو عندما نأخذ النوع مكان الجنس إلى آخره ، وأما الامتداد فيكون في الحالات المعاكسة أما الكناية والتشبيه فعبارة عن تحويلات في المعنى .)) (4)

(1) . نظرية اللغة الأدبية ، خوسيه ماريا بوتو يلو إيقانكوس ، تج د/ حامد أبي حامد . ص : 202

(2) . نظرية اللغة الأدبية ، خوسيه ماريا بوتو يلو إيقانكوس . ص : 202

(3) . علم الدلالة ، بيير جيرو . ص : 76

(4) . علم الدلالة ، بيير جيرو . ص : 77

ولتحويل الصورة البلاغية من منظور البلاغيين الغربيين هناك أربع عمليات بلاغية ((تحدد طريقة عمل كل صورة ، وهذه العمليات الأربع تنتج في الواقع التقسيم الرباعي Quadripartica في البلاغة الكلاسيكية ، نظرا لأنها هي : الحذف Suprèssion والإضافة adjuncion ، والحذف ، والإضافة ، والاستبدال Permutation ، والثلاثة الأولى عمليات جوهرية " لأنها تغير جوهر الوحدات نفسه " ، والأخيرة عملية متصلة " حيث تغير وضعها فقط " ، وكل وحدة من هذه العمليات الأربع في مستوى ومسطح يمكن أن تظهر بطريقة جزئية أو كاملة)) (1) إلا أن ما ينبغي أن نلفت إليه النظر في هذا المجال أنه يجب التمييز ((بين تحويلات إجبارية خرجها سلاسل نووية ، وتحويلات اختيارية خرجها سلاسل معقدة ...)) (2) أو ما يسمى بالتحويلات الإلزامية والتحويلات الاختيارية . (3)

أشرت في أثناء حديثي عن النحو التوليدي والتحويلي إلى مبدأ التوليد والتحويل اللذين يعدان من جملة المبادئ التي يقوم عليها هذا المنهج ، وتعرضت حينها إلى طرق تحويل الجملة نحويا ومنها : الإحلال والإضمار والتقدير والتأخير والحذف والزيادة ، وهي الطرق نفسها التي تخضع لها الصورة باعتبارها قبل كل شيء جملة نحوية تطرأ عليها تغيرات عن طريق :

(1) . نظرية اللغة الأدبية ، خوسيه ماريا بوتو يلو إيقانكوس ، تج د/ حامد أبي حامد . ص : 190

. ينظر نظرية اللغة الأدبية ، خوسيه ماريا بوتو يلو إيقانكوس . ص : 188

(2) . مدخل إلى الدلالة الحديثة ، عبد المجيد جحفة . ص : 60

(3) . ينظر الألسنية التوليديّة والتحويلية وقواعد اللغة العربية " النظرية الألسنية ، د/ ميشال زكريا .

1. الإحلال :

ترى خوسيه ماريّا أن هناك ((كمية ضخمة من الصور الشكلية في اللغة اليومية لأن عملية " الإحلال " عملية ملتصقة بعمل اللغة نفسه ، فاللغة تربط دوماً أشياء بأخرى ومفردة بأخرى ، ومنذ سوسير نعرف أن اللغة نظام Sistema العلاقات الاستبدالية Para – digmaticas والسياقية Sintagmaticas تحصل فيه كل مفردة على " قيمتها "بوضعها في هذا النظام من العلاقات ، وإحلال شيء محل آخر عن طريق علاقته الاستبدالية أو السياقية أمر لازم ، ولا يتميز به الأدب وحده)) (1) ، وهذا يعني أن الإحلال لا يقتصر على اللغة الأدبية بل يتجاوزها إلى اللغة غير الأدبية أي لغة التخاطب اليومي التي يتواصل بها السواد الأعظم من أفراد المجتمع الذين في كثير من المواقف التواصلية يعمدون إلى الصورة البلاغية .

2. الإضمار :

هو نوع من الحذف في كلمات الجملة والاستعاضة عنها بالضمائر التي تعود على هذه الكلمات المحذوفة أي تلك التي ((تم التعبير بها على شكل مطابق أو مشابه في جملة سابقة مباشرة ، وبدون هذه الكلمة أو الكلمات يمكن أن تكون الجملة الأخيرة غير مفهومة)) (2) ، فهناك إذا تقاطع بين الحذف والإضمار حيث ينوب الضمير عن المحذوف ويعود عليه .

3. التقديم والتأخير :

تخضع الجملة بالإضافة إلى الإحلال والإضمار إلى التقديم والتأخير في عناصرها حيث تستدعي بعض المواقف التواصلية التصرف في أجزائها من خلال تقديم ما حقه

(1). نظرية اللغة الأدبية ، خوسيه ماريّا بوتو يلو إيقانكوس ، تج د/ حامد أبي حامد . ص : 202

(2). نظرية اللغة الأدبية ، خوسيه ماريّا بوتو يلو إيقانكوس . ص : 198

. ينظر نظرية اللغة الأدبية ، خوسيه ماريّا بوتو يلو إيقانكوس . 190

التأخير والعكس صحيح ، مع ما يترتب عن ذلك من تغيير في المعنى أو في الوظيفة النحوية أحيانا لأن هناك نوعين من التقديم والتأخير ، تقديم على نية التأخير وآخر تقديم ليس على نية التأخير ، وفي هذا النوع تتغير الوظيفة النحوية للكلمة المقدمة . إن ظاهرة التقديم والتأخير لا تقتصر على لغة دون أخرى وإنما تشمل كافة اللغات ، تقول خوسيه ماريا : ((التقديم والتأخير Hiperlation ظفر هذا الشكل باتساع مجال تحديده مثل معظم الأشكال كثيرة الاستخدام ، يقول لوسبرج Lausberg إن البلاغة في البداية كانت تفهم التقديم والتأخير على أنه مجرد فصل كلمتين متحدتين نحويا بقوة عن طريق وضع كلمة أخرى من جملة بينهما تناسب هذا المكان ...فهم التقديم والتأخير على أنه تغيير في النظام النحوي في لغة ما بحيث يؤدي إلى التقاط كلمات في وضع متغير.)) (1)

4 . الحذف :

يتمثل الحذف Elepsis في ((اقتصاد عناصر الجملة التي تكون مطلوبة عادة ، وغالبا ما يدور الكلام عن الحذف بالنسبة لكل Detraction مؤجل يحذف فيه عنصر ما من الجملة ، تاركا السياق النحوي ، الدلالي يعيد التركيب ، إنه شكل قواعدي Grammatical يستعمل في كل اللغات)) (2) . تكمن أهمية الحذف في تحويل الصورة من شكل إلى آخر إذ عن طريقه يتحول التشبيه من نوع إلى آخر أو إلى استعارة بحسب نوع المحذوف المشبه أو المشبه به ، وهذا ما سأفصل فيه القول في الفصل الثاني من هذا الباب .

. الصورة والبنية السطحية والبنية العميقة :

يرى تشومسكي أن ((البنية العميقة هي التي تحدد التفسير الدلالي للجملة ،

(1) . نظرية اللغة الأدبية ، خوسيه ماريا بوتو يلو إيقانكوس ، تج د/ حامد أبي حامد . ص : 201

(2) . نظرية اللغة الأدبية ، خوسيه ماريا بوتو يلو إيقانكوس . ص : 198

بينما تحدد البنية السطحية التفسير الصوتي ، وبذلك يكون للبنية العميقة ربط مزدوج فهي مُدخل لقواعد التحويل التي تنشئ البنية السطحية ومدخل لقواعد الإسقاط ..التي يحصل المرء عند تطبيقها على التمثيل الدلالي)) (1) بمعنى أنه إذا كانت ((التحويلات باعتبارها حلقة وصل بين البنية العميقة والبنية السطحية لا تغير المعنى ، فمعنى ذلك أن التأويل الدلالي يسند إلى البنية العميقة ، وليس إلى البنية السطحية، أي أن التأويل الدلالي يسند قبل انطباق التحويلات (((2) ، من هذا القول تبدو علاقة الصورة بعلم النحو وعلم التراكيب ، ومن هنا فهي تخضع للتقديم والتأخير ، والذكر ، والحذف والإضمار والإحلال وغيرها من عناصر التحويل التي سبقت الإشارة إليها. والجدير بالتنبيه في هذا الصدد أنه يمكن التمييز بين نوعين من التحويل : تحويلات نحوية وتحويلات . إذا جاز لي القول . بلاغية بمعنى أن هناك بنيتين عميقتين في الصورة البيانية ، بنية عميقة نحوية وأخرى بلاغية ، فمن خلال الأولى يمكن لنا الوقوف على ما ذكر من عناصر الجملة وما حذف منها ، وما تقدم منها وما تأخر ..إلخ ، ومن الثانية نستطيع :

- تحديد التحويلات التي طرأت على الجملة حتى انتهت على هذا الشكل من الصورة .

- تحديد مواطن الانزياح والعدول من خلال اعتماد السلسلة الذرية .

- تحديد البعد التواصلية للصورة وأثرها لدى المستقبل .

والجدير بالإشارة أن البنيتين العميقتين وثيقتا الترابط إذ لا يمكن تحديد دلالة الجملة

أو الصورة بلاغيا بمعزل عن البنية النحوية ، ومن هنا فهما متلازمتان لا يمكن فصل

(1) . مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي ، بريجيتة بارتشت ، تج أ . د / سعيد

حسين بحيرى . ص : 278

(2) . مدخل إلى الدلالة الحديثة ، عبد المجيد جحفة . ص : 73

إحداهما عن الأخرى ، ولذا يتعين مراعاة الخطوات الآتية لتحديد دلالة الصورة والغرض البلاغي منها :

- أخذ التركيب النحوي بعين الاعتبار
- تحديد جنس المفردة : اسم أو فعل أو حرف
- اعتماد قواعد الإسقاط
- تحديد المقومات الدلالية أي السلسلة الذرية للوقوف على المعاني الفرعية للمفردة
- انتقاء دلالة المفردة من مجموع دلالاتها المعجمية عن طريق حواصر الفرز مع إلغاء بقية معانيها التي لا تتسجم مع السياق الذي وردت فيه .
- تحديد مواطن الانزياح والعدول.
- تحديد التحويلات التي طرأت على الجملة لمعرفة شكل الصورة ونوعها ومن ثمة الوقوف على الغرض البلاغي أو البعد التواصلية منها .

الباب الثاني

الفصل الثاني : نماذج تطبيقية على الصورة البيانية

خصت هذا الفصل للتطبيق على بعض النماذج من التراكيب البلاغية ، ولكن قبل ذلك ينبغي أن أتوقف عند أثر المنهج التوليدي في الدراسات العربية الحديثة ، والدراسات التي أفادت من منه ، والنتائج المسجلة من خلال التطبيقات التي أجراها بعض الباحثين في العالم العربي .

والملاحظ أن التعامل مع هذا المنهج ليس وليد اليوم ، حيث لم ((يجد العالم العربي بدأ من النهل من هذه النظرية ، ومحاولة تطبيقها على معطيات اللغة العربية وكان ذلك في بداية السبعينيات من القرن العشرين)) (1) ، إلا أن ((الدارس لواقع الكتابة التوليدية العربية ، سيجد نفسه أمام موقفين مختلفين من التراث النحوي العربي الموقف الأول يسعى إلى التوفيق بين فرضيات ومبادئ الدرس التوليدي ومعطيات النحو العربي ، ولم يقف هذا الاتجاه عند حد التوفيق ، بل دعا إلى ضرورة انفتاح البحث اللساني الغربي على البحوث اللغوية القديمة ومن الذين يقولون بهذا الموقف نجد مازن الوعر.. أما الاتجاه الثاني ، فينظر إلى التراث النحوي نظرة انتقاص وأنفة وهذا ما نهجه الدكتور ميشال زكريا.)) (2)

تكاد تنحصر الكتابات التوليدية العربية في ما أنجزه البعض من دراسات تناولت في معظمها التعريف بهذا المنهج ، وأسسها ، وجذوره ، ومصادره معتمدة في جانبها التطبيقي على نماذج منفصلة من التراكيب النحوية لا تفي بالغرض ، كتلك التي أنجزها خليل عمايرة في مؤلفه " في نحو اللغة وتراكيبها " . أما المقالات فهي لا تعد ولا تحصى على مواقع الإنترنت ، ومنها نذكر على سبيل

(1) . النحو التوليدي بين العالمين العربي والغربي ، المساوي ، منتدى الجامعة نت

(2) . النحو التوليدي بين العالمين العربي والغربي ، المساوي ، منتدى الجامعة نت

التمثيل لا الحصر مقالة عز الدين البوشيخي تحت عنوان " لسانيات النص في ضوء النحو الوظيفي الخطابي " . (1)

ومن هنا فالدراسات التطبيقية المفصلة على هذا المنهج تكاد تكون محدودة إن لم نقل منعدمة (2) ، إن هذه المحاولات على الرغم من قلتها أثبتت في جانبها التطبيقي إمكانية الإفادة من النظرية التوليدية في بناء وتحليل وتفكيك التراكيب نحويًا على منوال الطريقة التي تبناها المفكر تشومسكي ، والتي تلتقي في كثير من جوانبها بالنحو العربي ، فالتقديم والتأخير والحذف والإضمار والإحلال ليست جديدة على النحو العربي . إلا أنه إذا كانت هذه الدراسات التطبيقية قد أنت أكلها في التراكيب النحوية ، فالسؤال الذي يفرض نفسه هل يمكن اعتماد هذه النظرية في التراكيب البلاغية ؟ وللإجابة عن هذا السؤال يتعين أن نلقي نظرة على الدراسات المنجزة في هذا الإطار ، وهي ومقارنة بتلك التي أنجزت في النحو تنحصر في محاولة واحدة (3) عمد فيها أحمد جرموش العبد الله إلى ((إدخال القواعد التحويلية إلى

(1) . ينظر شبكة صوت العربية

www.voiceofarabic.net

(2) . تعد رسالة ماجستير موسومة بـ " التفاعل التواصلي والمنهج التحويلي في تعليمية القواعد : " التعليم

الثانوي نموذجاً " التي أنجزتها تحت إشراف الأستاذ الدكتور أحمد عزوز من هذه المحاولات التي

طبقت فيها على مجمل التراكيب النحوية ، طبع جزء منها في مؤلف تحت عنوان " تعليمية القواعد في ضوء المنهج التحويلي التوليدي . " توصلت من خلالها إلى نتائج طيبة شجعتني على اختيار موضوع هذه الرسالة .

. ينظر تعليمية القواعد في ضوء المنهج التحويلي التوليدي ، عبد القادر بن عسلة ، مختبر اللغة

العربية والاتصال ، ب . ط ، 2006

(3) . أطروحة ماجستير موسومة بـ " خصائص التركيب البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني في ضوء

الأسنوية الحديثة " لأحمد جرموش العبد الله .

بعض مباحث البلاغة العربية ، لذا اعتمد في تنقيبه عن التراكيب التي تحتوي الخصائص البلاغية والأسرار الفنية على المنهج التحويلي ، الذي يمكن اتخاذه منها لتحليل التركيب بلاغيا وأسلوبيا ، فهو يظهر كل ما يتصل بالبنية العميقة والبنية السطحية لمعانيه الفنية . (((1)

ومما توصل إليه الباحث في هذه الدراسة أن الجرجاني ((انطلق في دراسته البلاغية والنحوية من المعنى النفسي ليصل إلى بنية التركيب الفنية ، إذ يرى أن المعنى والصيغة النحوية يعبران عن المعاني النفسية ، ويشكلان البنية العميقة والبنية السطحية..)) (2) كما يشير من جهة أخرى أن الجرجاني وتشومسكي قد ((عنيا عناية فائقة بالقواعد اللغوية التي تركز على الجوانب الإبداعية، إذ بحثا في النوعن الطاقة البيانية التي تسهم في خلق المعاني الفنية والخصائص البلاغية)) (3) ومن أوجه التشابه بينهما كما يقول : ((إن القوانين التحويلية التي تنقل بينة الجملة العميقة إلى بينتها السطحية تشبه الخيارات النظامية التي تتفرع من أصل واحد .)) (4) أما وجه المفارقة فيكمن في أننا ((نجد أن حركة ألفاظ التركيب عند الجرجاني خالية من أي طابع " ديناميكي ، فتدرس التركيب من الناحية الفنية والبيانية محاولا إبراز الخصائص الإبداعية ... وأما تشومسكي فقد اهتم بالطرق والإجراءات العقلية

-
- (1) . خصائص التركيب البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني في ضوء الألسنية الحديثة ، التعليم العربي
www.altaalim .org
- (2) . خصائص التركيب البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني في ضوء الألسنية الحديثة
www.altaalim .org
- (3) . خصائص التركيب البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني في ضوء الألسنية الحديثة
www.altaalim .org
- (4) . خصائص التركيب البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني في ضوء الألسنية الحديثة
www.altaalim .org

المتغيرة " الديناميكية " ((. (1)

وانطلاقاً من هذه النتائج ، فإنه يمكن أن نجيب عن السؤال المطروح آنفاً بالإيجاب لأن التركيب البلاغي في الأصل تركيب نحوي يتضمن من الأدوات والعناصر والخصائص ما يجعله تركيباً متميزاً ، فإنه يمكن لنا أن نتبع الطريقة ذاتها في تحليل التراكيب البلاغية على اختلاف أشكالها وفق النظرية التوليدية ، ففي هذا الاتجاه تصب هذه الدراسة التي تبقى مجرد اجتهاد يضاف إلى الجهد الجماعي الذي ما فتئ يبذل في حقل الدراسات الحديثة .

والجدير بالتنبيه أنني عمدت في هذا الفصل كما يبدو للبعض على نماذج مطروقة ومعروفة ومستهلكة ، وهذا قد يعد مثلبة تحسب علي ، لكن مبرري في ذلك أن هذه النماذج وإن كانت كذلك ، فهي تختلف من حيث طريقة المعالجة من خلال إسقاط المنهج التوليدي التحويلي عليها ، وهنا يكمن الفرق .

للنحو علاقة وطيدة بالبلاغة وسائر علوم اللغة الأخرى ، فهي تتداخل فيما بينها لدرجة أنه يصعب الفصل بينها ، إذ من العبث أن نفصل بين النحو والصرف أو بين النحو وعلم التراكيب أو بين النحو والبلاغة أو بينها وبين الأسلوبية ، لأن جانب النحو لا ((يعني العزل بين المعنى والإعراب ، وهو الذي أوجد المكان للصناعة النحوية في نفوس الناشئة ، فهم مثلاً يدرسون الجملة الفعلية ، وهي التي يتقدمها الفعل ، والجملة الاسمية وهي التي يتقدمها الاسم ، ولا يدركون سبب تقدم هذا أو ذاك ، بل يجب ربط النحو بالأساليب على ألا يدرس النحو من أجل النحو ، بل يدرس النحو ضمناً في سياق نص أدبي أو لغوي يحمل معنى ودلالة ، وغير مفصول عن الصرف ليكون النحو هدفاً وغاية ((. (2)

(1) . خصائص التركيب البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني في ضوء الألسنية الحديثة ، التعليم العربي

بل الأكثر من ذلك يجب ربط النحو بمختلف علوم اللغة الأخرى لأن دلالة الجملة أو النص لا تتوقف على الجانب النحوي فحسب ، وإنما تتعداه إلى الجانب البلاغي والتركيبى والأسلوبى ، لأن الغاية من الخبر الإفادة وتحقيق الهدف من العملية التواصلية ، وهذا لا يقتصر على جانب دون آخر .

وهذا ما سبق للجرجاني أن أعابه على النحاة الذين فصلوا النحو عن بقية علوم اللغة وقصروه على الإعراب والبناء ، وهذا ما لا يجدي نفعاً ولا تحصل منه فائدة وهذا ما توخاه في نظرية النظم التي تقوم ((على منهج جديد من خلال ربطه للنحو بالبلاغة المسمى بالنظم)) (1) ، ومن هنا لا ((يمكن فصل النحو عن البلاغة لأنهما يلتقيان في نظم الكلام وضم بعضه إلى بعض ، كما لا يمكن دراسة بلاغة الكلام دون دراسة النحو ، لأنه الأساس في العلاقات التي تحكم النظم ، ففساد التركيب ناشئ عن عدم توخي معاني النحو وأحكامه بين الكلمات ..)) (2) ، فهما عنده ((متلازمان كما تتلازم الفائدة والإسناد في الكلام .)) (3)

تختلف نظرة الجرجاني للنحو عن النحاة السابقين الذين حصروه في إعراب الكلمات أو حركات الإعراب ، فالمراد بالنحو عنده ((المعنى الذي يفهم من الكلمات ، فيتحم هذا الفهم ، أن يكون هذا مبتدأ وهذا خبر ، أو هذه حالا ، إذ يستبعد أن يكون الإعراب من معاني النحو ، إذ ينكر عليهم اهتمامهم بأحوال الإعراب والبناء ، وإهمال بقية الجوانب ..)) (4) ، ومن هنا يكون الجرجاني قد أخرج النحو العربي من هذه النظرة الضيقة القاصرة إلى عالم أوسع ليصبح ((علم معاني النحو فيما بعد .)) (5)

www.aklaam.net

(1) . النحو البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني ، دقي جلول

www.aklaam.net

(2) . النحو البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني ، دقي جلول

www.aklaam.net

(3) . النحو البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني ، دقي جلول

www.aklaam.net

(4) . النحو البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني ، دقي جلول

www.alukah.net

(5) . التجديد في علوم البلاغة في العصر الحديث

مبرزا العلاقة الوثيقة بينه وبين البلاغة ، فكلاهما عنده مرتبط بالعقل لأن ((البلاغة ليست في اللسان فقط ، بل في الفكر والعقل قبل أن تكون في اللسان والبيان ، فسمو التعبير جزء من سمو التفكير ، وسمو التفكير والتعبير سمو للشخصية ، والبلاغة لها دخل كبير في ذلك)) (1)

ولعل ما يؤكد اتصال البلاغة بالنحو وتشابكها معه هو أنها يتقاسمان ((مسائل جمة مشتركة كأحوال الإسناد الخبري ، وأحوال المسند والمسند إليه ، والإيجاز والإطناب ، والمساواة ، وخاصة قواعد الحذف ، ومسائل التأكيد وأدواته ومسوغات الابتداء بالنكرة .. وغيرها)) (2) ، ومن هنا نجد كثيرا من ((المواضيع تختلط فيها جوانب نحوية بأبعاد بلاغية)) (3) ، يصعب الفصل بينها ، مما يستدعي معالجتها من الجانبين ، وهذا ما دفعني إلى ربط النحو بالبلاغة في هذه الدراسة .
تقوم العملية التواصلية على اللغة ، واللغة تقوم على التركيب النحوي والبلاغي وقد يكون التركيب نحويا محضا أو بلاغية محضا أو تركيبا بلاغيا نحويا ، وما ينطبق في تحليل التركيب النحوي ينطبق بالضرورة على التركيب البلاغي ، حيث يمكن اعتماد نظرية النحو التوليدي التحويلي في تفكيك الصورة وتحليلها وإعادة بنائها ، كما يمكن الوقوف على ما طرأ عليها من تغيير من تقديم وتأخير وحذف وزيادة وإضمار وإحلال وغيرها ، وتحديد بنيتها السطحية وبنيتها العميقة .

وفي هذا السياق يرى البعض أن ((قواعد التوليد الدلالي عند كل من السكاكي وابن علي والجرجاني يمكن اعتمادها في عدد النماذج التطبيقية المحضة كالقواعد التحويلية التي أقرتها النظرية التشومسكية)) (4)

www.equ.edu.sa

(1) . العلاقات النحوية ، معان بلاغية

www.equ.edu.sa

(2) . العلاقات النحوية ، معان بلاغية

www.equ.edu.sa

(3) . العلاقات النحوية ، معان بلاغية

www.ta5tub.com

(4) . نظرات في البلاغة العربية والنماذج اللسانية الحديثة ، نظرية النحو الوظيفي

ومن هنا فلا مناص من الربط بين النحو والبلاغة في هذه الدراسة التطبيقية التي اقتصر فيها على الصورة الجزئية التي تنحصر في التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز ، وعليها يقوم علم البيان الذي يمكن من ((إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة)) (1) ، وإذا عرفت أن هذا لا يتأتى ((إلا في الدلالات العقلية ، وهي الانتقال من معنى إلى معنى بسبب علاقة بينهما كلزوم أحدهما الآخر بوجه من الوجوه ، ظهر لك أن علم البيان مرجعه اعتبار الملازمات بين المعاني (2) كما هي الحال مع ألوان البيان المذكورة .

ومما لا ينبغي أن ينكره أحد أن الصور ((في العبارات الصريحة تتفاوت بحسب اختلاف العبارات في كيفية تأليفها ومقدار ما تشتمل عليه من المعاني الزائدة عن أصل مراد ، وأن هذا الاختلاف هو الذي يجعلها متفاضلة في مقامات البلاغة ، وإنما أذهب إلى أن تلك الصور وإن أحكمت نسقها وأضفت إليها من المعاني ما يرتفع به شأنها ، لا تهيج في نفس السامع هزة الطرب التي تثيرها العبارات الخيالية)) (3) ، وهذا يعني أن للصورة البيانية على اختلاف أنواعها تأثيرا كبيرا لدى المستقبل كما سنتعرف على ذلك لاحقا.

أولا . التشبيه :

لقد رأيت أن تكون البداية في الحديث عن هذه الصور انطلاقا من التشبيه ((لتوقف بعض أنواع المجاز عليه ، ولهذا فإن علماء البلاغة محقون في تقديم فن

(1) . مفتاح العلوم ، السكاكي ، تح عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، 2000 . ص

(2) . مفتاح العلوم ، السكاكي ، تح عبد الحميد الهنداوي . ص : 141

(3) . الخيال في الشعر العربي ودراسات أدبية ، محمد الخضر حسين . ص : 59

التشبيه لما جعلوه يتصدر باب علم البيان ، ذلك لأن التشبيه تمهيد لدرس الاستعارة بوصفها مجازاً لغوياً وتعتمد التشبيه أبداً (((1) من جهة ، ولأن التشبيه ((إذا مهت فيه ملكت زمام التدريب في فنون سحر البيان)) (2) من جهة أخرى ، والتشبيه أنواع تتفاوت في الدلالة ، وهو ما نحن بصدد بيانه من خلال النماذج التي وقع عليها الاختيار .

1. التشبيه المرسل :

قال الشاعر :

أنت كالوردة لمساً وشذاً *** جادها الغيثُ على عُصنٍ نَضِرٍ

الشرط الأول من البيت جملة اسمية ، وهي كما يقول البلاغيون أقوى وأؤكد من الجملة الفعلية ، لأنها تعد من ضمن المؤكدات ، ولأن الأفعال في حاجة إلى أسماء واستغناء هذه الأخيرة عن الأفعال ، والجملة كما نلاحظ من وجهة نظر المنهج التوليدي والتحويلي جملة أصولية توليدية ، لأنه يمكن أن نولد منها جملاً أخرى إما بالزيادة أو الحذف أو التقديم والتأخير تختلف عنها في الدلالة وفي الغرض التواصلي . وهي عبارة عن تشبيه تضمن كافة عناصر التشبيه المعروفة ، وهي :

" أنت " مشبه محسوس و " وردة " مشبه به محسوس و " الكاف " أداة تشبيه ، ووجه شبه " لمساً وشذاً " ، وعليه يمكن تصنيف هذا التشبيه باعتبار الأداة ضمن التشبيه

(1) . مفتاح العلوم ، السكاكي ، تح عبد الحميد الهنداوي . ص : 141

. ينظر مفتاح العلوم ، السكاكي . ص : 151

. ينظر علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت ، دار الفكر اللبناني ، ط2 . 1995 . ص : 147 وما

بعدها

(2) . المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتتوير لمحمد طاهر ابن عاشور ، د/ حواس بري . ص :

المرسل " وهو ما تذكر فيه الأداة " وتشبيهه مفصل " وهو ما يذكر فيه وجه الشبه " متعدد وغير تمثيل باعتبار وجه الشبه " وهو ما كان فيه وجه الشبه غير منتزع من وعكسه التشبيه التمثيل .

لا تدرك حقيقة الصورة و غرضها التواصل والبلاغي ومن ضمنها التشبيه بكافة أنواعه وأقسامه إلا عن طريق التأويل الذي يلجأ إليه المستقبل إلا أن درجة التأويل تختلف من صورة إلى أخرى ومن مستقبل إلى آخر بحسب مستواه وثقافته وبيئته ، والملاحظ أنه ((لا يكون التأويل مصيبا ومفيدا ، إلا إذا كان المتقن / المرسل / ذكيا ومتقنا حتى يستطيع الاختيار ، ومعرفة مستوى المتلقي ، ليتم التعبير التشبيهي المناسب ويكون التقدير السليم في إنشاء المعنى التأويلي من صورته التشبيهية ، ففي التشبيه المرسل ((التأويل يسير وسهل في الفهم المجازي لصورة المستخدمة)) (1) التشبيه كامل الأركان ، وذلك لقربه من الحقيقة ، وذلك مثل : أنت كالوردة في الأريج ، ولا يحتاج المستقبل إلى زيادة توضيح أو كثرة التأويل ، وإنما المعنى فيه واضح والتأويل فيه يسير وقريب من دائرة الحقيقة في التوصيل والتأثير ..)) (2) ، ففي مثل هذا التشبيه يتأول المستقبل دلالة الصورة دون عناء أو جهد يذكر لأنه قريب المنال . إن الغرض من هذا التشبيه كما يبدو هو إضفاء صفة نعومة الملمس وطيب الرائحة على المخاطب ، وكان في إمكان الشاعر أن يعبر عن هذا بقوله " أنت ناعم الملمس وطيب الرائحة " ولكنه عدل عن هذا التعبير وآثر التعبير عن هذا المعنى بطريقة غير مباشرة لما فيها من مزية المبالغة والتأكيد ووضوح الدلالة على اتصاف المخاطب بهذا الوصف لأنك ((إذا أردت تشبيه الخد بالورد في الحمرة مثلا وقلت " خد يشبه الورد "

(1) . بلاغتتا اليوم بين الجمالية والوظيفية ، د/ محمد بركات حمدي أبو علي . ص : 80

(2) . بلاغتتا اليوم بين الجمالية والوظيفية ، د/ محمد بركات حمدي أبو علي . ص : 78

امتنع أن يكون كلام مؤد لهذا المعنى بالدلالات الوضعية أكمل منه في الوضوح أو
النقص. (((1)

ففي إيثار الشاعر لهذا الأسلوب وعلى هذا النحو بعد تواصله يتمثل في التأثير على
المستقبل الذي يتعين عليه في مثل هذه الحالات أن ينتقل ذهنه من المفهوم الأصلي
إلى الآخر بواسطة ذلك التعلق بينهما في اعتقاده ، بمعنى مراعاة الدلالات العقلية
التي يجب أن يأخذها المرسل من جهته في الحسبان لأنك ((إذا أقمت مقام كل كلمة
منها ما يرادفها ، فالسامع إذا كان عالما بكونها موضوعة لتلك المفهومات كان فهمه
منها كفهمة من تلك من غير تفاوت في الوضوح ، وإلا لم يفهم شيئا أصلا . وإنما يكمن
ذلك في الدلالات العقلية مثل أن يكون لشيء تعلق بآخر ولثان ولثالث ، فإذا أريد
التوصل بواحد منها إلى التعلق به فمتى تفاوتت تلك الثلاثة في وضوح التعلق وخفائه
صح في طريق إفادته إلى الوضوح والخفاء . (((2)

وهذا ما لمح إليه تشومسكي في أثناء حديثه عن دلالة الكلمة التي ((لا تقتصر على
مدلول الكلمة فقط إنما تحتوي على كل المعاني التي تتخذها ضمن السياق اللغوي ،
وذلك لأن الكلمات في الواقع لا تتضمن دلالة مطلقة بل تتحقق دلالاتها في السياق
الذي ترد فيه ، وترتبط أيضا دلالة الجملة بدلالة مفرداتها وبنيتها التركيبية)) (3) ،
وعليه يمكن اعتبار " أنت ناعم الملمس وطيب الرائحة " بيئة عميقة ، لأن المستقبل
وباعتماده قواعد الإسقاط التي تساعد على ((تعداد القراءات التي تسند إلى مختلف

(1) . مفتاح العلوم ، السكاكي . ص : 140

(2) . الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية " النظرية الألسنية " د/ ميشال زكريا . ص :
140

(3) . الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية " النظرية الألسنية " د/ ميشال زكريا . ص :
140

التي تسند إلى مختلف مفردات الجملة وبتوضيحها ، وذلك على ضوء البنية العميقة التركيبية والمشيريات الدلالية العائدة لكل من مؤلفات هذه البنية ، فهذه القواعد تقرر بين المفردات المعجمية وبين البنية التركيبية (((2) ، لأن النفس ((تشعر حال تلقيها للصورة الخيالية أن للمعنى الذي تحمله تلك الصورة صورة أخرى ، هي الصورة البسيطة التي يعبر عنها بالقول الصريح .)) (3) وهذا يعنى البنية العميقة التي يتأولها المستقبل ليقف بذلك على دلالة الصورة حيث كما يُقال : ((إن الشيء لا يمكن أن يوجد " أو أن توجده " إلا إذا كان بإمكاننا أن نعطيه تأويلاً " أي كيفية للإدراك " وهذا التأويل أو هذه الكيفية أو هذه المقولة ، هي ما يشكل المعنى في آخر المطاف)) (4) وعلى هذا الأساس كان العربي ((يستمع إلى التشبيه فلا يشغل ذهنه بأشكاله المحسوسة إلا ريثما ينتقل منها إلى المقصود من معناه ، فالقمر عنده بهاء ، والزهر نضارة ، والغصن اعتدال ورشاقة ..)) (5) ويمكن تمثيل ذلك على النحو الآتي :

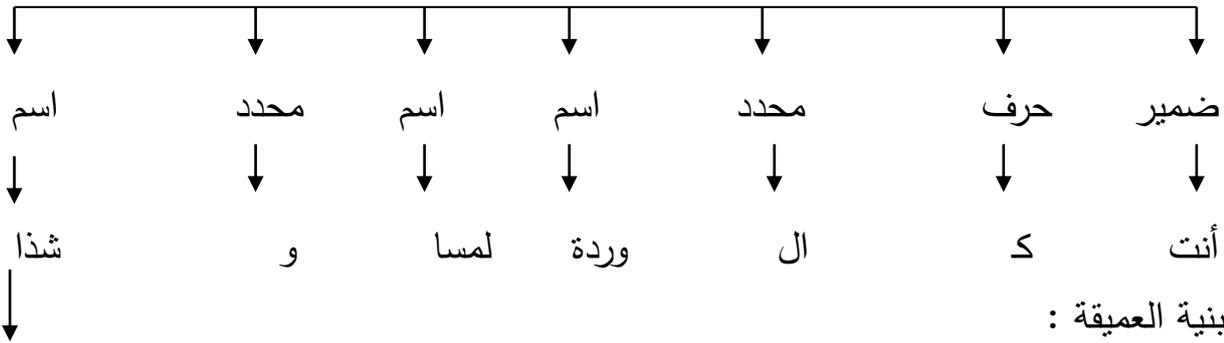
(1) . الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية " النظرية الألسنية " د/ ميشال زكريا . ص :

(2) . الخيال في الشعر العربي ودراسات أدبية ، محمد الخضر حسين . ص : 58

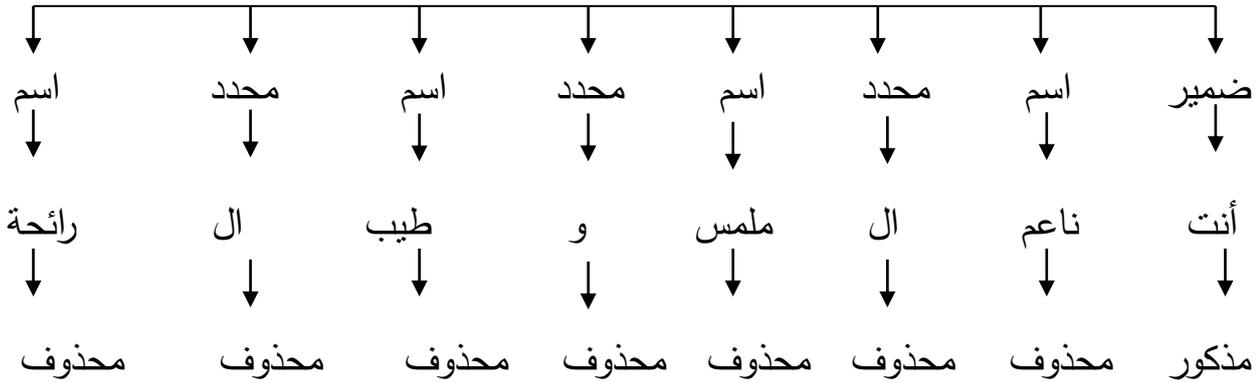
(2) . مدخل إلى الدلالة الحديثة ، عبد المجيد جحفة . ص : 99

(3) . البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، د/ علي علي صبح . ص : 40

. البنية السطحية :



. البنية العميقة :



الملاحظ أن البنيتين مختلفتان من حيث :

. التركيب : تركيب الجملة الأولى " أنت كالوردة لمسا وشذا " يختلف عن تركيب الجملة الثانية " أنت ناعم الملمس وطيب الرائحة ، ومن هنا فهما تختلفان من حيث الدلالة ، لأنه إذا كان البعد التواصلي من الجملة الثانية لا يكاد يتعدى الإخبار فإنه في الثانية وإضافة عن الإخبار ، فهو للتشخيص والتوضيح ومحاولة التأثير في نفس المستقبل من خلال اعتماد هذا النوع من التشبيه الذي فيه من العدول عن التعبير العادي المألوف والمباشر ما يحقق هذا الأثر والجدير بالإشارة أن هذا النوع من التشبيه وقياسا ببقية الأنواع الأخرى أقل بلاغة .

. الزيادة : لقد استدعى اعتماد هذه الصورة الزيادة في عناصر الجملة ومنها :

- أداة التشبيه : الكاف

- المشبه به : الورد

وفي هذا زيادة في المعنى وفي التوضيح ، لأنه وبذكر الأداة " ك " إشارة إلى التفاوت بين المشبه والمشبه به في وجه الشبه وانعدام المبالغة ، وبذكر المشبه به " لمسا وشذا" يكون فيه حصر للتشابه وتقييد للمستقبل الذي لا يتعدى الصفة المذكورة التي تمثل وجه الشبه في التشبيه غير التمثيل ، وهذا خلاف التشبيه التمثيل الذي يرد فيه وجه الشبه منتزعا من متعدد كما سألين ذلك لاحقا . تبدو الصورة التي رسمها المرسل ، ويريد نقلها للمستقبل إيجابية ، ويهدف من ورائها إثارة عاطفة الإعجاب والتقدير والاحترام إزاء المخاطب الذي يتحدث عنه الشاعر ، وفي هذا يكمن البعد التواصلي من هذه الصورة .

2 . التشبيه المؤكد :

يعد التشبيه المرسل أصل كل التشبيهات ، وعنه تنفرع بقية الأنواع الأخرى إما بحذف الأداة أو وجه الشبه أو هما معا ، وذلك حسب ما يمليه المقام وتفرضه المواقف التواصلية ، بمعنى أن هناك طرقا لتحويل التشبيه إما بالحذف أو الزيادة كما قال بذلك البلاغيون العرب إذ ((الحاصل من مراتب التشبيه ثمان إحداها ذكر أركانه الأربعة ، وهي : المشبه والمشبه به وكلمة التشبيه / الأداة / ووجه الشبه كقوله : " زيد كالأسد في الشجاعة ")) (1) . ويندرج هذا النوع ضمن هذا المنوال الذي سبق أن تحدثت عنه آنفا .

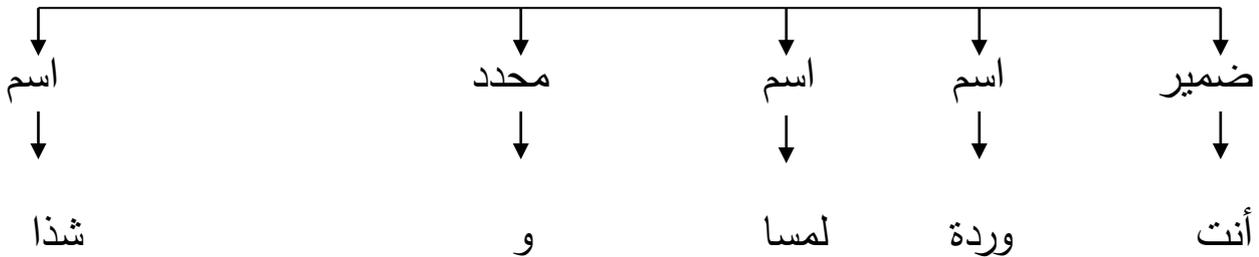
وعملا بهذه القاعدة يمكن لنا تحويل التشبيه السابق " أنت كالوردة لمسا وشذا " عن طرق حذف الأداة ، فنحصل على : " أنت وردة لمسا وشذا " . فهو إذاً ويحذف الأداة تشبيه مؤكد مفصل غير تمثيل ، وهو يمثل المرتبة الثالثة من مراتب التشبيه كما يقول السكاكي ((وثالثها ترك كلمة التشبيه كقولك : " زيد أسد في الشجاعة " ،

(1) . مفتاح العلوم ، السكاكي . ص : 151

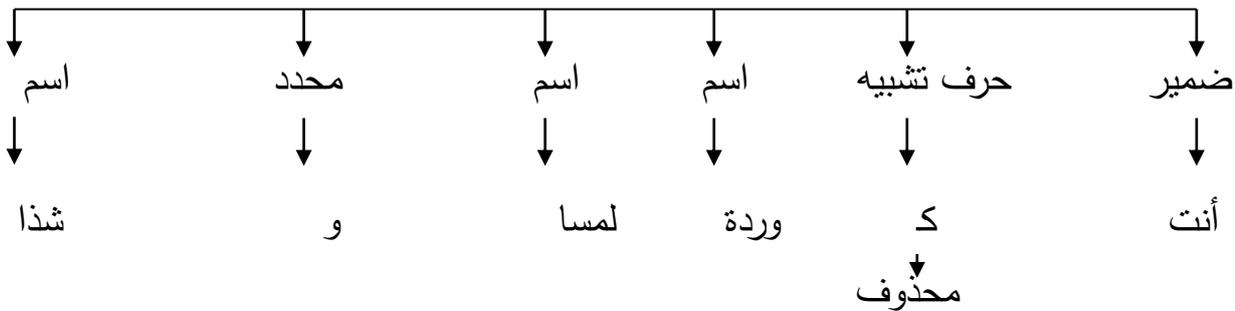
وفيها نوع القوة ((1) فبحذف الأداة يزول هذا التفاوت بين طرفي التشبيه ، فيرتقي المشبه به إلى مستوى المشبه من حيث وجه الشبه وفي هذا رفع من منزلة المخاطب لدى المستقبل .

ولعل قوة هذا التشبيه تكمن ومن خلال حذف الأداة أي حرف الجر والتشبيه " الكاف " في تغيير الوظيفة النحوية للمشبه به الذي أصبح مسندا " خبرا " أي عنصرا أساسيا " عمدة " في الجملة ، وهو ما لا يمكن الاستغناء عنه بعد أن كان اسما مجرورا من ضمن عناصر متعلقات الإسناد أي " فضلة " ، وهو ما يمكن الاستغناء عنه . فهذا النوع من التشبيه فرع عن الأول ، وهو لا يكاد يختلف عنه في شيء إلا من حيث حذف الأداة لغرض بلاغي تواصل يريده المرسل ، وهو إبراز المكانة التي يحتلها المخاطب لدى المرسل ، ويريد أن يحظ بها لدى المستقبل ، ويمكن تمثيل ذلك على النحو الآتي :

. البنية السطحية :



. البنية العميقة :



(1) . مفتاح العلوم ، السكاكي . ص : 151

البنيتان مختلفتان من حيث :

- . الحذف : حذفت الأداة " الكاف " بغرض المبالغة في الرفع من منزلة
المخاطب من خلال إزالة التفاوت بين المشبه والمشبه به .
- 3 . التشبيه المجمل :

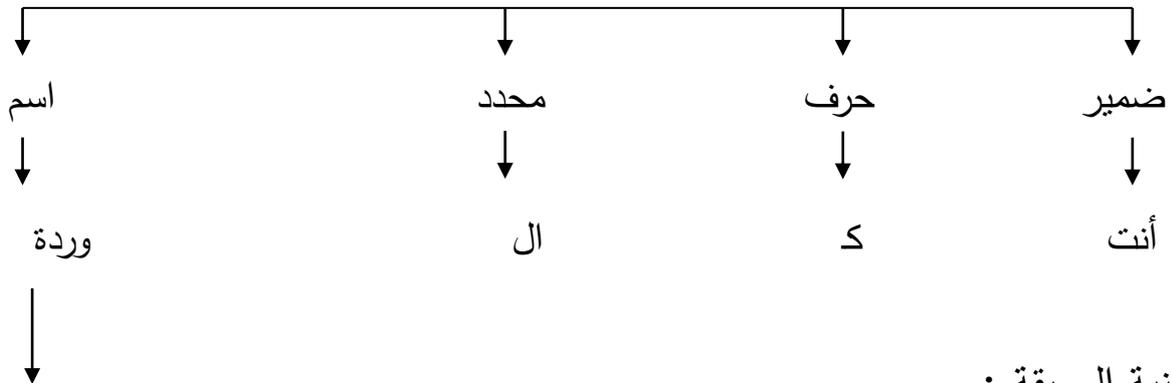
على غرار التشبيه المؤكد يمكن لنا وبحذف وجه الشبه هذه المرة أن نصل إلى
المرتبة الخامسة من مراتب التشبيه التي عددها السكاكي وهذا ((بترك وجه الشبه قولك
: " زيد كالأسد " وهي أيضا قوية لعموم وجه التشبيه)) (1) وبحذف وجه الشبه من
التشبيه نحصل على : " أنت كالوردة " .

فبحذف وجه الشبه " لمس وشذا " يزول التخصيص والتقيد بحيث بعد أن كان
المشبه به يلتقي مع المشبه في صفة واحدة من صفات الوردة أصبح مطلقا وعاما، إذ
وعلى هذا النحو أصبح في إمكان المستقبل أن يضيف على المشبه ما شاء من
الصفات مثل : النعومة ، الجمال ، اللون ، أو الرائحة الطيبة ..إلخ ، وهذا ما يحيلنا
عليه الشطر الثاني من البيت ، لأن الشاعر في مقام مدح المخاطب ويريد أن يثبت
هذه الصورة في ذهن المستقبل، وهذا بخلاف ما إذا غضضنا الطرف عن هذا الشطر
ففي هذه الحالة قد يكون المراد من الصورة عكس ما ذهبنا إليه حيث يمكن أن يكون
المقصود منها الذم أو تصوير المخاطب في حالة تذر أو يأس أو مرض ، ومن هنا
قد تكون الصفات التي يريد المرسل أن يضيفها على المخاطب ذبل الوردة أو
اضمحلالها أو اصفرارها ...إلخ ، فبحذف وجه الشبه فإننا ((لا نستطيع تقدير وجه
الشبه المحذوف من غير الاتكاء على شعور المتفنن / الملقى / تجاه المتلقي حبا أو
كرها ...)) (2) ، وهذا ما ينطبق أيضا على التشبيه البليغ كما سنرى .
ويمكن تمثيل هذا التشبيه على النحو الآتي :

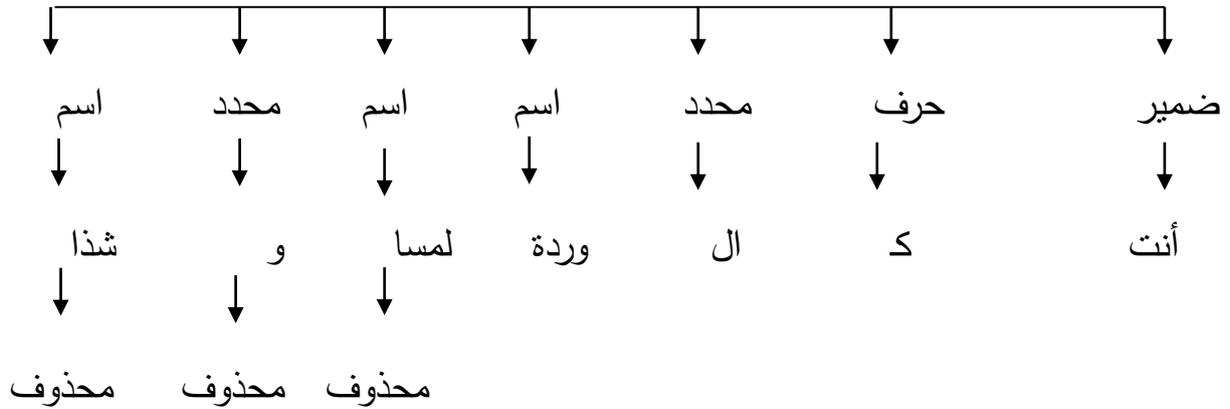
(1) . مفتاح العلوم ، السكاكي . ص : 141

(2) . بلاغتنا اليوم بين الجمالية والوظيفية ، د/ محمد بركات حمدي أبو علي . ص : 77

. البنية السطحية :



. البنية العميقة :



البنيتان مختلفتان من حيث :

. الحذف : حذف وجه الشبه " لمس وشذا " ، وفي هذا بعد تواسلي وغرض بلاغي ومزية جمالية ما يجعل المستقبل في منأى عن التخصيص والتقييد ويتيح له المجال في أن يشرك المشبه به في ما يراه مناسباً لمقام ومنزلة المشبه من صفات الوردة ، ويدخل هذا التشبيه الذي يعد من أرقى أنواع التشبيه بلاغة ضمن الاقتصاد اللغوي .

4 . التشبيه البليغ :

نصل إلى هذا النوع من التشبيه عن طريق ((ترك كلمة التشبيه ووجه الشبه كقولك : " زيد أسد " وهي أقوى الكل)) (1) ، فنقول : " أنت وردة " لكن

(1) . مفتاح العلوم ، السكاكي . ص : 141

كما قد يتساءل البعض في حالة ما إذا قلنا " أنت أسد " ((هل نريد من هذا التشبيه البليغ محذوف الأداة والوجه ، الأسمية والشجاعة أو الافتراس وهصر الأرواح)) (1) وما إلى ذلك من صفات الأسد المحبوبة والمقيبة ؟ ففي هذه الحالة يجب ربط الصورة بموقف وشعور المرسل تجاه المخاطب لأن ((الحبيب أسد والمقبت مفترس)) (2) والشيء نفسه يقال عن التشبيه " أنت وردة " تكمن بلاغة هذا التشبيه من خلال حذف الأداة ووجه الشبه في سمو المشبه إلى مستوى المشبه به لدرجة اتحادهما في كل الصفات وعدم تفاضلها من ناحية الدلالة أما من الناحية النحوية فبحذف الأداة تتحول وظيفة المشبه به من اسم مجرور إلى خبر أي إلى مسند ، وهو العنصر الثاني من عناصر العمدة التي تشكل نواة الجملة ، وهذا ما نبه إليه سيبويه في أثناء حديثه عن التشبيه حيث فرق بين المقترن بالأداة وبين المجرد منها فقال : ((تقول : مررت برجل أسد أبوه ، إذا كنت تريد أن تجعله شديدا ، ومررت برجل مثل الأسد أبوه إذا كنت تشبهه)) (3) ، الفرق بين التشبيهين بين واضح ، فالأول تشبيه بليغ أصبح فيه المشبه به خبرا بموجب حذف الأداة والثاني مرسل المشبه به مجرور بأداة التشبيه ففي هذا النوع من التشبيه ((مبالغة أو إغراق في ادعاء أن المشبه هو المشبه به نفسه . فحذف الأداة يوحي بتساوي الطرفين في صفة أو صفات دون غيرها ، يوحي بأنهما متشابهان في كل الصفات المناسبة ، ويفسح في الخيال لتصور هذه الصفات)) (4) وهنا تكمن بلاغة وقوة هذا النوع الذي يصنف في أعلى مراتب التشبيه على الإطلاق .

(1) . بلاغتنا اليوم بين الجمالية والوظيفية ، د/ محمد بركات حمدي أبو علي . ص : 77

(2) . بلاغتنا اليوم بين الجمالية والوظيفية ، د/ محمد بركات حمدي أبو علي . ص : 77

(3) . الكتاب ج2 ، سيبويه . ص : 39

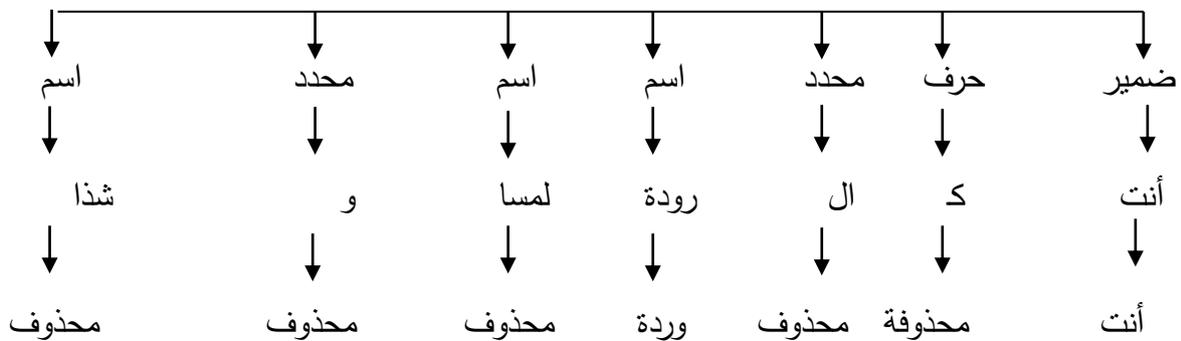
(4) . علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت ، دار الفكر اللبناني ، ط2 ، 1995 . ص : 154

ويمكن تحليل التشبيه " أنت وردة على النحو الآتي :

. البنية السطحية :



. البنية العميقة :



البنيتان مختلفتان من حيث :

. الحذف : حيث تم حذف الأداة ووجه الشبه ، وأبقي في التشبيه على الطرفين

مبالغة من المرسل في الارتقاء بالمشبه به إلى مستوى المشبه بحثا منه عن التأثير

في نفس المستقبل الذي يحتاج لإدراك فحوى الرسالة ، وتفكيك رموزها ، وربط الدوال

بمدلولاتها إلى أعمال الفكر ، خصوصا في مثل هذا النوع من التشبيه الذي يتميز

بدقة العبارة والاختصار والإيجاز .

5 . التشبيه التمثيل :

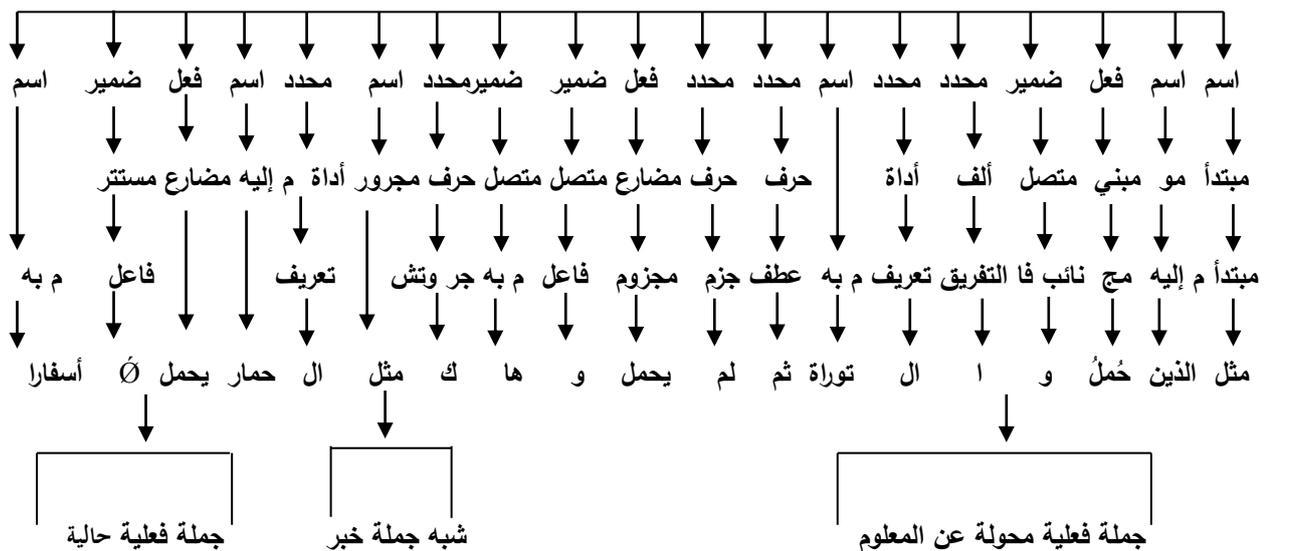
لقد سبق لي أن عرجت على هذا النوع من التشبيه الذي يندرج ضمن أنواع التشبيه

باعتبار وجه الشبه (1) ويختلف عنها كون وجه الشبه فيه ((صورة متولدة من أمر

(1) . ينظر هذه الرسالة . ص : 155

أو أمور بطريقة مركبة (((1) ، وهو بخلاف التشبيه غير التمثيلي الذي يكون فيه وجه الشبه وصفا مفردا ، والملاحظ أن ((التشبيه متى كان وجهه وصفا غير حقيقي كان منتزعا من عدة أمور خص باسم التمثيل)) (2) على نحو ما رأينا في قوله تعالى ((مثل الذين حُمِلوا التوراة ولم يَحْمِلوها كمثل الحمارِ يحملُ أسفارا)) (3) ، وللوقوف على حقيقة هذا التشبيه فلا مناص من تحديد البنية السطحية والبنية العميقة من خلال التمثيل الآتي :

. البنية السطحية :



(1) . ينظر علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 136

(2) . بلاغتنا اليوم بين الجمالية والوظيفية ، د/ محمد بركات حمدي أبو علي . ص : 90

(3) . الجمعة : 5

- حل الضمير " و " فاعل محل الاسم الموصول " الذين في قوله " لم يحملوها "

. التحويل :

- الجملة الفعلية : حملوا التوراة " محول عن المبني للمعلوم .
- الجملة الفعلية " يحمل أسفارا " محولة عن حال مفردة
- خبر المبتدأ " مثل " محول عن شبه جملة " كمثل " أو متعلق بخبر محذوف
- . الإضمار : حل الضمير المستتر " هو " محل الفاعل " حمار " في قوله " يحمل أسفارا "

أما البنيتان العميقتان الأولى والثانية تختلفان من حيث :

. الحذف : حيث حذف وجه الشبه المنتزع من متعدد وهو " الحمل والتعب وعدم

الفائدة " وهو ما يستطيع المستقبل تأوله من خلال السياق الذي وردت فيه

الصورة لأن الذين حملوا التوراة ولم يعوا ما فيها حالهم كحال الحمار الذي يجهد نفسه يكد في حمل كتب قيمة من دون أن يستفيد منها ، فالغرض إداً من الصورة الاحتقار والإهانة وإثارة الاشمئزاز في نفس المستقبل تجاه هذه الفئة من الناس .

6 . التشبيه الضمني : (1)

هو ((تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه

المعروفة، بل يلمحان في التركيب، وهذا النوع من التشبيه يؤتى به ليفيد أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن)) (2)، بمعنى أنه ((يقوم على عرض قضية ثم تأكيدها

ضمناً بقضية تتلوها مباشرة)) (3) وهذا على نحو ما نجده في قول المتنبي

مَنْ يَهْنُ يَسْهَلُ الْهَوَانُ عَلَيْهِ *** مَا لَجُرْحٍ بِمَيْتٍ إِيْلَامُ

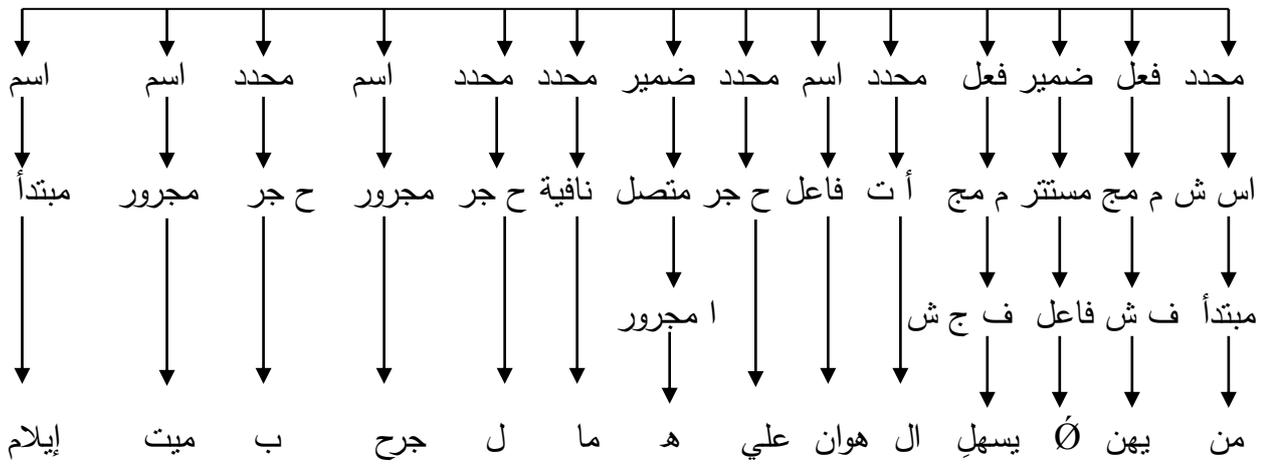
(1) . ينظر هذه الرسالة . ص : 159

(2) . علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 167

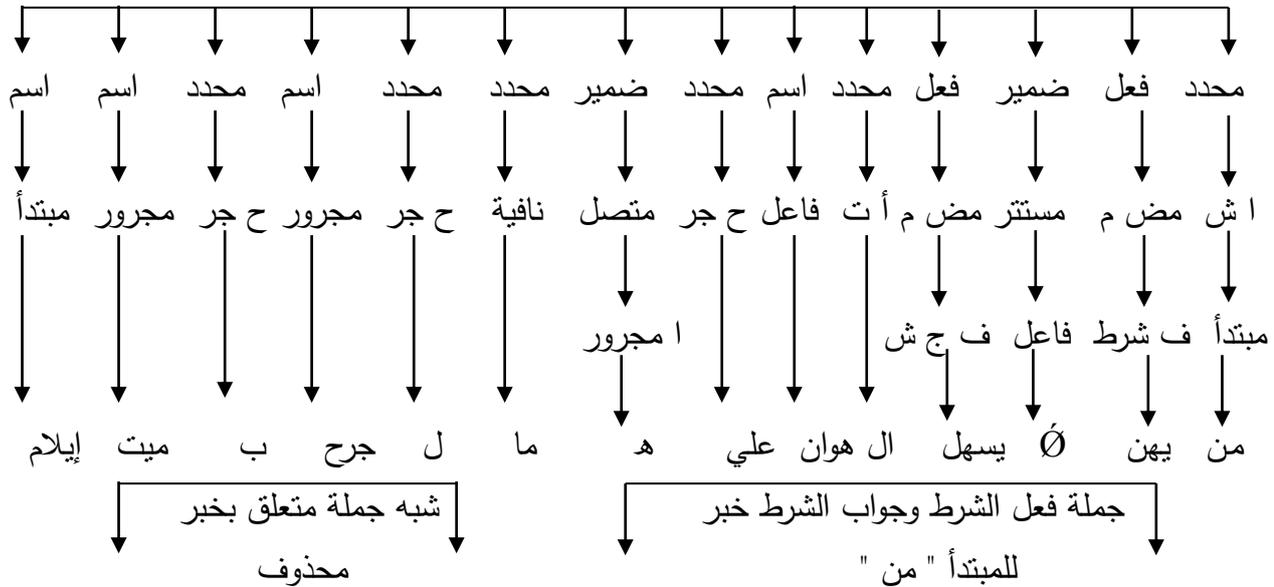
(3) . بلاغتنا اليوم بين الجمالية والوظيفية ، د/ محمد بركات حمدي أبو علي . ص : 80

البيت كله عبارة عن تشبيه إلا أنه لم يأت على أي شكل من أشكال التشبيه المعروفة حيث لم يذكر فيه لا المشبه ولا المشبه به ولا أداة التشبيه ولا وجه الشبه، إلا أن هذه العناصر وإن لم يصرح بها ، فعلى المستقبل تأولها ليقف على حقيقة الصورة ، ومن ثمة تحديد البعد التواصلية والبلاغية منها ، ولا يتأتى هذا إلا من خلال الوقوف على البنية السطحية والبنية العميقة اللتين يمكن تمثيلهما على النحو الآتي :

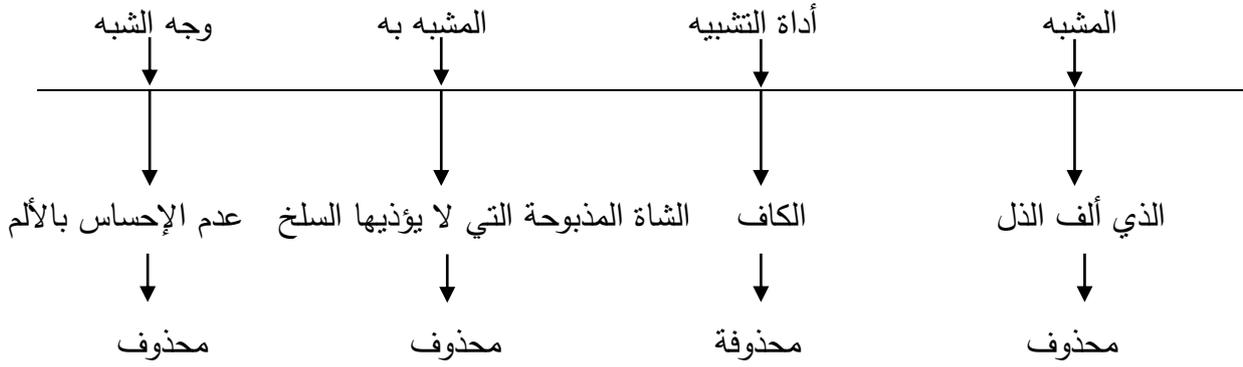
. البنية السطحية :



. البنية العميقة النحوية :



. البنية العميقة البلاغية :



تختلف البنية السطحية عن البنية النحوية العميقة من حيث :

. الإضمار : حيث ورد فاعل الفعل " يهن " ضميراً مستتراً تقديره " هو "

. التحويل : - مبتدأ الخبر " من " محول عن جملة فعل الشرط وجواب الشرط

" يهن يسهل الهوان عليه "

. الحذف : - فاعل الفعل " يهن " تقديره " هو "

- خبر المبتدأ " إيلام " محذوف متعلق به شبه الجملة " للجرح بميت "

. التقديم والتأخير : تقديم شبه الجملة " لجرح بميت " على المبتدأ " إيلام "

أما البنيتان العميقتان النحوية والبلاغية تختلفان من حيث :

. الحذف : حذف كل من المشبه وأداة التشبيه والمشبه به ووجه الشبه ، ومن

هنا يتضح أن الشاعر لجأ للتعبير عن فكرته إلى أسلوب يوحي

بالتشبيه لكن من غير أن يصرح به في صورة من صور المعروفة

واكتفى بالتلميح إلى هذا التشبيه الذي يمكن للمستقبل تأوله على النحو

الآتي : " الذي ألف الذل كالشاة المذبوحة التي لا يؤذيها السلخ ، وهذا

ما يمثل البنية العميقة في حين تتجلى البنية السطحية في الشكل الظاهري

للبيت ، يهدف الشاعر من خلال لجوئه إلى هذا الشكل غير المباشر

من التشبيه إلى التأثير في نفس المستقبل لأن ((التشبيه كلما دق وخفي

كان أشد لصوقا بالنفس وأبعد تأثيرا فيها (((1) ، وخاصة أن الشاعر اعتمد فيه على الدليل الذي يؤكد صواب فكرته لإقناع المستقبل على نبذ الذل والهوان لأنهما مطيتان للخضوع والاستكانة والرضوخ من جهة والدعوة إلى الأنفة والإباء وعزة النفس من جهة أخرى ، وهنا يكمن البعد التواصلية من هذه الصورة .

7 . التشبيه المقلوب :

هو ((عكس طرفي التشبيه بحيث يجعل المشبه مشبها به بادعاء أن وجه الشبه فيه أقوى وأظهر)) (2) ، والملاحظ أنه إذا ((ذهبنا نستخرج الأمثلة من التشبيه المعكوس أو المقلوب لوجدنا أن الانزياح من الحقيقة إلى المجاز يكون في شعور أعلى في التشبيه البليغ أو ناقص الوجه .. والسرف في هذا التصاعد في الشعور أن المشبه به بوابة للتعرف بالمشبه ، إذ المشبه به معط والمشبه به أخذ ، والصفة أو وجه الشبه في المشبه به أشيع وأعرف وأبرز ، وبهذا التشبيه المعكوس أو المقلوب ، يصبح المعطى آخذا ، والأخذ معطيا)) (3) بمعنى جعل الأصل فرعا والفرع أصلا على حد تعبير ابن جني (4) ، ويشترط فيه ((أن يكون بين الطرفين وصف مشترك بين فإذا امتنع ذلك امتنع هذا القلب في طرفي التشبيه لشدة التفاوت في مقدار الوصف .)) (5) ومما استوفى هذا الشرط قول الشاعر محمد بن وهيب :

وَبَدَا الصَّبَاحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ *** وَجَهُ الخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدَّحُ

في البيت تشبيه مقلوب أو معكوس حيث جعل الشاعر الأصل " غرة الصباح "

(1) . علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 167

(2) . علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 158

(3) . بلاغتنا اليوم بين الجمالية والوظيفية ، د/ محمد بركات حمدي أبو علي . ص : 78

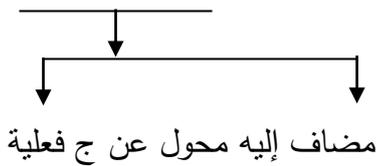
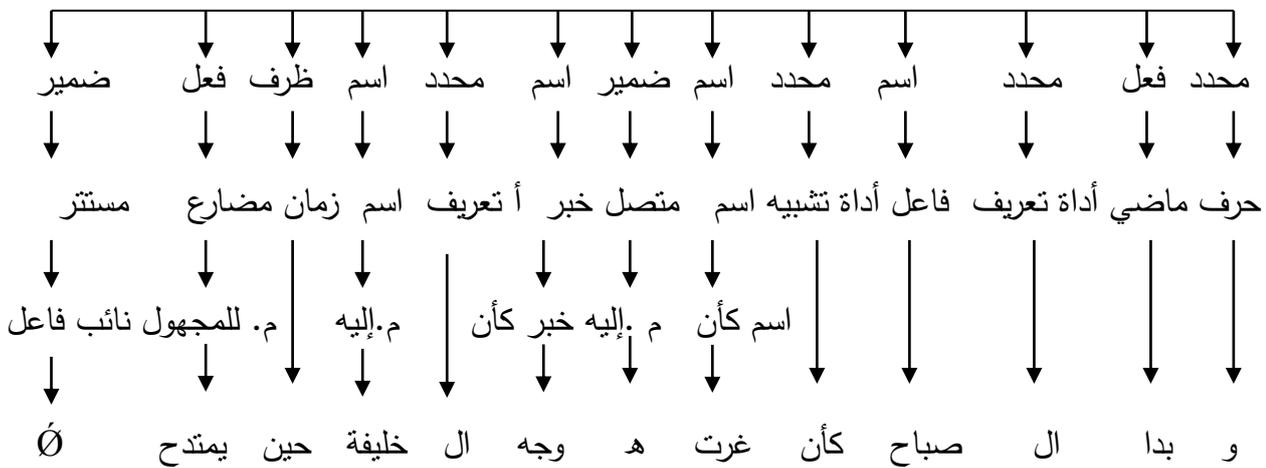
(4) . ينظر الخصائص ج 1 ، ابن جني . ص : 300

(5) . علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 163

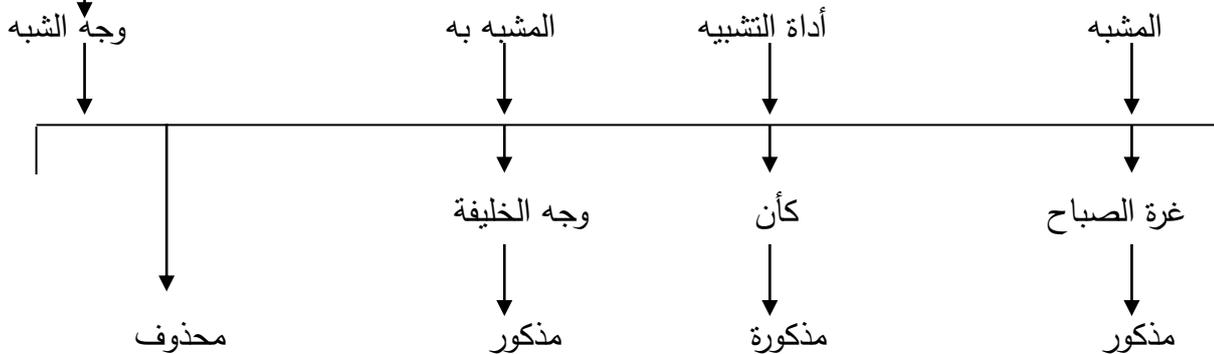
فرعا ، والفرع " وجه الخليفة " أصلا فأصبح بذلك المشبه "وجه الخليفة " مشبها به
والمشبه به " غرة الصباح " مشبها ، وهذا لاعتقاد الشاعر أن ((وجه الخليفة كأنه
أعرف ، وأشهر ، وأتم ، وأكمل في النور من الصباح ، فاستقام له بحكم النية أن يجعل
الصباح فرعا ووجه الخليفة أصلا)) (1) ، وهذا مبالغة منه لمحاولة التأثير
في نفسية الممدوح الذي يود عطفه وعطاءه .

ويمكن تمثيل هذا التشبيه على النحو الآتي :

. البنية السطحية :



. البنية العميقة النحوية :



(1) . علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 161

تختلف البنية السطحية عن البنية العميقة النحوية من حيث :

. الإضمار : نائب الفاعل في الفعل " يمتدح " ضمير مستتر تقديره " هو " يعود على الخليفة .

. الإحلال : - حل الضمير المتصل " الهاء " في " غرته " محل الاسم " الصباح "

- حل الضمير المستتر محل نائب الفاعل في قوله " يمتدح "

. التحويل : - الجملة الفعلية " يمتدح " محولة عن جملة فعلية مبنية للمعلوم

- المضاف إليه إلى الظرف " حين " محول عن جملة فعلية " يمتدح "

أما البنيتان العميقتان النحوية والبلاغية فتختلفان من حيث :

. الحذف : حذف وجه الشبه

. التقديم والتأخير : حيث قدم الشاعر في عناصر الصورة فجعل المشبه " وجه الخليفة

" مشبها به والمشبه به " غرة الصباح " مشبها ، إذ الأصل في التشبيه " وبدا وجه

الخليفة كأن غرته وجه الصباح "وبموجب هذا التقديم والتأخير تغيرت الوظيفة النحوية

لعناصر الجملة حيث أصبح ما كان فاعلا أي "وجه الخليفة " اسما لكأن" وما كان

اسما لكأن أي " غرته وجه الصباح " فاعلا لفعل "بدا" ، ومن هنا تحول التشبيه من

تشبيه مرسل مجمل إلى تشبيه مقلوب ، وهذا بغرض المبالغة في منزلة الممدوح لدى

المستقبل وإضفاء ما يناسب مقامه من الصفات من خلال حذف الشاعر وجه الشبه .

ثانيا . الاستعارة :

الاستعارة هي ((تغيير المعنى القائم على علاقة التشابه بين مفردتين . ولها صلة

بما لدى الفرد من قدرة على الاختبار والإحلال التركيبي paradigmatica عن طريق

التشابه بين عناصر التركيب أو النموذج (((1) وتكمن أهميتها في أنها ((تعبر عن شعور القائل وخواطره فتخرج في صورتها مطبوعة من نفسه ملونة بأحاسيسه لتدل على أصالته فيها ، وقدرته البيانية في تركيبها وبراعته في تقوية الفكر بالدليل الاستعارة ، وجلاء المعنى بالبرهان المحس المتخيل والوحي بأعمق الحقائق وأبعادها غورا. (((2) تقوم الاستعارة على المشابهة ، وفيها يعتمد على الانزياح والعدول ، فهي إذاً ((صورة شكلية تحل فيه مفردة " ب " مفردة أخرى " أ " بمقتضى علاقة التشابه بينهما " لهما علاقات مشتركة " ، وهذا الاستبدال يتضمن تغييرا في المدلول ، لأن العلاقة بين المفردة المستبدلة " أ " أو المستدعاة فحوى والمفردة " ب " الاستعارية " أداة " تتضمن انتقالا أو نقلا يتحقق بواسطة القارئ من دلالة إلى أخرى. (((3)

قسم البلاغيون العرب الاستعارة إلى عدة أقسام منها الاستعارة الحقيقية والتخييلية الأصلية والتبعية، العنادية والوفاقية، العامية والخاصية والمرشحة والمجردة ومطلقة والتصريحية والمكنية (4) ، وأكتفي هنا لضيق المقام بالنعين الآخرين محاولا التركيز فيهما على طرق تحويل الاستعارة في ضوء المنهج التوليدي والتحويلي وعلاقتها بالعملية التواصلية .

1. الاستعارة التصريحية :

هي ما يحذف منها المشبه ويصرح فيها بالمشبه به (5) في مثل قول جرير :

- (1) . نظرية اللغة الأدبية ، خوسيه ماريا . ص : 204
- (2) . البناء الفني للصورة الأدبية ، د/ علي علي صبح . ص : 167
- (3) . نظرية اللغة الأدبية ، خوسيه ماريا . ص : 205
- (4) . ينظر مفتاح العلوم ، السكاكي . ص : 156
- (5) . ينظر علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 249
- (6) . ينظر بلاغتنا اليوم بين الوظيفة والجمالية ، د/ محمد بركات حمدي أبو علي . ص : 77

أَعَدَدْتُ لِلشُعْرَاءِ سُمًّا نَاقِعًا *** فسَقَيْتُ آخِرَهُمْ بِكَأْسِ الأَوَّلِ

الصورة في قوله : " أعددت للشعراء سما ناقعا " انزاح فيها الشاعر عن التعبير المباشر إلى التعبير الاستعاري حيث استعار لفظ " السم " ليدل به على " الشعر " أي بمعنى أنه نقل هذا اللفظ من حقل دلالي إلى حقل دلالي آخر ، إذ الأصل في هذه الاستعارة " أعددت للشعراء شعرا كالسم ناقعا في الفتك " ، فأثر هذا الأخير الاستعارة عن التشبيه لأنها ((أبلغ منه وأفضل منه ، ولأنها مبنية على تناسيه مبالغة في المعنى لحذف أحد الطرفين لتأليف صورة جديدة تحمل السامع على الانبهار بها وانشغاله بروعتها.)) (1) الملاحظ أن الشاعر عمد . حرصا منه على تحقيق هذه الغايات مجتمعة . إلى الاختصار من خلال حذف كل من المشبه " الشعر " وأداة التشبيه " الكاف " ووجه الشبه " في الفتك " مبقيا أي مصرحا بالمشبه به فقط " السم " مبالغة منه في إبراز مدى قوة وأثر شعره على الشعراء كأثر السم على متناوله .

والجدير بالتنبيه أنه انجر عن هذا التحويل في الصورة من شكل إلى آخر تغيير في المواقع النحوية لبعض كلمات الجملة حيث تغيرت الوظيفة النحوية للمشبه به " السم " إذ بعد أن كان اسما مجرورا بأداة التشبيه " الكاف " تحول في الاستعارة إلى مفعول به الذي من دونه لا يكون للجملة معنى ، أي أنه أصبح ركنا أساسيا من أركان الجملة ولا يمكن الاستغناء عنه على الرغم من أنه لم يخرج من دائرة الفضلة الانحراف إذا في كلمة " سم " حيث وضعت في غير موضعها الأصلي ، وتحدد دلالتها ضمن السياق الذي وردت فيه ، ويكون الشاعر بتغييره هذا قد خرج من آلية اللغة إلى اللآلية ، وهي ((فكرة أكثر اتساعا من فكرة الانحراف ، ولا سيما أنها

(1) . البناء الفني للصورة الأدبية ، د/ علي علي صبح . ص : 166

تشتمل على منظور مختلف ، لأنها بدلا من أن تؤكد معيارا مطلقا وغير تاريخي ، فإنها كانت تضيف دائما طابعا نسبيا على مفهوم المعيار " أو القاعدة " وتجعله يعتمد بصورة أساسية على حساسية المستقبل " بكسر الباء .)) (1)

ويمكن الوقوف على الانحراف الذي وقع في لفظ " سم " من خلال اعتماد قواعد الإسقاط في المنهج التوليدي والتحويلي الذي يستند فيه ((الأنموذج التوليدي والتحويلي على فرضية تنص على أن المتكلم / المرسل / يفسر الجملة على نحو تركيبى بحيث يربط معنى المؤلف المركب بمعاني عناصره ، فمعنى الجملة يتم عبر معاني المؤلفات النهائية في المشير الركني ، وذلك من خلال الجمع بين هذه المعاني بواسطة قواعد الإسقاط ووفقا للعلاقات القائمة في المشير الركني .)) (2)

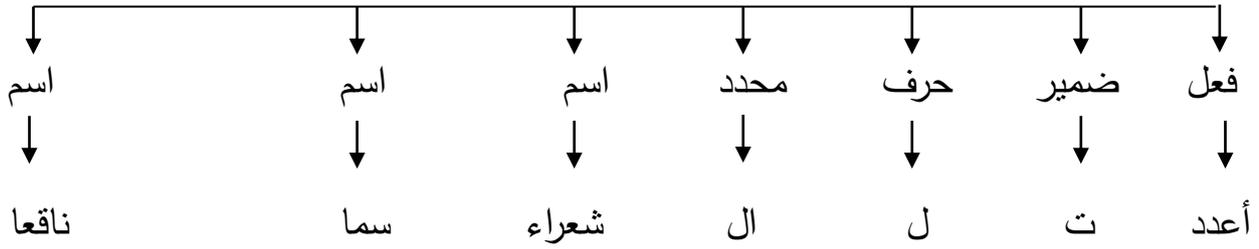
ويمكن بيان ذلك من خلال اعتماد حواصر الفرز التي نستشف منها أن لفظ " سم " مرتبط في العرف اللغوي بالأفعى ، في حين أن لفظ " الشعر " خاص بالإنسان العاقل ولحصر دلالة " سم " نضيف بالنسبة للأول مقوم / - إنسان / وبالنسبة للثاني / + إنسان / ، ومن هنا نخلص إلى أن لفظة " سم " منحرفة دلالية أي استعملت في غير موضعها الأصلي لعلاقة التشابه كما يقول البلاغيون العرب .

وللوقوف على حقيقة هذا التركيب فلا مناص من الرجوع إلى البنية السطحية والبنية العميقة النحوية والبلاغية .

(1) . نظرية اللغة الأدبية ، خوسيه ماريا . ص : 44

(2) . الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية " النظرية الألسنية " د/ ميشال زكريا . ص :

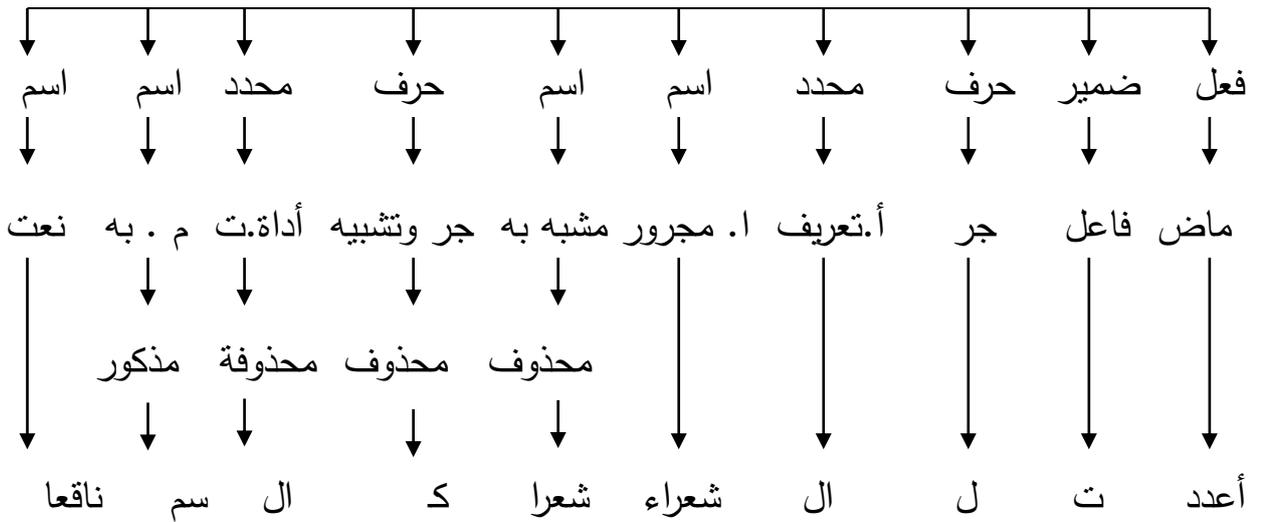
. البنية السطحية :



. البنية العميقة النحوية :



. البنية العميقة البلاغية :



البنيتان النحويتان السطحية والعميقة مختلفتان من حيث :

. التقديم والتأخير : تقدم شبه الجملة " للشعراء " على المركب الاسمي الواقع

مفعولا به " سما ناقعا " إذ الأصل في الجملة " أعددت سما ناقعا للشعراء " ،

وهذا لغرض بلاغي تواصل يكمُن في الاهتمام بأمر المتقدم والحرص على

الوزن .

أما البنيتان العميقتان النحوية والبلاغية فتختلفان من حيث :

. الحذف : عمد الشاعر إلى حذف كل من :

- شعرا : وهو ما يمثل المشبه

- الكاف : أداة التشبيه

- الفتك : وجه الشبه

فلم يبق من التشبيه إذاً إلا المشبه به " لمسا " ، وحولت بموجب هذا الحذف الصورة من تشبيه إلى استعارة تصريحية ، وهي أبلغ وأوفى غرضاً وأقوى دلالة منه ، فيها من الاقتصاد اللغوي ما يدعو المستقبل إلى إعمال الفكر لتحديد موطن الانزياح والوقوف على البنية العميقة وربط الدوال بمدلولاتها بمعنى إعادة الصورة إلى أصلها ليتسنى له الوقوف على ما حذف من عناصر لأن سبيل الاستعارة كما يقول الجرجاني : ((سبيل الكلام المحذوف ، في أنك إذا رجعت إلى أصله ، وجدت قائله وهو يثبت أمراً عقلياً صحيحاً ويدعي دعوى لها سنج / أصل /)) (1) ، ولأن كما يضيف في موضع آخر ((التشبيه كما لا يخفى يقتضي شيئين مشبهاً ومشبهاً به ثم ينقسم إلى الصريح وغير الصريح ، فالصريح أن تقول : " كأن زيدا الأسد " فتذكر كل واحد من المشبه والمشبه به باسمه ، وغير الصريح أن تسقط المشبه به من الذكر وتجري اسمه على المشبه كقولك : " رأيت أسداً " تريد رجلاً شبيهاً بالأسد إلا أن تغير اسمه مبالغة وإبهاماً أن لا فضل بينه وبين الأسد ، وأنه استحال إلى / تحول / إلى الأسمية)) (2) ، يحيلنا الجرجاني مما سبق وبطريقة غير مباشرة إلى البنية العميقة للصورة التي يتعين على المرسل استخلاصها حتى يدرك الغرض التواصلية منها . وهو هنا تباهي جرير بقوة شعره وما له من بالغ الأثر على المستقبلين من الشعراء الذين نصبوه العداء أمثال الفرزدق والأخطل وغيرهما من شعراء النقائص .

(1). أسرار البلاغية ، عبد القاهر الجرجاني . ص : 199

(2). أسرار البلاغية ، عبد القاهر الجرجاني . ص : 200

2 . الاستعارة المكنية :

الاستعارة المكنية (1) هي عكس الاستعارة التصريحية حيث يذكر فيها المشبه ويحذف منها المشبه به مع الإشارة إلى لازمة من لوازمه ، ومنها على سبيل التمثيل قول الشاعر :

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا *** أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

ففي الشطر الأول من هذا البيت استعارة مكنية في قوله : " وإذا المنية أنشبت أظفارها " ، وبإعادة الصورة إلى أصلها وهو تشبيهه ، نتبين أنه حذف كل " من المشبه وهو " الحيوان المفترس " ورمز إليه بخاصية من خواصه وهي " الأظفار " .

. الأداة وهي " الكاف " .

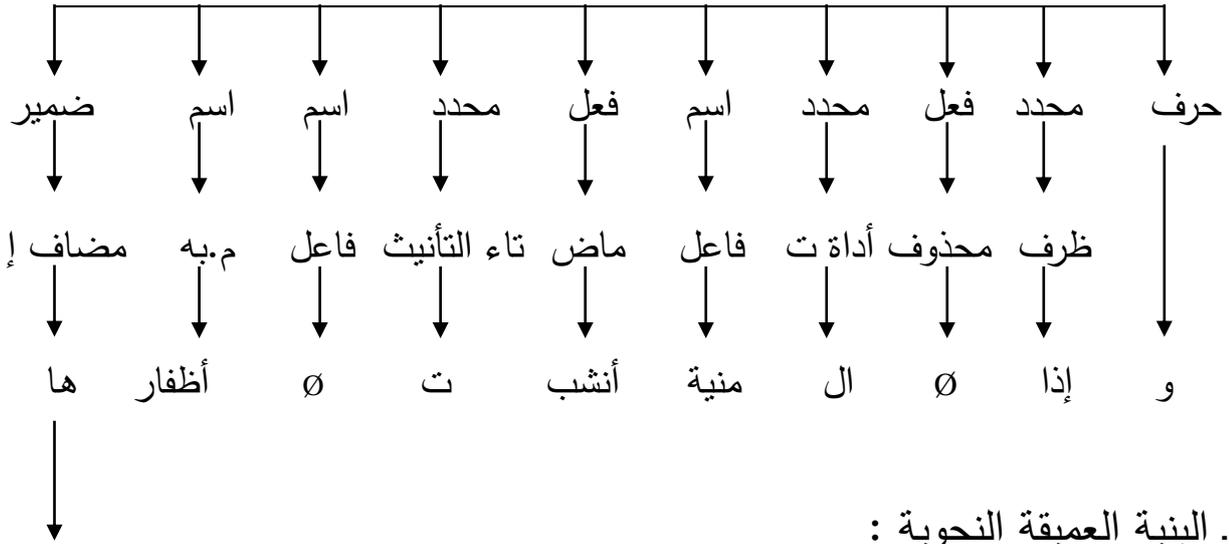
. ووجه الشبه وهو " الاغتتيال " .

بمعنى أن الأصل فيها هو : المنية كالحیوان المفترس في الاغتتيال فقد عدل الشاعر عن هذا التشبيه واستغنى عنه بهذا التعبير البليغ الذي شخص من خلاله الموت في صورة محسوسة مدركة في الواقع رغبة منه في التأثير على المستقبل .

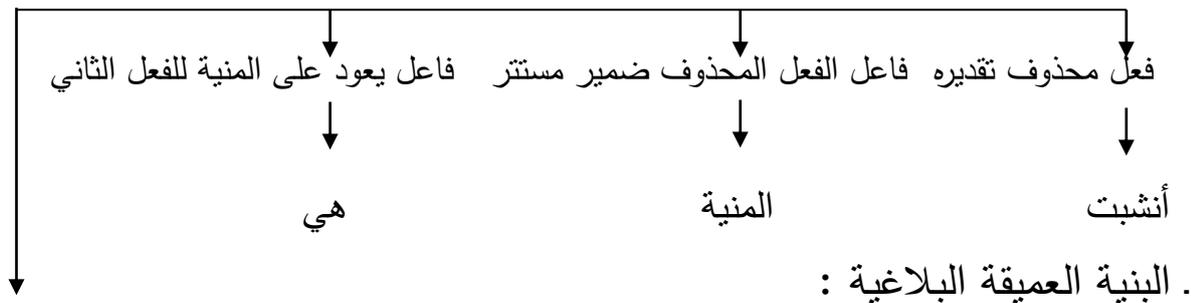
ففي هذا التعبير انزياح وعدول ، إذ باعتماد حواصر الفرز نتبين أن " الأظفار " خاصة إنسانية وحيوانية استعارها الشاعر ليعبر بها عن المنية ، وهي شيء معنوي شخصه هذا الأخير في صورة حيوان مفترس لا يرحم ، أي أنه أخرج هذه الكلمة من حقلها الدلالي الوضعي إلى حقل دلالي آخر مع ما يتبع ذلك من تغيير في المعنى أي الدلالة ، ولتوضيح تركيب هذه الصورة والوقوف على ما حدث فيها من تحويل نعد إلى البنية السطحية والبنية العميقة .

(1) . ينظر علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت . ص : 250

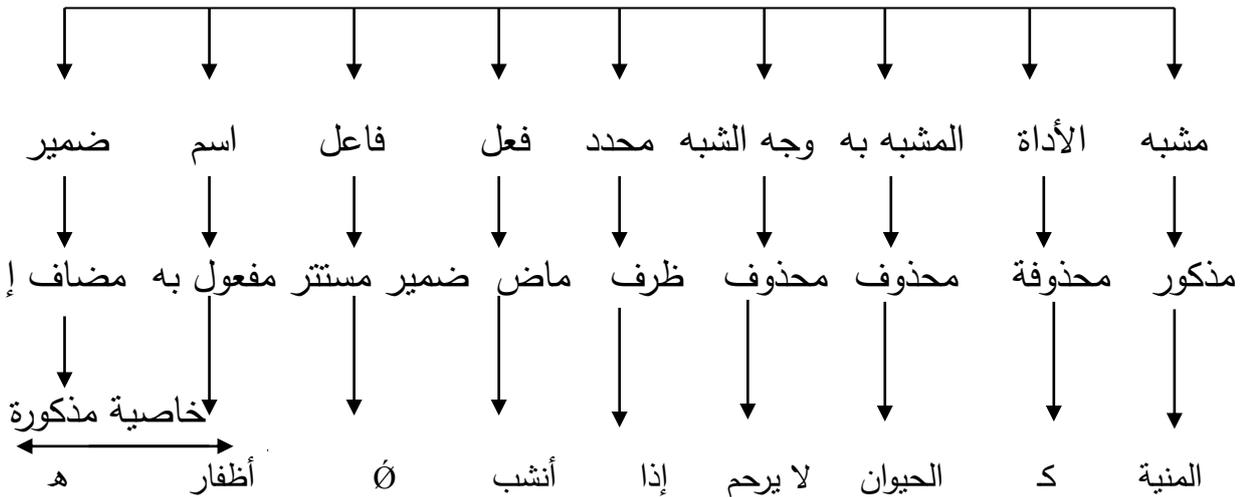
. البنية السطحية :



. البنية العميقة النحوية :



. البنية العميقة البلاغية :



تختلف البنية السطحية والبنية العميقة الأولى من حيث :

. الحذف : - حذف الفعل لأن " المنية " فاعل لفعل محذوف " أنشبت " يفسره الفعل

بعد ، فهناك جملتان الأولى " إذا أنشبت المنية " والثانية " أنشبت " ، ويهدف

هذا التكرار إلى التوكيد وتقوية المعنى .

- حذف الفاعل : فاعل الفعل الثاني " أنشبت " محذوف تقديره " هي " .
- . الإحلال : حيث حل الضمير " ها " محل الاسم " المنية " .
- أما البنيتان العميقتان النحوية والبلاغية فتختلفان من حيث :
- . الحذف :

- حذف أداة التشبيه " الكاف "

- حذف المشبه به " الحيوان " مع الإشارة إليه بخاصية من خواصه " الأظفار "

- حذف وجه الشبه " عدم الرحمة " .

ومن هنا فهذه الاستعارة محولة عن تشبيهه ، وقد اقتضى هذا التحويل الذي

شخص من خلاله الشاعر المنية في صورة محسوس " حيوان مفترس "

بعدا جماليا يكمن في طريقة تأليفها وروعة نسجها وبعدا بلاغيا توصلها يكمن

في ترسيخ المعنى في ذهن المستقبل ويحمله على تأول دلالة الصورة والوقوف

على ما وراءها .

ثالثا . الكناية :

تعد الكناية كما سبقت الإشارة أحد أشكال تغيير المعنى أو إحدى الطاقات

التعبيرية التي يلجأ إليها المتكلم حينما يؤثر التعبير عن المعنى عن طريق التعريض أو

التلميح ، وهي ((أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع

له في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو ردفه في الوجود فيوميء إليه ويجعله دليلا

عليه .)) (1)

(1) . خزنة الأدب ج 2 ، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراي . ص : 263

. ينظر الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني . ص : 273

وهذا ما عبر عنه الجرجاني في أثناء تعريفه للكناية وهي ((أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومي إليه ويجعله دليلا عليه ، مثال ذلك قولهم " هو طويل النجاد " يريدون طول القامة ، وكثير رماد القدر "يعنون كثير القرى ، وفي المرأة " نؤوم الضحى، والمراد أنها مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها فقد توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود ، وأن يكون إذا كان ، أفلا ترى أن القامة إذا طالت طال النجاد ، وإذا كثر القرى كثر رماد القدر، وإذا كانت المرأة مترفة لها من يكفيها أمرها ردف ذلك أن تنام إلى الضحى)) (1) ، والكناية عند البلاغين مقدمة ومفضلة على التصريح لأنها ((السبب في أن كان للإثبات بها مزية لا تكون للتصريح أن كل عاقل يعلم إذا رجع إلى نفسه أن إثبات الصفة بإثبات دليلها وإيجابها بما هو شاهد في وجودها أكد وأبلغ في الدعوى من أن تجيء إليها فتثبتها ساذجا غفلا ، وذلك أنك لا تدعي شاهد الصفة ودليلها إلا والأمر ظاهر معروف وبحيث لا يشك فيه ولا يظن بالمخبر الجوز والغلط .)) (2)

إذا ما عدنا إلى الأمثلة التي أوردها الجرجاني ندرك عدول المتكلم عن التعبير عن المعنى بصريح ما وضع له إلى ما يردفه ويلزمه في المعنى ، وهذا إشارة منه فيما أرى إلى البنية السطحية والبنية العميقة ، ولعل ما يؤكد صحة هذا الرأي قوله في موضع آخر ((فمن ذلك قولهم : إنه لغليظ الجحافل وغليظ المشافر ، وذلك أنه كلام يصدر عنهم في مواضع الدم ، فصار بمنزلة أن يقال : كأن شفته في الغلط

(1) . دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني . ص : 66

. ينظر في البلاغة العربية : علم البيان ، د/ عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة

النشر بيروت ، لبنان ، ب . ط ، ب . ت . ص : 203

(2) . دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني . ص : 70

مشفر البعير وجحفة الفرس ..)) (1) فالعبارة الأولى من قول الجرجاني تمثل البنية السطحية وهي فيما يبدو كناية عن صفة والثانية تمثل البنية العميقة ، ومن هنا يمكن أن أتصور البنية السطحية والبنية العميقة للعبارة السابقة على النحو الآتي :

البنية العميقة

البنية السطحية

. هو طويل القامة

1. هو طويل النجاد

. كثير القرى

2. كثير الرماد

. مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها

3. نؤوم الضحى

ما يلاحظ على هذه التراكيب أنه ((كني بها عن صفة لازمة لمعناها ، كان كل تركيب من هذه وما يشبهه " كناية عن صفة " ، وهذا القسم الأول من أقسام الكناية)) (2)

1. الكناية عن صفة :

للقوف على حقيقة هذا البناء الكنائي في النموذجين الأول والثاني يتعين الرجوع إلى بيت الخنساء الذي تصف فيه أباها صخرا حيث تقول :

طَوِيلُ النِّجَادِ رَفِيعُ العِمَادِ * * * كَثِيرُ الرَّمَادِ إِذَا مَا شَتَا

فمن بين الصفات التي تريد أن تثبتها لأخيها الشجاعة والعظمة والكرم ولكنها ((عدلت عن التصريح بهذه الصفات إلى الكناية عنها ، لأنه يلزم من طول حمالة السيف طول صاحبه ، ويلزم من طول الجسم الشجاعة عادة ، ثم إنه يلزم من يلزم من كثرة الرماد كثرة إحراق الحطب تحت القدور ، ثم كثرة الضيفان ، ثم

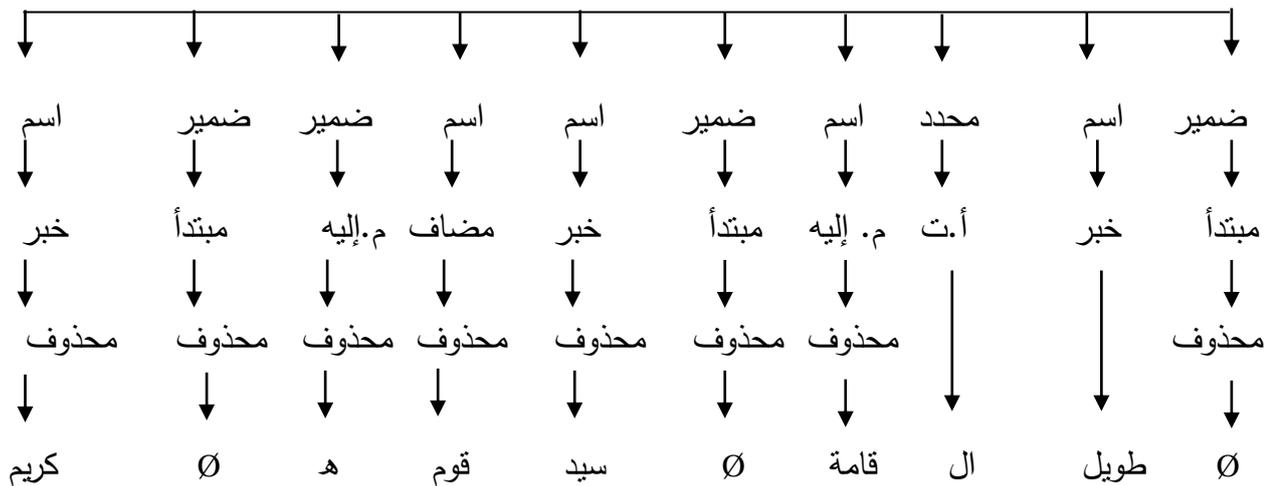
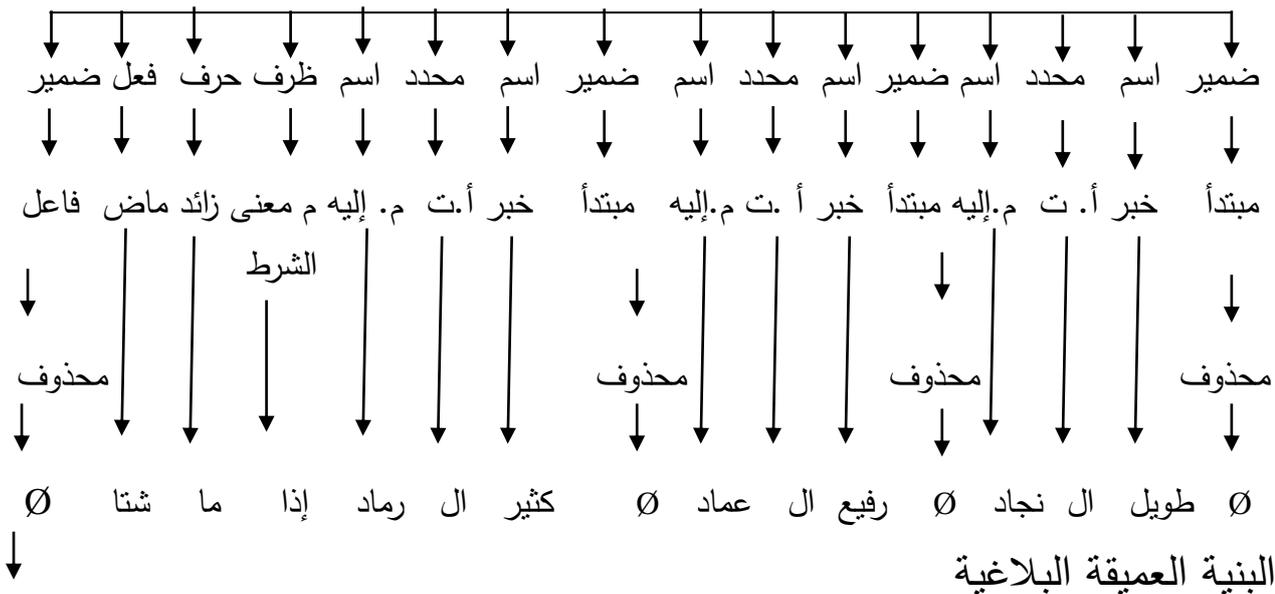
(1). أسرار البلاغة ، الجرجاني . ص : 33

(2). في البلاغة العربية : علم البيان ، د/ عبد العزيز عتيق . ص : 214

. ينظر دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني . ص : 315

كثرة الكرم ، وهنا أيضا يجوز حمل المعنى على جانب الحقيقة ، فمن الجائز بالإضافة إلى المعنى الكنائي أن يكون أخوها حقيقة طويل النجاد رفيع العماد كثير الرماد . (((1) فمن خلال البيت يمكن أن نقف على البنية السطحية والبنية العميقة أولا من الناحية النحوية وثانيا من الناحية البلاغية .

. البنية السطحية النحوية :



(1) . في البلاغة العربية : علم البيان ، د/ عبد العزيز عتيق . ص : 214

. ينظر دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني . ص : 315

تختلف البنية السطحية والبنية العميقة النحوية من حيث :
الحذف :

- حذف الضمير " هو " المبتدأ لدلالة السياق عليه

- حذف فاعل فعل " شتا " ، الذي يمكن تقديره " إذا ما شتا الحال "

. الإحلال : حيث حل الضمير " هو " محل الاسم " صخر "

. الإضمار : إضمار الفاعل في فعل " شتا "

. التحويل : المضاف إلى الظرف المتضمن معنى الشرط " إذا " محول عن جملة

فعلية " شتا " فهي في محل جر بالإضافة

أما البنيتان العميقتان النحوية والبلاغية فلا تختلفان في شيء ، فهما تتألفان من

جمل اسمية " مبتدأ وخبر وهي كآآتي :

. طويل النجاد ← طويل القامة

. رفيع العماد ← سيد قومه

. كثير الرماد ← هو كريم

ما يلفت الانتباه أن الشاعرة عدلت عن التعبير عن هذه الصفات التي يتصف بها

صخر بطريقة مباشرة وآثرت التعبير غير المباشر باعتماد الدليل والحجة لترسيخ

المعنى في ذهن المستقبل وإثارة دافعيته للوقوف عليه، فطول النجاد دليل على طول

القامة وارتفاع العماد دليل على رفعة المكانة أو السيادة وكثرة الرماد دليل على الكرم ،

ومن هنا كانت هذه التعابير الكنائية أبلغ وأقوى من التصريح ، فهي مثار الإعجاب

وبالغة التأثير .

2 . الكناية عن موصوف :

هي ((التي يطلب بها نفس الموصوف ، والشرط هنا أن تكون الكناية محتصة

بالمكنى عنه لا تتعداه ، وذلك ليحصل الانتقال منها إليه)) (1) ، وهذا يعني أن الكناية عن موصوف تقوم على ذكر إحدى صفاته التي تدل عليه ، ومن هذا القبيل قول أبي نواس الذي يصف الخمر :

فَلَمَّا شَرَبْنَاهَا وَدَبَّ دَبِيبُهَا *** إِلَى مَـوَطِنِ الْأَسْرَارِ قُلْتُ لَهَا : قَفِي

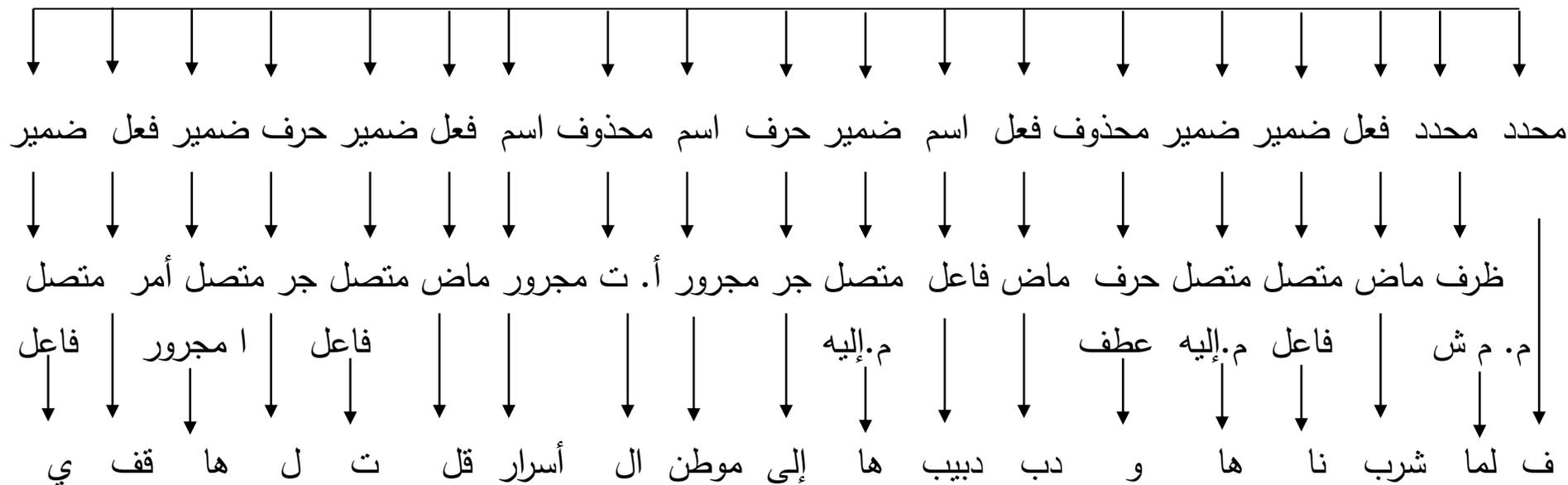
وردت الكناية في قوله " موطن الأسرار ومن خلالها يريد أبو نواس أن يقول : ((فلما شربنا الخمر ودب دبيبها أي سرى مفعولها إل القلب أو الدماغ قلت لها : قفي. ولكنه انصرف عن هذا التعبير الحقيقي الصريح إلى ما هو أملح وأوقع في النفس وهو موطن الأسرار لأن القلب أو الدماغ يفهم منه أنه مكان السر وغيره من الصفات . فالكناية " بموطن الأسرار " عن القلب أو الدماغ كناية عن موصوف ، لأن كليهما يوصف بأنه موطن الأسرار.)) (2) خلاصة القول أن الشاعر عدل عن التعبير عن " القلب أو الدماغ " بإحدى صفاته لما في هذا العدول من مزية قوة التأثير لدى المستقبل ورونق التعبير .

وحتى يتسنى لنا الوقوف على بناء هذا التركيب الكنائي فلا مناص من تحديد البنية السطحية والعميقة النحوية والبلاغية لهذا البيت :

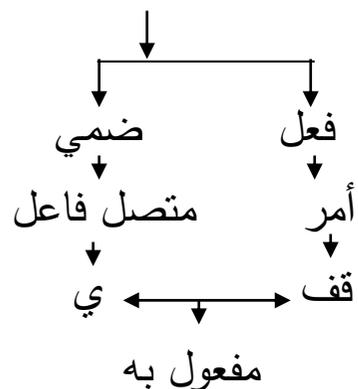
(1) . في البلاغة العربية : علم البيان ، د/ عبد العزيز عتيق . ص : 215

(2) . في البلاغة العربية : علم البيان ، د/ عبد العزيز عتيق . ص : 216

البنية السطحية النحوية :



. البنية العميقة



البنيتان مختلفتان من حيث :

. الإحلال :

- حل الضمير " نا في فعل " شرب " محل الفاعل وهو أبو نواس وندماؤه "
 - حل الضمير " ها " في فعل " شرب " محل المفعول به " الخمر "
 - حل الضمير " ها " في دبيب " محل المضاف إلي " الخمر "
 - حل الضمير " ت " في فعل " قال " محل الفاعل المتكلم " أنا "
 - حل محل الضمير " ها " محل الاسم المجرور " الخمر "
 - حل الضمير المتصل " ي " في قف " محل الفاعل المخاطبة " أنت "
- . التحويل : المفعول به لفعل " قال " محول عن جملة فعلية " قفي "

أما البنيتان العميقتان النحوية والبلاغية فلا اختلاف بينهما إذا ما استثنينا أن الشاعر استعاض عن كلمة " القلب " بـ " موطن الأسرار ، وهذا بغرض إثارة انتباه المستقبل .

3. الكناية عن نسبة :

يراد بها ((إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه ، أو بعبارة أخرى يطلب بها تخصيص الصفة لموصوف .)) (1)

ومن الأمثلة على هذا النوع قول الشاعر :

الْيُمْنُ يَنْبَعُ ظِلَّهُ *** وَالْمَجْدُ يَمْشِي فِي رِكَابِهِ

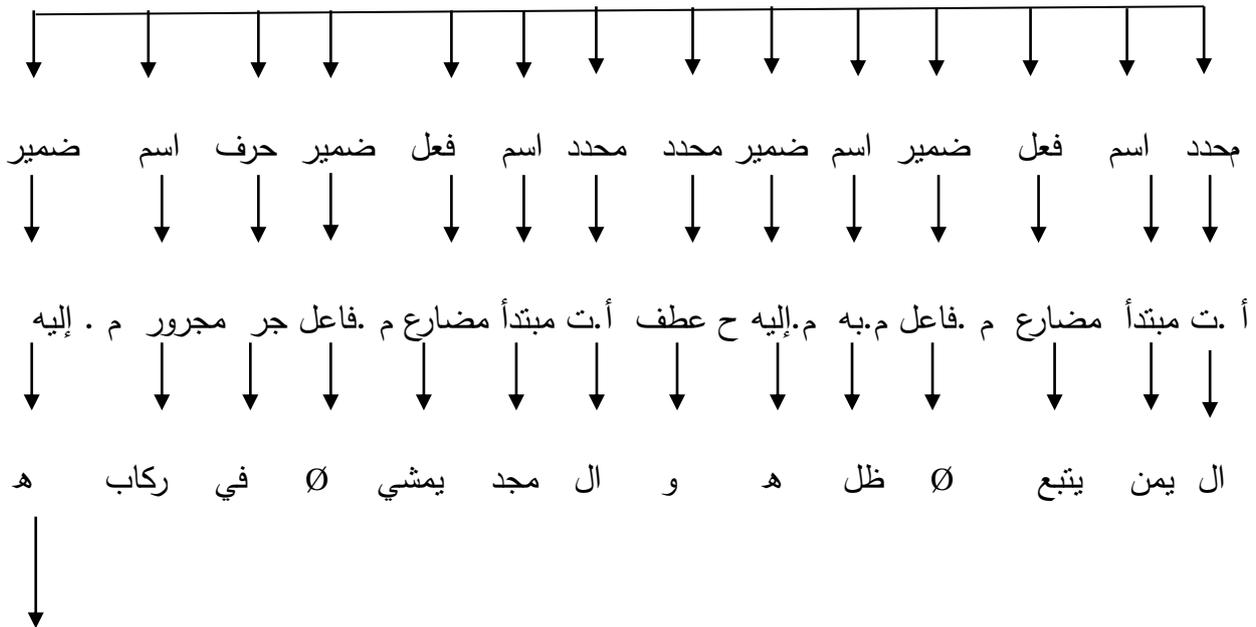
يبدو أن الشاعر في مقام المدح ويريد أن يضيفي بعض الصفات على ممدوحه ومنها أنه ميمون الطلعة وصاحب مجد إلا أنه عدل عن نسبة هاتين الصفتين ((إلى الموصوف ونسبهما إلى ما له اتصال به)) (2) وهو الظل والركاب ومن

(1) . في البلاغة العربية : علم البيان ، د/ عبد العزيز عتيق . ص : 217

(2) . ينظر الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني . ص : 278

هنا كنى الشاعر عن هاتين الصفتين بما يتصل بالمدوح ، فهما إذاً كنايةتان عن نسبة ، لهما من ((الفضل والمزية ومن الحسن والرونق ما لا يقل قليله لا يجهل موضع الفضيلة فيه . وتفسير هذه الجملة وشرحها أنهم يرومون وصف الرجل ومدحه وإثبات معنى من المعاني الشريفة له فيدعون التصريح بذلك ويكونون عن جعلها فيه بجعلها في شيء يشتمل عليه ويتلبس به ويتوصلون في الجملة إلى ما أرادوا من الإثبات لا من الجهة الظاهرة المعروفة بل من طريق يخفى ومسلك يذوق ((1) ، وهذا ما لجأ إليه الشاعر في هذا البيت .

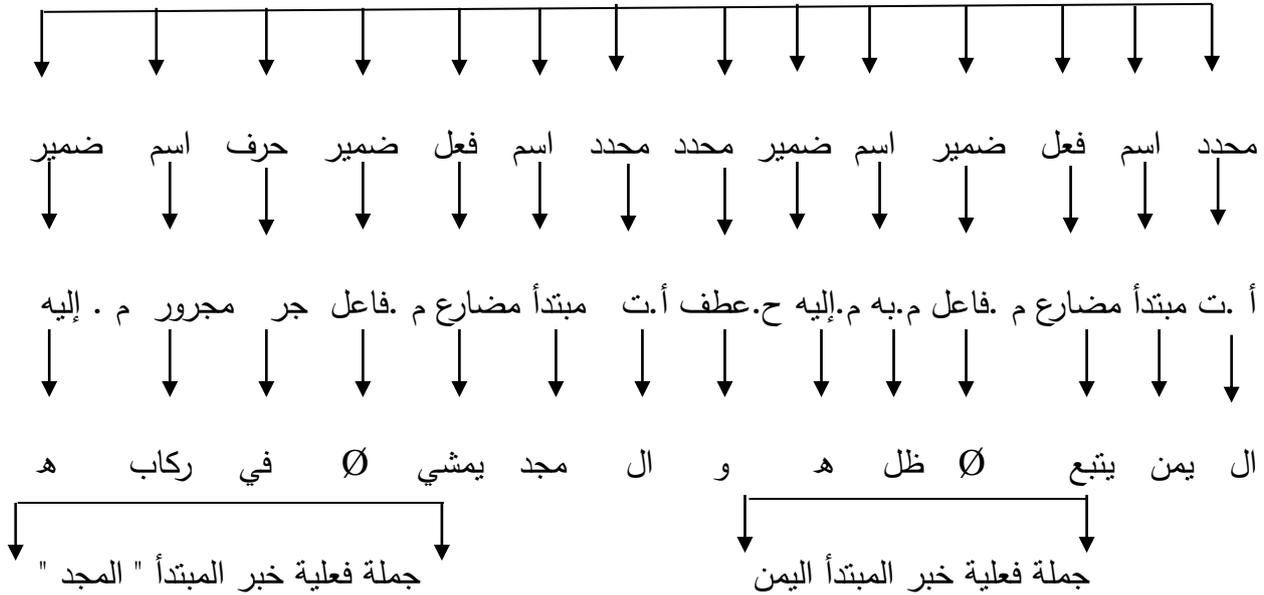
وإذا عدنا إلى البيت لتحديد البنية السطحية والبنية العميقة فإننا سنقف على عناصر التحويل التي لجأ إليها الشاعر في معرض حديثه عن ممدوحه .
البنية السطحية النحوية :



(1) . في البلاغة العربية : علم البيان ، د/ عبد العزيز عتيق . ص : 218

. ينظر دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني . ص : 235

البنية العميقة النحوية



البنيتان النحويتان السطحية والعميقة تختلفان من حيث :

- الإضمار: أضر عن فاعل في كل من فعل " يتبع " و " يمشي " حيث ورد

فاعلهما ضميرا مستتر تقديره " هو "

- الإحلال : حل الضمير في كل من ظل " و " ركاب " محل المضاف إليه

- التحويل : خبر كل من المبتدأ "اليمين " و " المجد محول عن جملة فعلية ،

يمكن تقديره في الأولى " اليمين تابع " و " المجد ماش "

أما البنيتان العميقتان النحوية والبلاغية فلا اختلاف بينهما إلا من حيث

أن الشاعر آثر أن ينسب هاتين الصفتين إلى ما له صلة بالموصوف ، وهما

" الظل " و " الركب " ، كما نلاحظ من جانب آخر أن الشاعر عمد إلى

الجملة الاسمية بدل الجملة الفعلية وهذا لما في هذه الأخيرة من قوة وتوكيد

للمعنى ، ويبدو من ورود خبر المبتدأ " الظل " و " المجد " جملة فعلية على

استمرارية الحدث ، وفي هذا كله بعد تواصل يتجلى أولا في حرص الشاعر

على إثارة دافعية المستقبل والتتويه بمنزلة الممدوح والإشادة بمكانته

ثانيا . وهذا من جملة الأغراض البلاغية أو التواصلية للكناية التي أسهب البلاغيون في الحديث عنها ومنها :

- تجسيم المعاني وتجسيدها في صور محسوسة تعج بالحركة
 - التعمية والتغطية على المكنى عنه إما خوفا عليه أو خوفا منه
 - تجنب التصريح بالألفاظ الخسيسة التي تلحق الضرر بالمرسل أو المستقبل
 - إمكانية التعبير عن الأحاسيس والمشاعر أو الخوض في ((كل ما يجول بالخاطر حراما كان أو حلالا ، حسنا أو قبيحا ، من غير حرج أو لوم ، وتلك مزية للكناية على غيرها من أساليب البيان)) (1) ، وهذا نتيجة مزية التستر التي تتيحها الكناية دون بقية ألوان البيان الأخرى .
- وما تجدر الإشارة إليه أن الكناية لا تقتصر على اللغة الأدبية كما هو متداول ، فهي على غرار التشبيه والاستعارة مستعملة في اللغة غير الأدبية أي في لغة العامة من الناس الذين يلجؤون إليها للأغراض البلاغية ذاتها ، ومن النماذج على ذلك قولهم :
- . فلانة طويلة اللسان : كناية عن صفة الإساءة إلى الآخرين بكلامها
 - . فلان يتكلم بيده : كناية عن موصوف أي الذي يعتمد على الإشارة أثناء كلامه .
 - . فلان يعشعش الشيطان في رأسه : كناية عن سوء التفكير والتصرف .

(1) . في البلاغة العربية : علم البيان ، د/ عبد العزيز عتيق . ص : 226

رابعاً . المجاز المرسل :

لقد سبق أن عرفت المجاز ولكن لا بأس هنا من التذكير ببعض التعاريف التي لم أتعرض لها ، فمن الناحية اللغوية يعرف المجاز على أنه من ((جاز الشيء يجوزه إذا تعداه أي تعدت موضعها الأصلي ...والظاهر أنه من قولهم : جعلت كذا مجازاً إلى حاجتي أي طريقاً له...)) (1) ، ومن الناحية الاصطلاحية يجمع البلاغيون على أنه اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي أو الوضعي ، وهو نوعان ((مرسل واستعارة ، لأن العلاقة المصححة إن كانت تشبيهاً بما هو موضوع له فهو استعارة ، وإلا فهو مرسل..وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه كاليد إذا استعملت في النعمة لأن من شأنها أن تصدر عن الجارحة ومنها نصل إلى المقصود بها.)) (2) بمعنى أن المجاز المرسل ((تكون العلاقة فيه غير المشابهة وسمي مرسلًا لأنه لم يقيد بعلاقة المشابهة أو لأنه له علاقات شتى)) (3) والعلاقة في الاصطلاح البلاغي يراد بها ((الأمر الذي يقع به الارتباط بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي فيصح الانتقال من الأول إلى الثاني)) (4) أما القرينة فهي ((الأمر الذي يصرف الذهن عن المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي ، وهي إما قرينة عقلية أي حالية ، نحو : " أقبل بحر والسامع يرى رجلاً ، وإما قرينة لفظية نحو " رأيت بحراً يعظ الناس من فوق المنبر " فعبارة يعظ الناس من فوق المنبر " قرينة لفظية تدل على أن لفظة " بحر "

(1) . الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني . ص : 232

(2) . الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني . ص : 233

(3) . في البلاغة العربية : علم البيان ، د/ عبد العزيز عتيق . ص : 143

(4) . في البلاغة العربية : علم البيان ، د/ عبد العزيز عتيق . ص : 156

استعملت استعمالاً مجازياً وتمنع في الوقت ذاته إرادة المعنى الحقيقي لهذه

اللفظة (((1)

ومن علاقات المجاز المرسل التي تحدث عنها البلاغيون :

- السببية : أي تسمية المسبب باسم السبب : كقولهم : رعت الماشية الغيث أي النبات الذي سببه الغيث .

- المسببية : وذلك بذكر لفظ المسبب الذي يراد منه السبب أي تسمية السبب

باسم المسبب كقوله تعالى : ((وَيُنزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا)) (2) أي مطرا

يسبب الرزق .

- الجزئية : وذلك بذكر لفظ الجزء ويراد منه الكل أي تسمية الشيء باسم جزئه ،

نحو قوله تعالى : ((فَتَحَرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَّاسَا)) (3)

- الكلية : وهي عكس العلاقة الجزئية وتكون بذكر لفظ الكل الذي يراد منه الجزء

نحو قوله تعالى : ((يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ

(((4) ، المجاز في قوله " أصابع " وهو الكل وأريد به الجزء وهو " رأس أصبع

واحدة لأنه يستحيل أن توضع أصبع كلها في الأذن .

- اعتبار ما كان : أي ((تسمية الشيء باسم ما كان عليه نحو قوله تعالى :

(1). في البلاغة العربية : علم البيان ، د/ عبد العزيز عتيق . ص : 156

(2). غافر : 13

(3). المجادلة : 03

(4). البقرة : 19

- " وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ " أي الذين كانوا يتامى (((1) ، المجاز في قوله " يتامى " وإتيان اليتامى أموالهم مرهون ببلوغ سن الرشد أي البلوغ ، ومن هنا عبر القرآن عن هؤلاء بما كانوا عليه في الماضي .
- اعتبار ما يكون : أي تسمية الشيء باسم ما سيكون عليه في المستقبل ومنه قوله تعالى : ((إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا)) (2) المجاز في قوله " خمرًا " والمراد بها " العنب " الذي يعصر ثم يتحول بعد مدة إلى خمر .
- الحالية : وتكون بذكر لفظ الحال ويراد به المحل ، نحو قوله : ((فَفِي رَحْمَةٍ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)) (3) ، المجاز في قوله " رحمة " والمراد بها " الجنة " التي تحل فيه الرحمة .
- المحلية : وهي عكس العلاقة السابقة ، وتكون بذكر لفظ المحل ويراد به الحال فيه ، نحو قوله تعالى : ((فَلْيَدْعُ نَادِيَةً)) (4) ، المجاز في قوله " نادي " والمراد منه من يحل فيه .
- الآلية : وذلك ((إذا ذكر اسم الآلة وأريد الأثر الذي ينتج عنها نحو قوله تعالى : " وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ " فالمجاز في كلمة " لسان " والمراد واجعل لي قول صدق أي ذكرا حسنا ، فأطلق اللسان الذي هو آلة القول على القول نفسه ، وهو الأثر الذي ينتج عنه . فإطلاق " اللسان " على القول وأداته وإرادة الأثر الناتج عنه وهو " القول أو الكلام " مجاز مرسل علاقته الآلية .)) (5)

(1) . في البلاغة العربية : علم البيان ، د/ عبد العزيز عتيق . ص : 161

(2) . يوسف : 36

(3) . آل عمران : 107

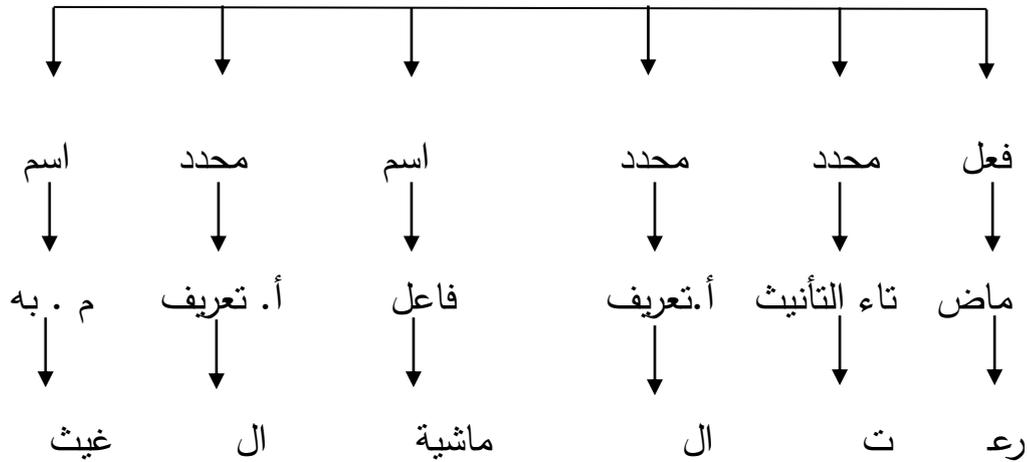
(4) . العلق : 17

(5) . في البلاغة العربية : علم البيان ، د/ عبد العزيز عتيق . ص : 164

وهناك علاقات أخرى اكتفي بذكرها من غير شرح ومنها : اللازمة
والملزومية ، التقييد والإطلاق ، العموم والخصوص ، البدلية والمبدلية
والمجاورة ... وساقترص على بعض من النماذج السابقة كعينة على تحليل
المجاز للوقوف على البنية السطحية والبنية العميقة .

. علاقة السببية : رعت الماشية الغيث

. البنية السطحية النحوية :



. البنية العميقة النحوية : ما يلاحظ أن الجملة توليدية تخلو من عناصر
التحويل ، ومن هنا فلا وجود للبنية العميقة النحوية . أما البنية العميقة
البلاغية فهي تختلف عن البنية النحوية السطحية من حيث ذكر السبب
" الغيث " وأريد منه المسبب " النبات على سبيل المجاز المرسل
والقرينة هنا عقلية .

. علاقة السببية : قال تعالى : ((وَيُنزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا)) (1)

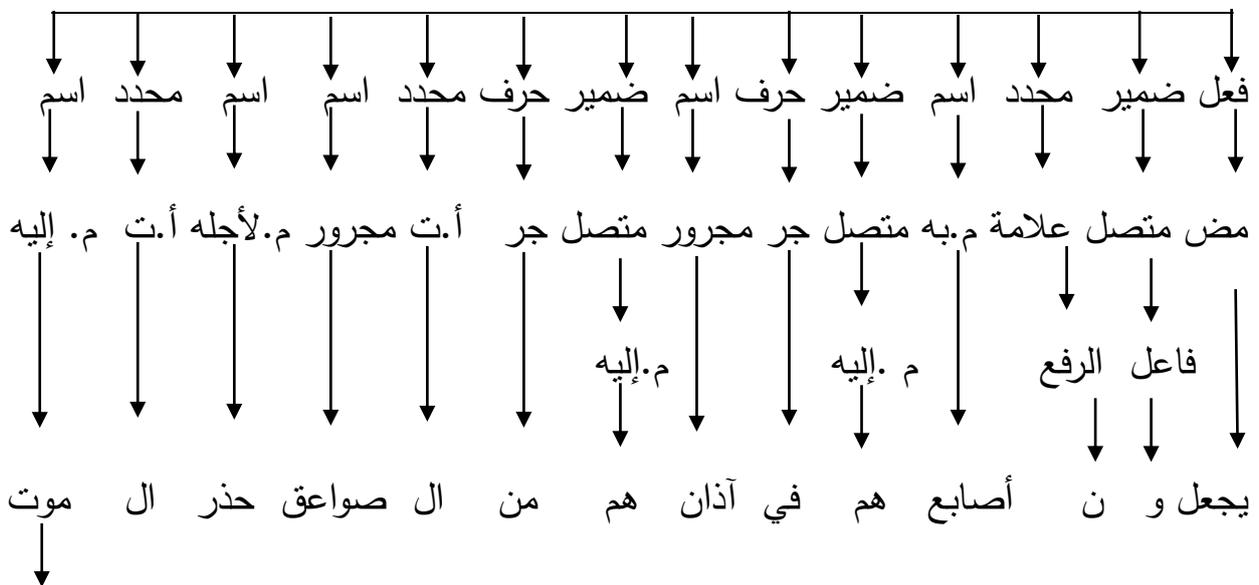
البنيتان مختلفتان من حيث :

- الحذف : مبتدأ الخبر " تحرير " محذوف تقديره " جزاؤهم " .
- الإحلال : حل الضمير المتصل " ا " ألف الاثنين في فعل " يتماس " محل الفاعل " الزوج والزوجة " .
- التحويل : المضاف إليه إلى " قبل " محول عن مصدر مؤول " أن يتماسا " البنيتان العميقتان النحوية والبلاغية لا تختلفان إلا من حيث ذكر لفظ الجزء " رقبة " الذي يراد منه الكل أي العبد المؤمن لأن الرقبة هي عادة موضع وضع الأغلال في العبيد من الناس ، ومن هنا فالرقبة مجاز علاقته الجزئية .

. العلاقة الكلية : قال تعالى : ((يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ

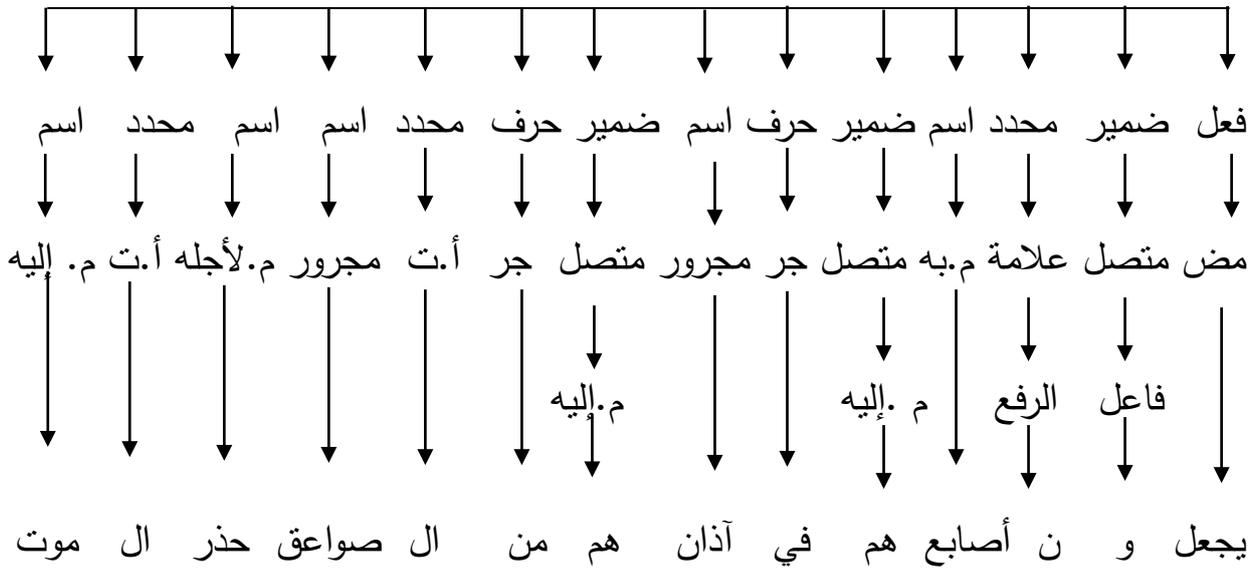
حَذَرَ الْمَوْتِ)) (1)

. البنية السطحية النحوية :



(1) . البقرة : 13

. البنية العميقة النحوية :



البنيتان مختلفتان من حيث :

الإحلال: . حل الضمير المتصل "الواو" في فعل " يجعل " محل الفاعل " اليهود "

. حل الضمير المتصل " هم " في " أصابع " محل المضاف إليه " اليهود "

. حل الضمير المتصل " هم " في " آذان " محل المضاف إليه " اليهود "

البنيتان العميقة النحوية والبنية العميقة البلاغية :

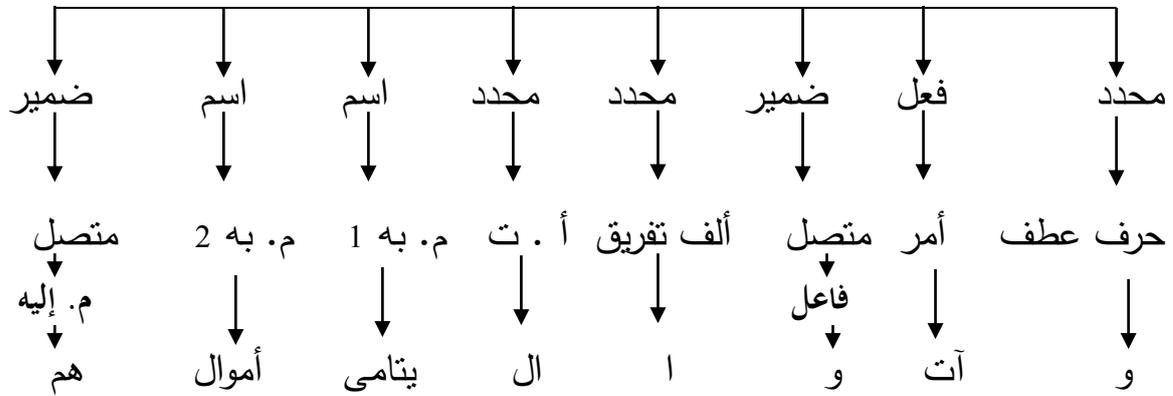
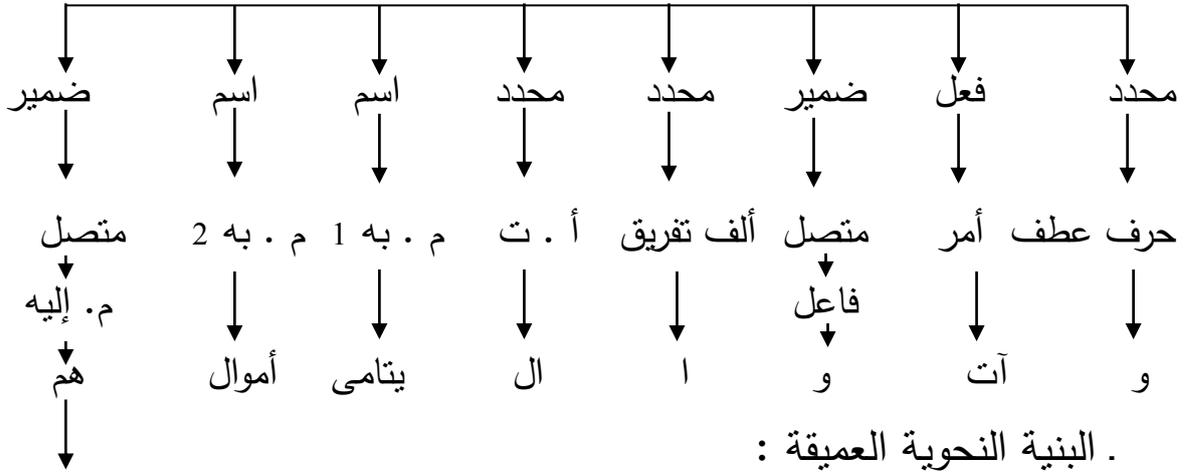
لا اختلاف بين البنيتين إلا من حيث ذكر لفظ الكل " أصابع " الذي يراد منه

الجزء أي رأس أنملة واحدة " ف " أصابع " مجاز مرسل علاقته الكلية ، والقرينة عقلية

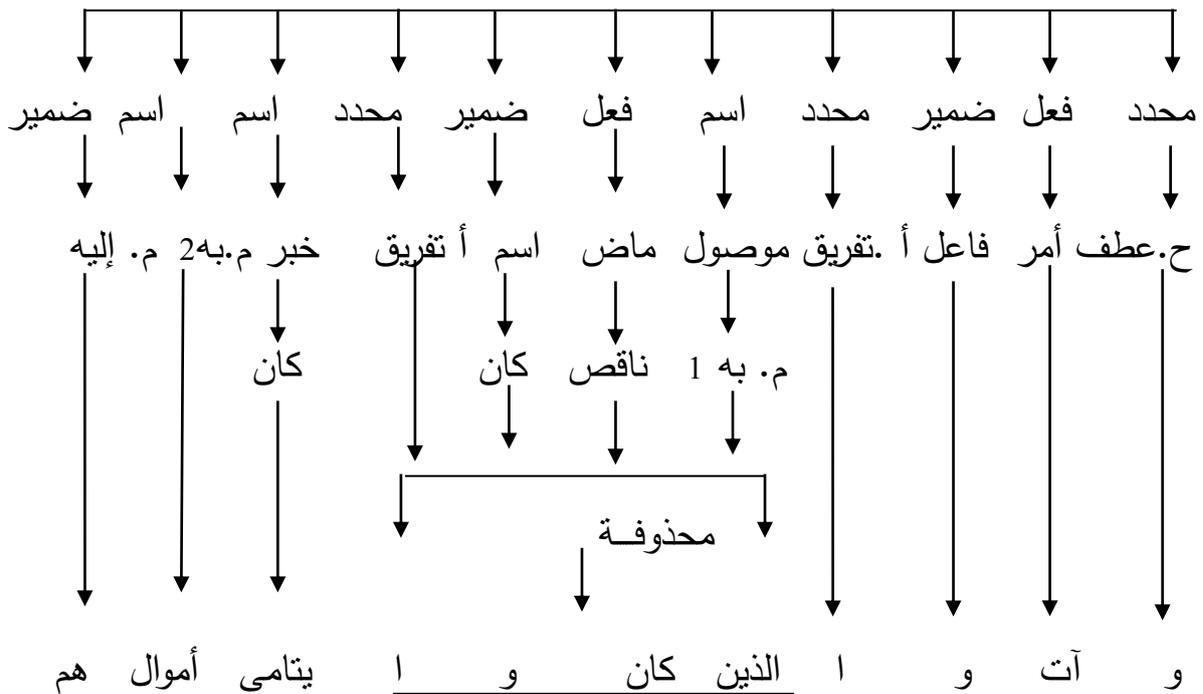
لأنه يستحيل على الإنسان أن يضع أصبعه كلها في أذنه .

. علاقة اعتبار ما كان : قال تعالى : ((وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ)) (1)

. البنية النحوية السطحية :



. البنية العميقة البلاغية :



البنيتان النحويتان مختلفتان من حيث :

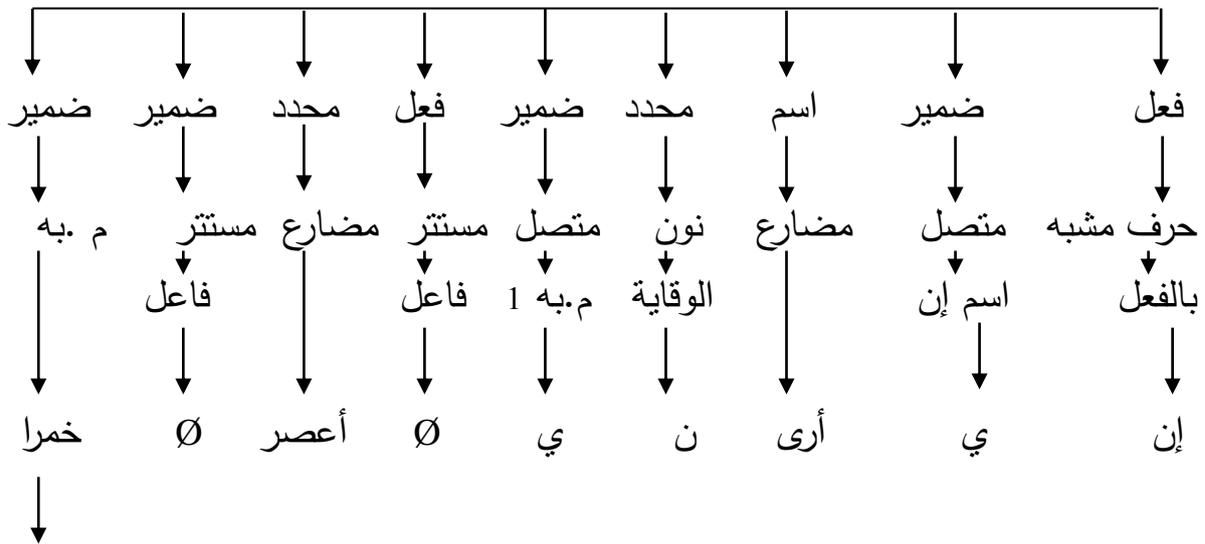
- الإضمار : فاعل فعل " أتى " ضمير متصل في محل رفع فاعل .
- الإحلال : حل الضمير " هم " في قوله " أموال " محل المضاف إليه " اليتامى " .

البنيتان العميقتان النحوية والبلاغية مختلفتان من حيث :

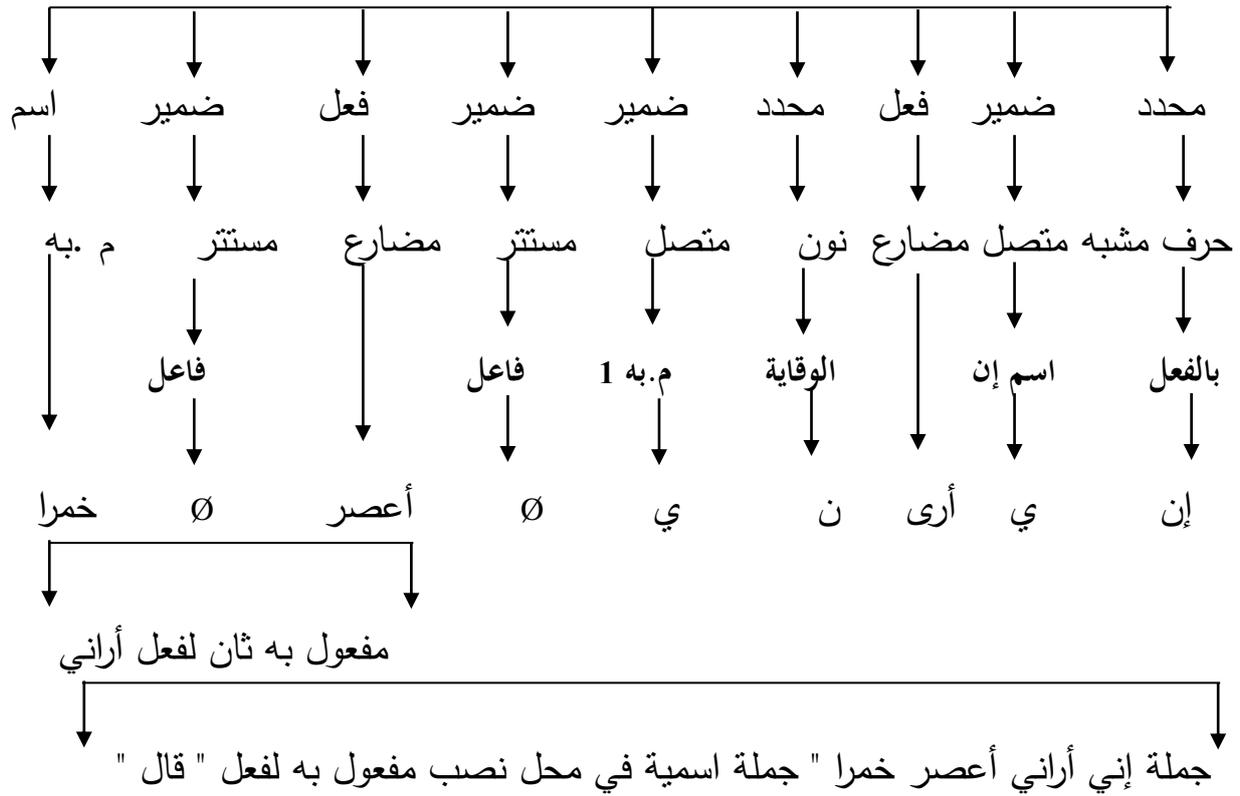
- الحذف : حيث حذف الاسم الموصول وصلته " الذين كانوا " .
- التحويل : بموجب هذا الحذف تحولت الوظيفة النحوية لكلمة " يتامى " من خبر " كان " المحذوفة إلى مفعول به ثان لفعل " أتى " ، وهذا ما يمكن للمستقبل إدراكه من خلال إعمال الفكر ، وقد اكتسى التعبير بهذا الحذف رونقا وجمالا وقوة .

. علاقة اعتبار ما يكون : قال تعالى : ((إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا)) (1)

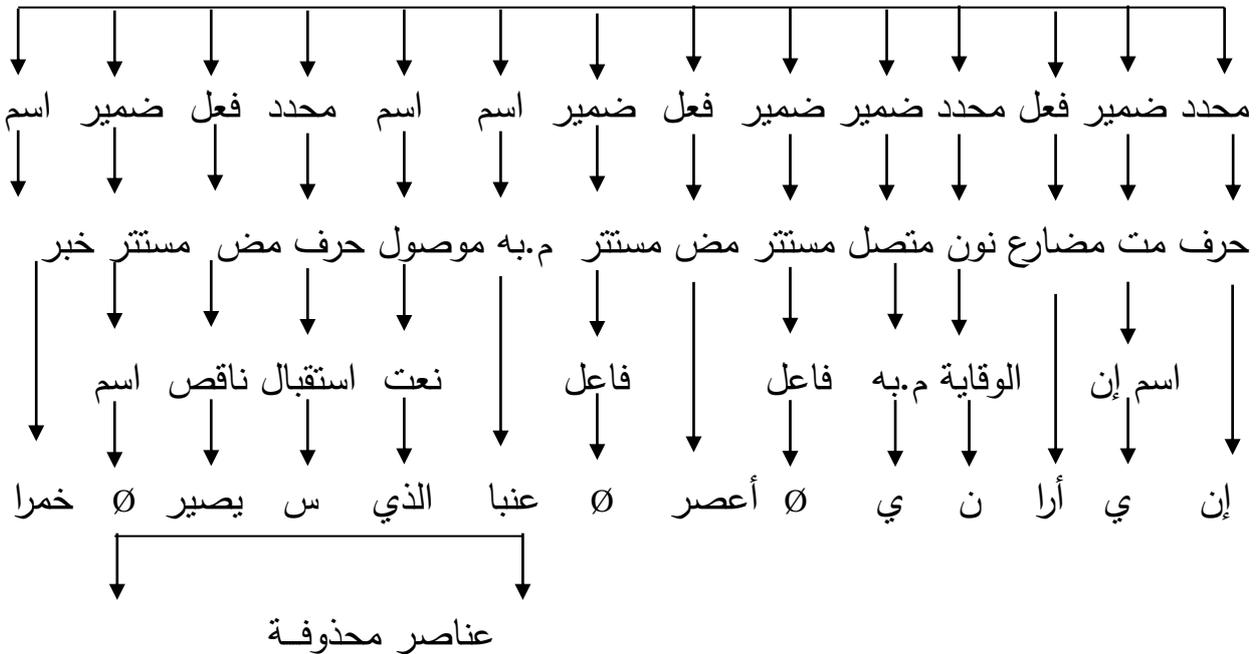
. البنية السطحية النحوية :



. البنية العميقة النحوية :



. البنية العميقة البلاغية :



البنيتان النحويتان السطحية والعميقة مختلفتان من حيث :

- الإضمار : فاعل كل من الفعلين " أراني " و " أعصر " ضمير مستتر

وجوبا تقديره " أنا " .

- الإحلال: . حل الضمير المتصل " الياء " في فعل " أراني " محل المفعول به
- التحويل: . المفعول الثاني لفعل " أرى " محول عن جملة فعلية وهي " أعصر خمرا " .

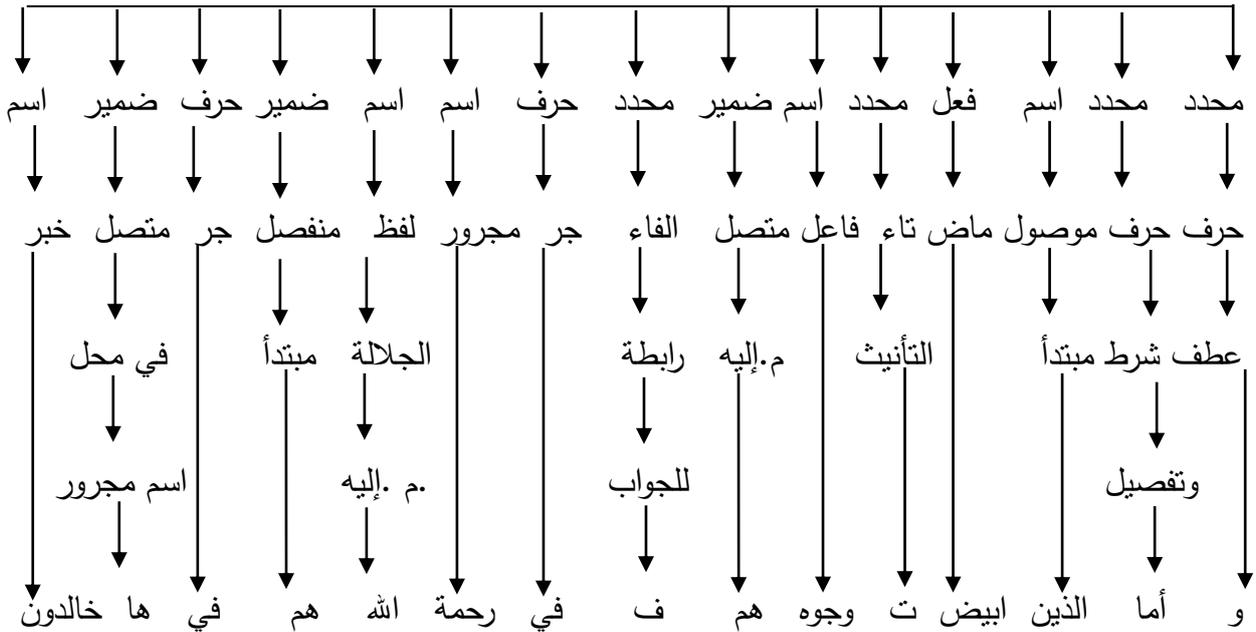
. مفعول فعل " قال " محول عن جملة اسمية وهي " إني أراني أعصر خمرا " لأن هذه الجملة وردت بعد فعل القول " قَالَ أَحَدُهُمَا إني أراني أَعْصِرُ خَمْرًا "

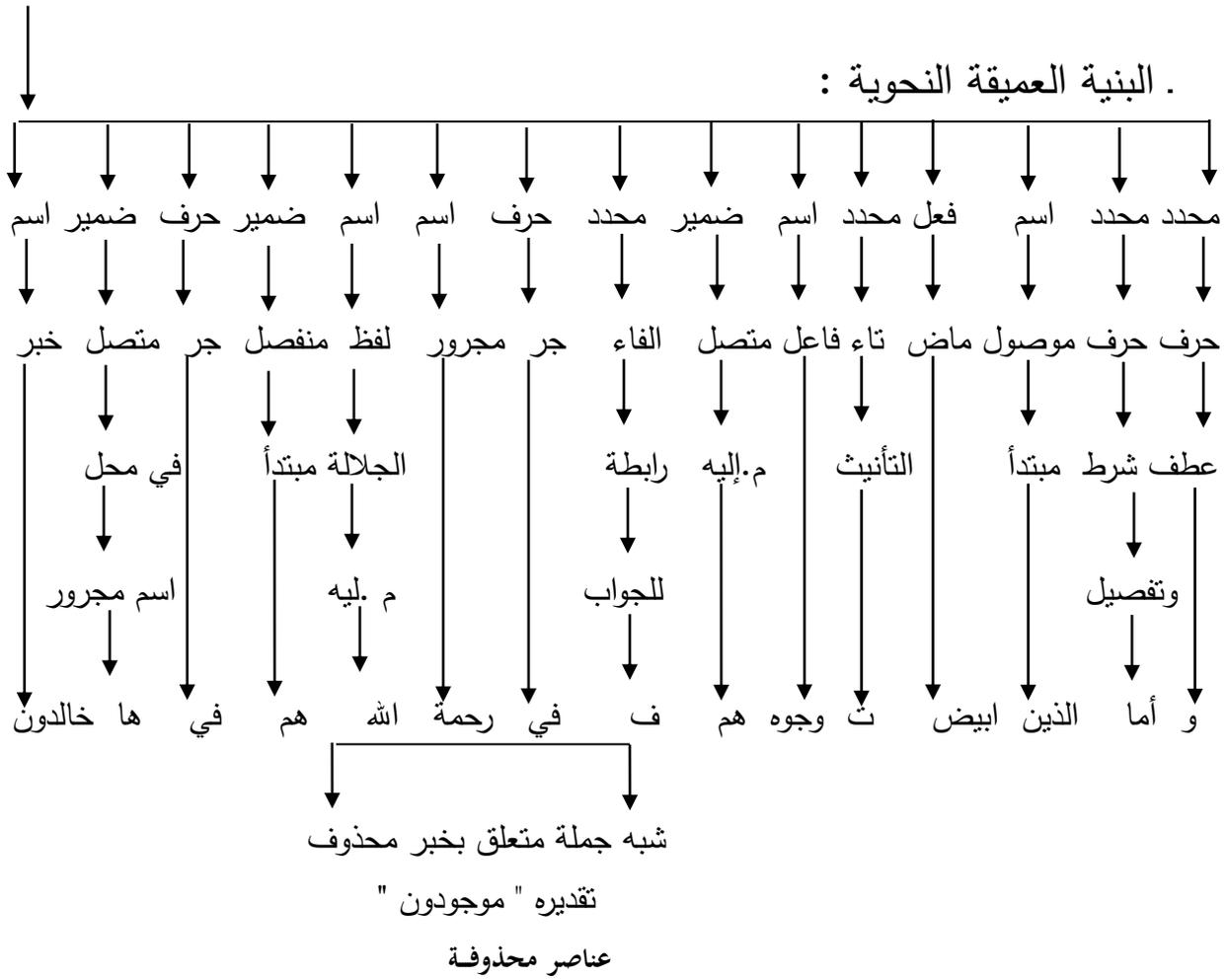
أما البنيتان العميقتان النحوية والبلاغية فمختلفتان من حيث :

- الحذف : حيث حذف كل من المفعول به " عنبا " واسم الموصول " الذي " وصلته " سيصير .. " وتحول بموجب هذا الحذف ما كان " خبرا " أي خمرا " للفعل الناقص " سيصير " إلى مفعول به " أعصر " ، ومن هنا فكلمة " خمر " مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يكون .

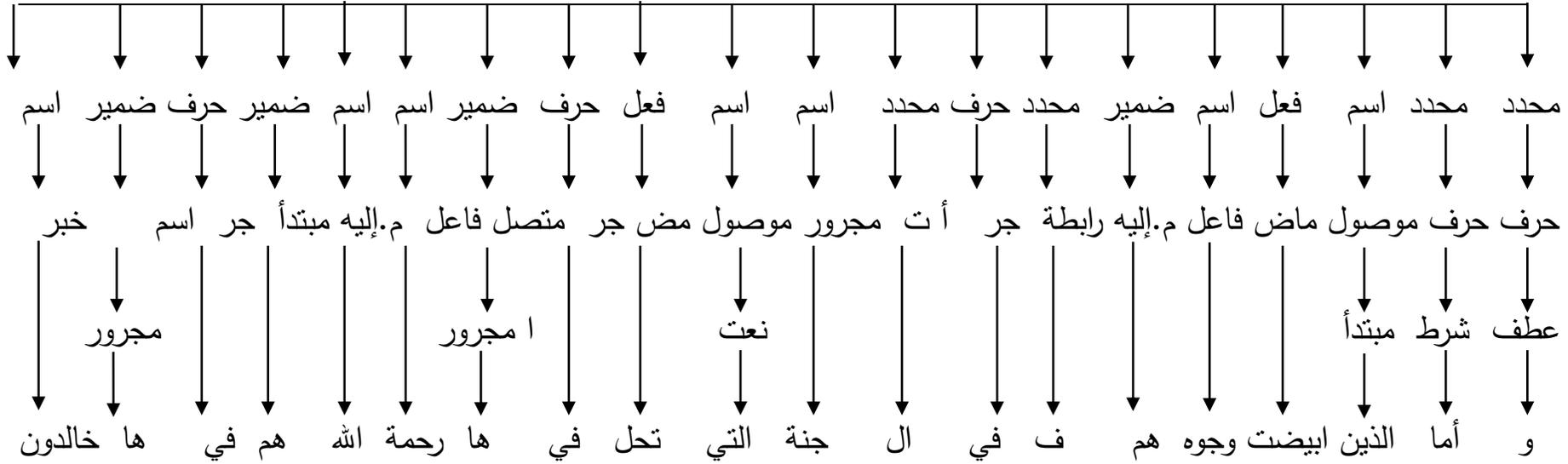
. علاقة الحالية : قال تعالى : ((فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ))

. البنية السطحية النحوية :





. البنية العميقة البلاغية :



شبه جملة متعلق بخبر محذوف تقديره

"موجودون"

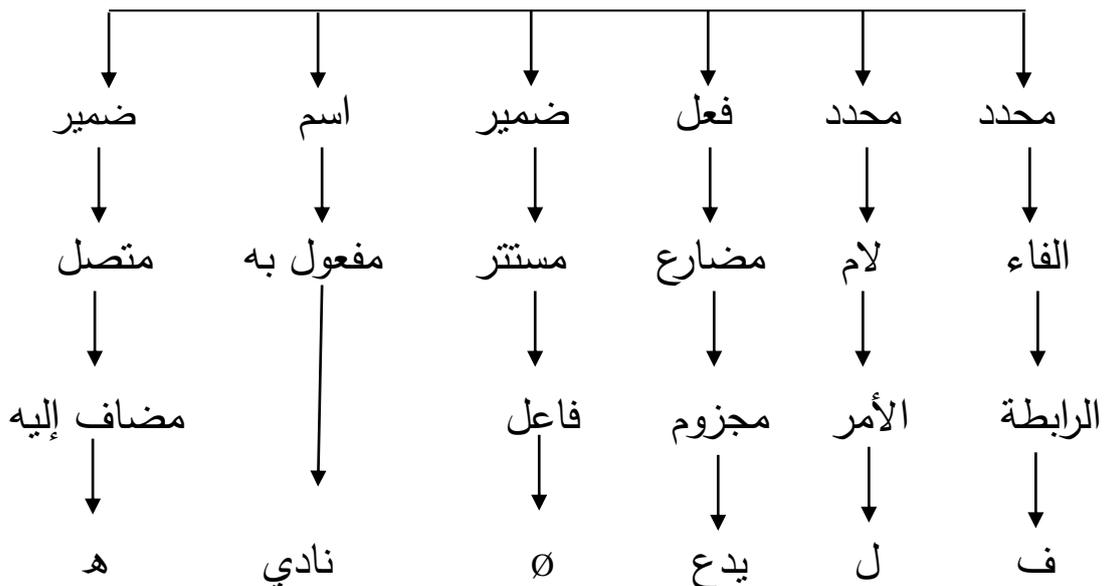
البنيتان النحويتان السطحية والعميقة مختلفتان من حيث :

- الحذف : خبر المبتدأ " الذين " محذوف متعلق بشبه جملة " في رحمة الله " تقديره " موجودون " .
- الإحلال : . حل الضمير المتصل " هم " محل المضاف إليه في وجوههم " . حل الضمير المنفصل " هم " محل اسم الموصول " الذين " . حل الضمير المتصل " ها " محل الرحمة " .
- التقديم : تقدم شبه الجملة " فيها على الخبر " خالدون " إذ التقدير " هم خالدون فيها " .

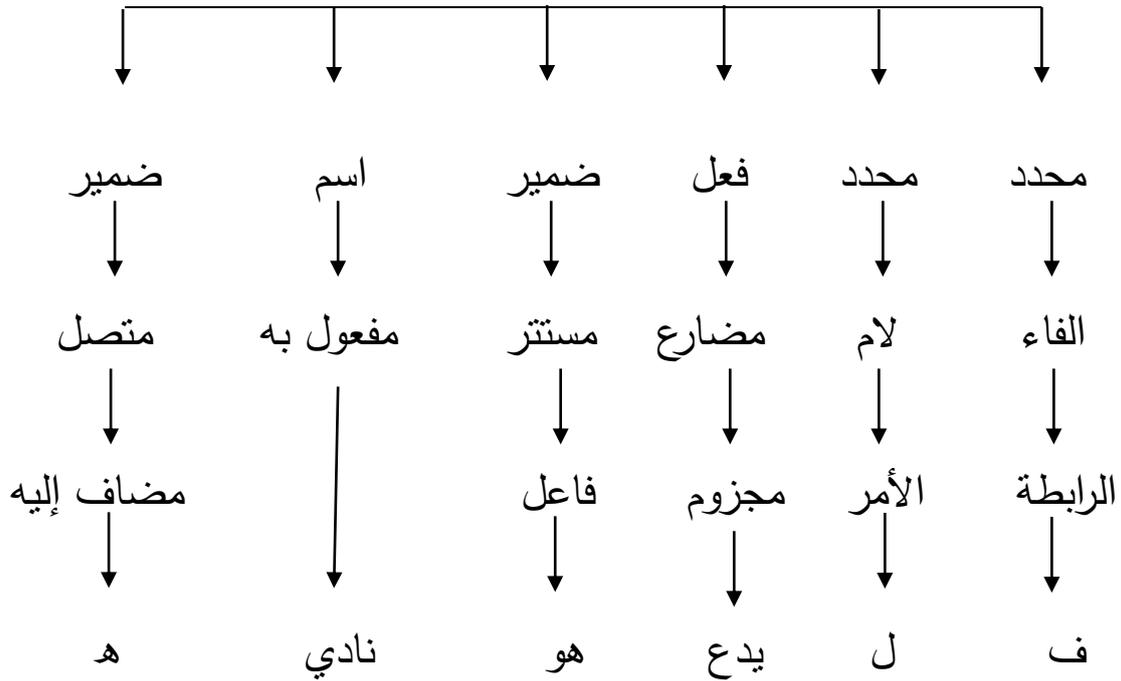
أما البنيتان العميقتان النحوية والبلاغية فتختلفان من حيث :

- الحذف : حيث حذف كل من الاسم المجرور " الجنة " واسم الموصول " التي " وصلته " تحل .. " واستعويض عن الجنة بلفظ " الرحمة " لأنها تحل فيها ، ومن هنا ف " الرحمة " مجاز مرسل علاقته " الحالية . ويبدو الغرض في التشويق إلى الجنة وما يقرب إليها من قول وعمل .
- . علاقة المحلية : قال تعالى : ((فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ))

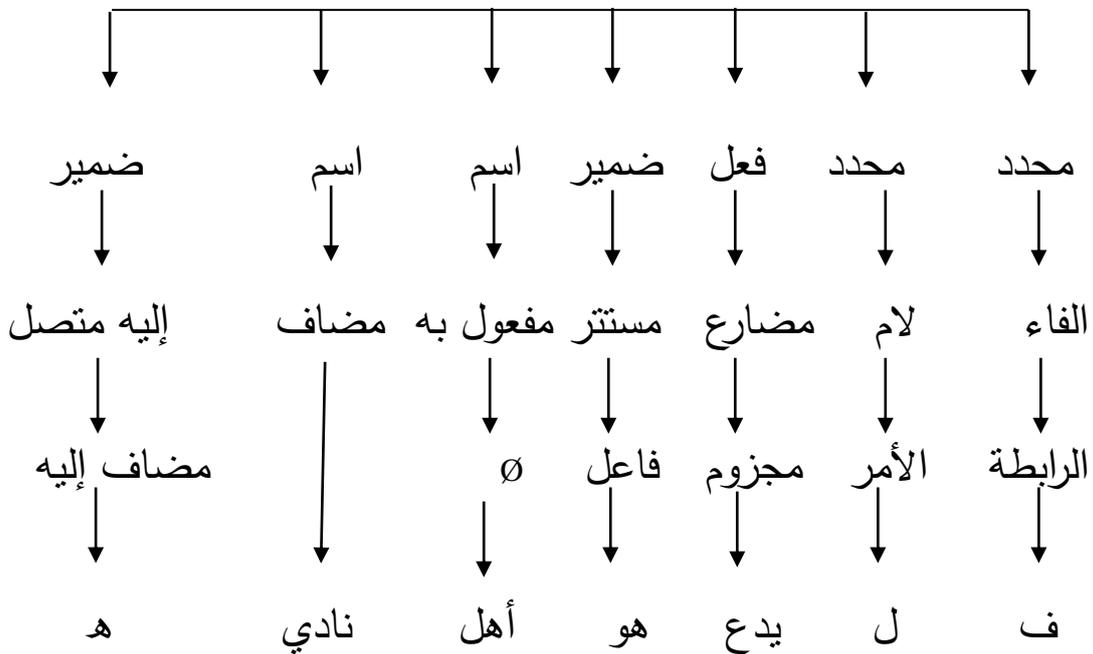
. البنية السطحة النحوية :



. البنية العميقة النحوية :



. البنية العميقة البلاغية :



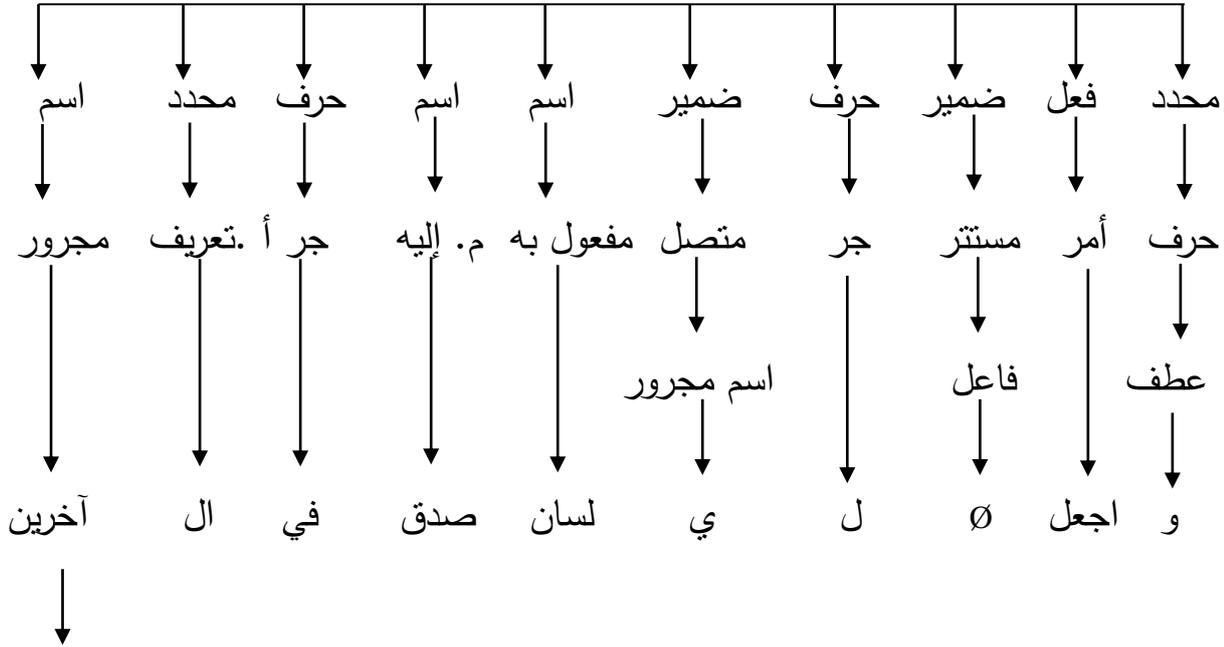
. تختلف البنيتان السطحية والعميقة النحويتان من حيث :

- الإضمار : فاعل فعل " يدع " ضمير مستتر تقديره جوازا " هو "
- أما البنية النحوية العميقة والبنية البلاغية فتختلفان من حيث :
- الحذف : حذف المفعول به " أهل " وحل محله المضاف إليه " نادية " ، ومثل هذا الحذف شائع في النحو العربي حيث أشار إليه سيبويه في كتابه في باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لاتساعهم في الكلام والإيجاز والاختصار حيث يقول : ((ومما جاء على اتساع الكلام والاختصار قوله تعالى : " واسأل القرية التي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أقمْنَا فِيهَا " ، إنما يريد أهل القرية ، فاختصروا عمل الفعل في القرية كما كان عاملا في الأهل لو كان ها هنا)) (1) ، وهذا فيما يبدو إشارة منه إلى البنية البلاغية العميقة التي حذف منها المفعول به وحل محله المضاف إليه " القرية " على سبيل المجاز المرسل علاقته المحلية والقرينة عقلية ، حيث ذكر لفظ المحل وأريد الحال فيه ، وهذا ما ينطبق على قوله تعالى : " فليدع نادية " . وهي المسألة ذاتها التي توقف عندها بعض البلاغيين وعلى رأسهم الجرجاني الذي يقول : ((واعلم أن الكلمة كما توصف بالمجاز لنقلك لها عن معناها كما مضى ، فقد توصف به لنقلها عن حكم كان لها إلى حكم ليس هو بحقيقة فيها ، ومثال ذلك أن المضاف إليه يكتسي إعراب المضاف في نحو : " واسأل القرية " / يوسف : 82 / والأصل : " واسأل أهل القرية " فالحكم الذي يجب للقرية في الأصل وعلى الحقيقة هو الجر ، والنصب فيها مجاز ، وهكذا :

(1) . الكتاب ، ج 1 ، سيبويه . ص : 212

- قولهم : " بنو فلان تطوهم الطريق ، يريدون أهل الطريق ، الرفع في الطريق مجاز لأنه منقول إليه عن المضاف المحذوف الذي هو الأهل والذي يستحقه في أصله هو الجر ..)) (1)

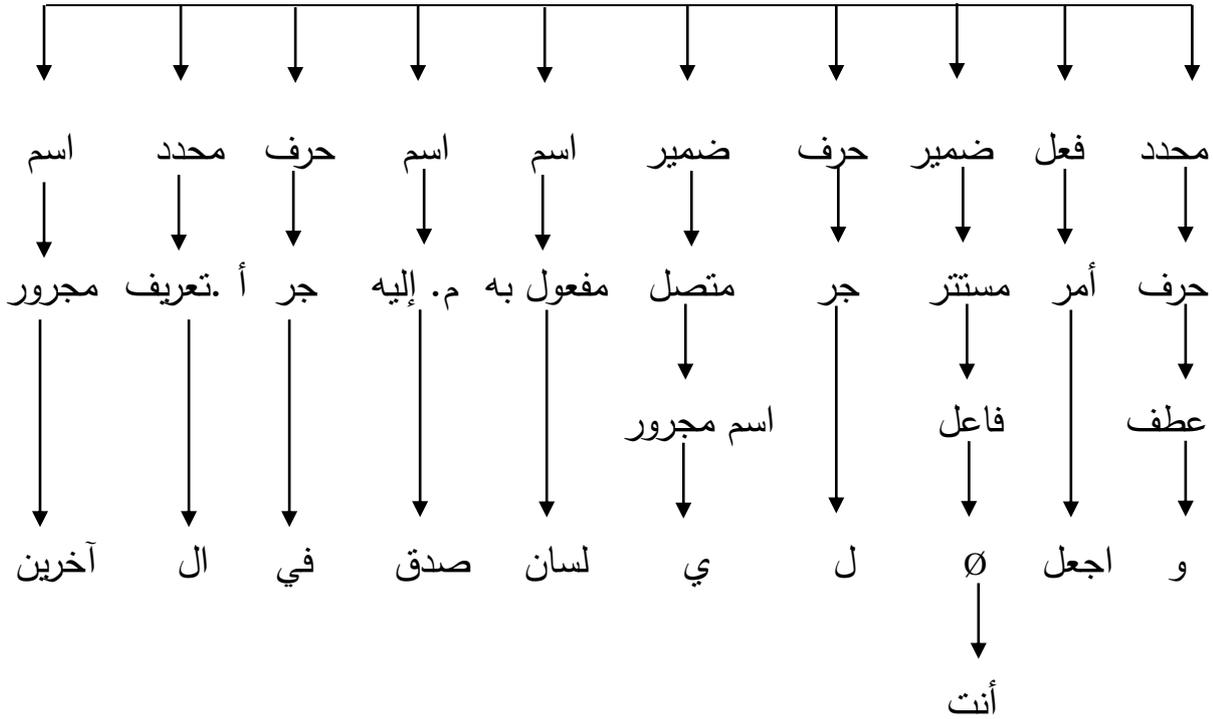
. علاقة الآلية : قال تعالى : ((وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ)) (2)
. البنية السطحية النحوية :



(1) . ينظر الكتاب ، ج1 ، سيبويه . ص : 247

(2) . الشعراء : 84

. البنية العميقة النحوية :



البنيتان النحويتان السطحية والعميقة تختلفان من حيث :

- الإضمار : أضمر فاعل الفعل " اجعل " الذي خرج لغرض الدعاء " أنت " المخاطب ، وهو " الله " لفظ الجلالة .
- التقديم : حيث قدم ما حقه التأخير وهو شبه الجملة " لي " على ما حقه التقديم المفعول به " لسان صدق " .

أما البنيتان العميقتان النحوية والبلاغية فلا تكاد تختلفان إلا من حيث إنه

استعويض عن لفظ " ذكرا حسنا " بلفظ " اللسان " الذي استعمل في غير موضعه كمجاز مرسل علاقته الآلية والقرينة عقلية .

يعد المجاز لونا من ألوان البيان التي يلجأ إليها المتكلم في تواصله اليومي مع غيره ، والملاحظ أنه إذا كانت الحقيقة أحيانا أبلغ من المجاز ، فإن المرسل قد يؤثر

أحيانا أخرى المجاز لما فيه من بلاغة القول والإيجاز غير المخل بالمعنى شريطة أن تكون له القدرة والمهارة في تخير العلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي الذي يصور المعنى للمستقبل أحسن تصوير ، ويأخذ بمجامعه لما فيه من قوة وبلاغة القول وروعة الأسلوب . هذه من جملة أغراض المجاز المرسل البلاغية والتواصلية التي يمكن الوقوف عندها من خلال السياق الذي ترد فيه .

الخاتمة

يعد المنهج التوليدي التحويلي من المناهج الحديثة التي أحدث ثورة في العلوم اللسانية في منتصف القرن الماضي، حيث أصبح أكثر تداولاً بين الباحثين والدارسين ووجد فيه هؤلاء بعد أن استقام عوده وتبلورت أسسه وقواعده على - تشومسكي - خير معين على تحليل اللغات عامة والأنحاء خاصة على ما بينها من تباين .

ولقد استثمر تشومسكي جهود سابقه من علماء العرب والغرب على حد سواء ، وأفاد منها في التأسيس لنظريته التي تبناها العديد من الباحثين العرب وطبقوها على النحو العربي الذي يكون تشومسكي قد استلهم منه العديد من القضايا ، وخاصة تلك التي تتعلق بالجملة التوليدية وأسقطها . كما يقول جاسم علي جاسم . على النحو الإنجليزي ، وسار على منواله كل لغوي العالم عربياً وغير عرب .

وتؤكد هذه الدراسة وغيرها من الدراسات الأخرى على إمكانية الإفادة من هذا المنهج نحويًا ، حيث يساعد على تحليل الجملة النحوية وتحديد عناصرها من مسند ومسند إليه أي العدة ومتعلقات الإسناد " الفضلة " ، وما حدث فيها من تحويلات إما عن طريق الزيادة أو الحذف أو إضمار أو تقديم وتأخير ، وما تضمنته من مورفيمات ومحددات وسوابق ولواحق ، ومن ثمة الوقوف على بنيتها السطحية والعميقة .

هذا ما يستخلص من هذه الدراسة التي استعرضت فيها بعض النماذج النحوية التي تثبت تناسقها في معظم الجوانب مع النظرية التشومسكية ، وهي من جملة ما طبق لدى النحاة العرب القدامى كقضية الأصلية والفرعية ومبدأ التأويل وحروف المعاني والمركبات الاسمية والفعلية والقياس النحوي .

هذا عن الشق الأول من هذه الرسالة الذي يتعلق بالجانب النحوي ، أما عن الشق الثاني منها والذي يخص الجانب البلاغي ، فيمكن اتخاذ النظرية التوليدية التحويلية

كما يرى أحمد جرموش العبد الله منها لتحليل التراكيب بلاغيا وأسلوبيا حيث يمكن اعتماد الطريقة ذاتها التي تم إسقاطها على التراكيب النحوية في بناء الصورة البلاغية وتحليلها وتفكيكها وفق ما نادى به تشومسكي في النحو التوليدي التحويلي فعن طريق الزيادة يمكن التوسع في الصورة إلى أبعد الحدود ، إلا أنها وبفعل هذه الزيادة تتغير من شكل إلى آخر مما ينجر عنه تغيير في الوظائف النحوية لبعض عناصرها . وتكون الصورة في هذه الحالة أقل درجة وأقل بلاغة من تلك التي يتم تحويلها عن طريق حذف أداة التشبيه ووجه الشبه ، فبهدف الأداة فعلا كانت أو اسما أو حرفا يزول الفارق بين المشبه والمشبه به ، كما يرتقي المشبه به من كونه اسما مجرورا مع الأداة أو مفعولا به مع الفعل أو مضافا إليه مع الاسم إلى كونه مسندا أي عنصرا أساسيا في العمدة لا يمكن الاستغناء عنه .

ومن هنا تكون الصورة أبلغ وأقوى من الناحية البلاغية والتواصلية ، فما يفيد التشبيه البليغ مما يدل عليه التشبيه المرسل المفصل . والشيء ذاته ينطبق على التقديم والتأخير ، ففي التشبيه المقلوب أو المعكوس يتحول المشبه أي المسند إليه إلى مسند أي مشبه به ، والمشبه به أي المسند إلى مشبه به أي مسند إليه ، وهنا تكمن قوه الصورة وبلاغتها ودلالاتها التواصلية بحسب غرض المرسل .

تشير بعض الدراسات ومنها رسالة أحمد جرموش العبد الله إلى نقاط التقاطع بين نظرية النظم للجرجاني وبعض سمات القواعد التوليديّة والتحويلية ، ومن ضمنها عناصر التحويل والبنية السطحية والبنية العميقة التي يكون الجرجاني سباقا في الإشارة إليها قبل تشومسكي ، بل الأكثر من ذلك كما يرى آخرون أن تشومسكي لم يأت بجديد في مجال علم اللغة النفسي ، وإنما الفضل والريادة هي للعلماء العرب وانطلاقا من هذا الطرح فإن نظرية تشومسكي تتسجم مع التراكيب البلاغية العربية .

والجدير بالتنبيه أن من أبرز النتائج التي يمكن استخلاصها من هذه الدراسة

أن للتركيب النحوي بنية عميقة واحدة ، في حين فإن للتركيب البلاغي أي الصورة بنيتين عميقتين ، الأولى نحوية والثانية بلاغية يمكن الوقوف على طرق تحويلها من شكل إلى آخر ، وهذا ما يمكن استنتاجه من أنواع التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز فباعتماد هذا المنهج إذاً يمكن تحديد ما حذف من عناصر التركيب البلاغي وما ذكر منها ، ومن ثمة تحديد الغرض البلاغي والتواصلية بحسب نوع الصورة وشكلها والسياق الذي ترد فيه .

هذه جملة النتائج التي يمكن استخلاصها من هذه الرسالة التي لا تخلو من الاجتهاد الشخصي الذي يتجلى في إقحام الصورة البلاغية وربطها بالأبعاد التواصلية في ضوء المنهج التوليدي التحويلي .

وأخيراً أشكره تعالى على أن يسر علي إنجاز هذا العمل المتواضع ، وهو من وراء القصد .

المصادر والمراجع

أولاً . القرآن الكريم : رواية ورش عن نافع

ثانياً . المصادر والمراجع :

- 1 . أئمة النحاة في التاريخ ، د/محمود غالي ، دار الشروق جدة ، ط 1 . 1976
- 2 . الإبلاغية في البلاغة العربية ، سمير أبو حمدان ، منشورات عويدات الدولية بيروت ، ط 1 . 1991
- 3 . الإحكام في أصول الأحكام ، الآمدي ، دار الكتب العلمية بيروت ط 1 . 1983
- 4 . أساس البلاغة ، الزمخشري ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ب . ط . 2000
- 5 . أساسيات تعليم اللغة العربية ، الدكتوران محمد كامل الناقاة وفتحي يونس ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ب . ط ، 1977
- 6 . أسرار البلاغة العربية ، عبد القاهر الجرجاني ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، ط 1 ، 2004
- 7 . أسرار اللغة العربية ، إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط 6 ، 1978
- 8 . أسس علم اللغة ، ماريوباي ، تج د/ أحمد مختار عمر ، عالم الكتب القاهرة ، ط 1 1983
- 9 . الأسلوبية : مفاهيمها وتجلياتها ، د/ موسى سامح رابعة ، دار الكندي للتوزيع والنشر الأردن ، ط 1 . 2003
- 10 . أصول تراثية في علم اللغة ، د/ زكي حسام الدين ، مطبعة الأنجلو المصرية ، ط 2 1985
- 11 . أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية ، د/ أحمد عزوز ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ب . ط . 2002
- 12 . الأصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب : نحو ، فقه اللغة ، بلاغة ، د/ تمام حسان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ب . ط . 1982
- 13 . الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية : النظرية الألسنية ، د/ ميشال زكريا المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط 1 . 1982
- 14 . أصول النحو ، محمد عيد ، عالم الكتب القاهرة ، ب . ط . 1973
- 15 . الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، تحقيق سمير جابر ، دار الفكر بيروت ، ط 1 1968

- 16 . أعلام الفكر ، اللغوي : التخليج من سقراط إلى سوسير ، روي هاريس وتوليت جي تيلر
تج د/ أحمد شاكر الكلابي ، دار الكتاب الجديد ، المتحدة ، ط1 ، ب . ت
- 17 . الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط4 . 1998
- 18 . البحث اللغوي ، د/ فهمي حجازي ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ، ب
ط ، ب . ت
- 19 . البلاغة عند المفسرين حتى القرن الرابع الهجري ، د/ رابح دوب ، دار الفجر للنشر
والتوزيع ، ط2 . 1999
- 20 . البلاغة والأسلوبية : نحو منهج سيميائي لتحليل النص ، هرنيش بليث ، تج د/ إبراهيم
محمد المعنطي ، مكتبة وهبة القاهرة ، ط1 . 1995
- 21 . بلاغتنا اليوم بين الجمالية والوظيفية ، د/ محمد بركات حمدي أبو علي ، دار وائل
للنشر ، عمان ، ط1 . 2004
- 22 . البلاغة : المدخل لدراسة الصورة البيانية ، فرانسوا مورو ، تج محمد الولي وعائشة
جرير ، دار إفريقيا الشرق لبنان ، ب . ط . 2003
- 23 . البلاغة والعمران عند ابن خلدون ، محمد صغير بناني ، ديوان المطبوعات الجامعية ،
ب . ط . 1996
- 24 . البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر ، د/ علي علي صبح ، المكتبة الأزهرية للتراث ،
ب . ط . 1996
- 25 . البناء الموازي : نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة ، د/ عبد القادر الفاسي ، دار توبقال
للنشر الدار البيضاء ، ط1 . 1986
- 26 . البيان والتبيين ، الجاحظ ، تحقيق فوزي عطوي ، دار صعب بيروت ، ط1 . 1968
- 27 . البنية التركيبية للحدث اللساني ، د/ عبد الحليم بن عيسى ، مختبر اللغة العربية والاتصال
دار الأديب ، ب . ط . 2006
- 28 . البنية اللغوية لبردة البوصير ، رابح بوخوش ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ب . ط
1993
- 29 . تحليل العملية التعليمية ،: مدخل إلى علم التدريس ، محمد الدريج ، الرباط المغرب ،
ط1 . 1991

- 30 . تدریس العربية وآدابها : دعوة إلى التجديد ، مخلوف عامر ، C.m Editions ب . ط .
1997
- 31 . تعليمية القواعد في ضوء المنهج التوليدي التحويلي ، عبد القادر بن عسلة ، مخبر اللغة
العربية ، جامعة وهران ، ب . ط . 2006
- 32 . التكنولوجيا والتربية ، د/ حسين حمدي الطويجي ، دار القلم الكويت ، ط3 . 1983
- 33 . التطبيق الصرفي ، د/ عبده الراجحي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ب . ط .
1974
- 34 . جامع الدروس العربية ، الشيخ مصطفى الغلابيني ، المكتبة العصرية بيروت ، ط37
2000
- 35 . الجملة النحوية نشأة وتطورا وإعرابا ، د/ فتحي عبد الفتاح الدجني ، مكتبة الفلاح
الكويت ، ط2 . 1987
- 36 . جواهر البلاغة ، السيد أحمد الهاشمي بك ، مكتبة حجازي ، ط11 . 1954
- 37 . خزانة الأدب ، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزرازي ، دار مكتبة
الهلال بيروت ب . ط . 1982
- 38 . الخصائص ، ابن جني ، تح محمد علي النجار ، عالم الكتب ، ب . ط . ب . ت
- 39 . خصائص العربية والإعجاز القرآني في نظيرة عبد القاهر الجرجاني ، أحمد شامية ،
ديوان المطبوعات الجامعية ، ب . ط . 1995
- 40 . الخيال في الشعر العربي : دراسة أدبية ، محمد الخضر حسين ، جمع وتحقيق علي
الرضا التونسي ، مطبعة التعاونية ، ط2 . 1972
- 41 . دراسات في اللسانيات التطبيقية : حقل تعليمية اللغات ، أحمد حساني ، ديوان
المطبوعات الجامعية ، ب . ط . 2000
- 42 . دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، سلسلة أنيس ، المؤسسة الوطنية للفنون
المطبعة ، الجزائر ، ب . ط . 1991
- 43 . رسالتان في اللغة ، صلاح الدين أبو سعيد خليل ، تحقيق موسى الشاعر ، دار البشير
عمان ، ط1 . 1990
- 44 . سبب وضع علم العربية ، السيوطي ، تحقيق مروان العطية ، دار الهجرة دمشق ، ط1
1988

- 45 . السمات التفريعية للفعل في البنية التركيبية ، أحمد حساني ، ديوان المطبوعات الجامعية
ب . ط . 1993
- 46 . شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، المكتبة العصرية بيروت ، ط 2 . ب . ت
- 47 . الشافية ، جمال الدين أبو عمرو ، تحقيق أحمد عثمان ، المكتبة المكية ، مكة المكرمة ،
ط 1 . 1995
- 48 . شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، ابن هشام ، المكتبة العصرية بيروت ،
ب . ط . 1997
- 49 . شعرية المشهد في الإبداع الأدبي ، د/ حبيب مونسي ، ديوان المطبوعات الجامعية
ب . ط ، 2009
- 50 . الصاحبي في فقه اللغة ، أحمد بن فارس ، تحقيق د/ شوقي ، مؤسسة بدران للطباعة
والنشر بيروت ، ب . ط . 1963
- 51 . صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، أحمد علي القلقشندي ، تحقيق د/ يوسف علي طويل
دار الفكر دمشق ، ط 1 . 1982
- 52 . الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، د/ جابر عصفور ، المركز
الثقافي العربي ، ط 3 . 1992
- 53 . العربية بين الطبع والتطبيع : دراسات لغوية تحليلية لتراكيب عربية ، عبد الجليل
مرتاض ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ب . ط . 1993
- 54 . علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت ، دار الفكر اللبناني ، ط 1 . 1995
- 55 . علم الدلالة ، بيير جيرو ، تج د/ منذر عياشي ، طلاس للدراسات والترجمة والنشر
دمشق ، ط 1 . 1988
- 56 . علم الدلالة العربي : النظرية والتطبيق ، د/ فايز الداية ، دار الفكر للصناعة والتوزيع
والنشر ، دمشق ، ط 1 . 1985
- 57 . علم الدلالة : أصوله ومباحثه في التراث العربي ، د/ منقور عبد الجليل ، ديوان
المطبوعات الجامعية ، ب . ط . 2010
- 58 . علم الدلالة عند العرب : دراسة مقارنة مع السيميائية الحديثة ، عادل فاخوري ، دار
الطليعة ، ط 1 . 1985

- 59 . فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ، د/ رجاء عيد ، منشأة المعارف الأسكندرية
ب . ط . ب . ت
- 60 . فلسفة الجمال في النقد الأدبي : " مصطفى ناصف نموذجاً " كريت رمضان ، ديوان
المطبوعات الجامعية ، ب . ط . 2009
- 61 . فلسفة اللغة واللسانيات ، نور الدين النيفر ، مؤسسة أبو وجدان للطبع والنشر والتوزيع ،
ط 1 . 1993
- 62 . فن الشعر ، أرسطوطاليس ، تج عبد الرحمن بدوي ، دار الثقافة بيروت ، ب . ط
1973
- 63 . في البلاغة العربية : علم البديع ، د/ عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة
والنشر بيروت ، ب . ط . 1974
- 64 . في البلاغة العربية : علم البيان ، د/ عبد العزيز عتيق ، دار النهضة العربية للطباعة
والنشر بيروت ، ب . ط . ب . ت
- 65 . في البنية ودلالاتها رؤية لنظام العلاقات في البلاغة ، د/ أبو رضا منشأة المعارف
الأسكندرية ، ب . ط ، ب . ت
- 66 . في علم اللغة العام : علم البيان ، د/ عبد الصبور شاهين ، مرسسة الرسالة ، ط 3
1980
- 67 . في قضايا فقه اللغة العربية ، د/ صالح بلعيد ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ب . ط
ب . ت
- 68 . في اللغة ودراساتها ، د/ محمد عيد ، عالم الكتب القاهرة ، ب . ط . 1974
- 69 . في نحو اللغة وتراكيبها : منهج وتطبيق ، د/ خليل أحمد عمايرة ، عالم المعرفة للنشر
والتوزيع جدة ، ط 1 . 1984
- 70 . قراءات في طرق التدريس : كتاب الرواسي " طرق التدريس " ، ناجي عمر ، باتنة ،
ط 1 . 1994
- 71 . قرى الضيف ، عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس ، تحقيق عبد الله بن حمد
المنصور ، أضواء السلف الرياض ، ط 1 . 1997
- 72 . قضايا أساسية في علم اللسان الحديث ، مازن الوعر ، دار طلاس دمشق ، ط 1
1988
- 73 . قطر الندى وبل الصدى ، ابن هشام ، دار الإمام مالك ، ب . ط . 1995

- 74 . قواعد تحويلية للغة العربية ، الخولي محمد علي ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، ط 1 . 1981
- 75 . الكتاب ، سيوييه ، تحقيق عبد السلام هارون ، عالم الكتب بيروت ، ط 3 . 1983
- 76 . كيف تدرس بواسطة الأهداف ، عبد اللطيف الفاربي وعبد العزيز الغرضاف ، دار خطابي للطباعة والنشر ط 3 . 1989
- 77 . لسان العرب ، ابن منظور ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ط 1 . 1968
- 78 . اللسانيات التوليدية والتحويلية ، د/ عادل فاخوري ، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ط 2 . 1988
- 79 . اللسانيات العامة الميسرة 1 : علم التراكيب ، سليم باب عمر ، أنوا الجزائر ، ب . ط 1990
- 80 . اللسانيات النشأة والتطور ، أحمد مومن ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ب . ط 2002
- 81 . اللغة والتواصل : اقترابات لسانية للتوصليلين الشفهي والمتابي ، د/ عبد الجليل مرتاض دار هومة ، ب . ط ، ب . ت
- 82 . اللغة والسؤولية ، نعوم تشومسكي ، ترجمة د/ حسام البهنساوي ، مكتبة زهراء الشرق القاهرة ، ط 2 . ب . ت
- 83 . مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة ، كاترين قوله وبيارجي قوفيك ، تج المنصف عاشور ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ب . ط . 1984
- 84 . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الأثير ، تح أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، مكتبة نهضة مصر ، ب . ط ، ب . ت
- 85 . متن الأجرومية ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أجروم ، ب . ط . ب . ت
- 86 . المجاز عند الإمام ابن تيمية وتلاميذه بين الإنكا والإقرار ، د/ عبد العظيم إبراهيم حمد العطني ، مكتبة وهبة القاهرة ، ط 1 . 1995
- 87 . محاضرات في الألسنية العامة ، فردينان ده سوسير ، تج يوسف غازي ومجيد النصر ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، ب . ط . 1986
- 88 . محاضرات في علم النفس اللغوي ، د/ حنفي بن عيسى ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط 1 . 1993

- 89 . مختار الصحاح ، الرازي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 1 . 1967
- 90 . مدخل إلى التحليل اللساني : اللفظ ، الدلالة ، السياق ، قلايلية العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ب . ط ، ب . ت
- 91 . مدخل نظري وعلمي إلى الصحافة اليومية والإعلام : الموضوع والتقنية والتنفيذ ، سامي ذبيان ، دار المسيرة لبنان ، ط 1 . 1979
- 92 . المرايا المقعرة ، نحو نظرية نقدية عربية ، دا عبد العزيز حمودة ، عالم المعرفة الكويت ، ط 1 . 2001
- 93 . الرومانتيكية ، د/ غنيمي هلال ، دار الثقافة ، بيروت ، ب . ط . 1973
- 94 . المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، جمال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ب . ط . 1998
- 95 . المصطلح النحوي : نشأته وتطوره حتى القرن الثالث الهجري ، عوض حمد قوز ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، ط 1 . 1981
- 96 . المستطرف في كل فن مستظرف ، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح ، تحقيق د/ مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط 2 . 1986
- 97 . المفصل في صناعة الإعراب ، الزمخشري ، تح د/ علي بوملحم ، دار ومكتبة الهلال بيروت ، ط 1 . 1993
- 98 . معجم علوم التربية : مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك 01 ، سلسلة علوم التربية 9 - 10 ، عبد اللطيف الفاربي ، عبد العزيز القرصان ، محمد أيت موحى وعبد الكريم غريب ، ب . ط ، ب . ت
- 99 . مغني اللبيب في كتب الأعراب ، ابن هشام ، تحقيق د/ مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر بيروت ب . ط ، ب . ت
- 100 . مفتاح العلوم ، السكاكي ، تح عبد المجيد الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، ط 1 . 2000
- 101 . مفهوم التشبيه : لغة علم أساليب البيان ، د/ غازي يموت ، دار الفكر اللبناني ، ط 2 1995
- 102 . مفهوم النص : دراسة في علوم القرآن ، د/ نصر حامد أبو زيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ب . ط . 1993

- 103 . مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى تشومسكي ، ريجينه بازشت ، تج أ.د/ سعيد حسن تحيري ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة ، ط 1 . 2004
- 104 . المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتتوير لمحمد الطاهر بن عاشور ، د/ حواس بري ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر لبنان ، ط 1 . 2002
- 105 . المقدمة ، ابن خلدون ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، ب . ط ، ب . ت
- 106 . المكون الدلالي للفعل في اللسان العربي ، أحمد حساني ، ديوان المطبوعات الجامعية ب . ط . 1993
- 107 . نحو الجمل ، عبد العزيز محمد بن يوسف الهادي ، تج د/ مختار بوعناني ، الفجر للكتابة والنشر ، ب . ط . 1994
- 108 . نحو نظرية لسانية عربية لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية ، مازن الوعر ، دار خلاص سوريا ، ط 1 . 1987
- 109 . النحو الوظيفي ، صالح بلعيد ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ب . ط . 1994
- 110 . نظرية التأويل : الخطاب وفائض المعنى ، بول ريكور ، تج سعيد العالمي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ط 1 . 2000
- 111 . نظرية اللغة الأدبية ، خوسيه ماريا بوتو يلو ايفانكوس ، تج د/ حامد أبو أحمد ، مكتبة غريب ، ط 1 . 1988
- 112 . نظرية النحو الكلي والتراكيب اللغوية : دراسة تطبيقية ، د/ حسام البهنساوي ، مكتبة الثقافة الدينية ، ب . ط ، ب . ت
- 113 . نصوص في فقه اللغة ، د/ يعقوب بكر ، دار النهضة العربية بيروت ، ب . ط 1977
- 114 . النص والحقيقة ، د/ علي حرب ، المركز الثقافي العربي ، ط 1 . 1993
- 115 . هداية السالك إلى ألفية ابن مالك ، د/ صبيح التميمي ، دار البحث قسنطينة ، ب . ط 1990

الرسائل

- 1 . صفاء النحو العربي من التأثيرات الأجنبية ، د/صالحة حاج يعقوب ، قسم اللغة العربية وأدابها ، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا ، ب . ط ، ب . ت
- 2 . الصورة الفنية في التجربة الرومانسية : " ديوان أبي القاسم الشابي أنموذجا " رسالة ماجستير ، يحيى زكي ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة مولود معمري تيزي وزو ، 2011
- 3 . الصورة الشعرية في ديوان أبي الربيع عفيف الدين التلمساني : دراسة أسلوبية ، رسالة ماجستير ، خليل بن دعموش ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم اللغة العربية ، 2010/2009
- 4 . الاستعارة في ظل النظرية التفاعلية : " لماذا تركت الحصان وحيدا " لمحمود درويش أنموذجا " ، رسالة ماجستير ، جميلة كرتوس ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو 2011

المجلات

- 1 . أرسطو والصورة ، عمر أوكان ، مجلة المعرفة ، العدد : 117 ، الكويت
- 2 . البلاغة العامة والبلاغة المعممة ، محمد العمري ، مجلة المعرفة : العدد : 25 ، الكويت
- 3 . الجملة في كتاب سيبويه ، د/عبد الرحمن الحاج صالح ، المبرز : العدد 02 . 1993
المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة ، الجزائر العاصمة
- 4 . دور اللغة في عملية الاتصال ، د/ أحمد عزوز ، مجلة التربية ، العدد 142 / 2004
وزارة التربية والتعليم ، الدوحة قطر
- 5 . رأي في بناء الجملة الاسمية وقضاياها ، خليل عميرة ، مجلة التواصل اللساني ، المجلد الثاني ، العدد 01 . 1990 ، عمان الأردن
- 6 . الصورة واللغة : مقارنة سيميوطيقية ، محمد العربي ، مجلة المعرفة ، العدد : 13 ، الكويت
- 7 . نقد الانزياح ، إسماعيل شكري ، مجلة المعرفة ، العدد : 23 ، الكويت
- 8 . نقد وفكر : مجلة ثقافية فكرية ، العدد : 25

المحاضرات

- 1 . التحليل العلمي للنصوص : بين الأسلوب وعلم الدلالة والبلاغة العربية ، د/ عبد الرحمن الحاج صالح محاضرات لطلبة التبريز ، دفعة 1997 ، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة الجزائر .
- 2 . اللغة العربية والاتصال ، د/ عبد الجليل مرتاض ، محاضرات لطلبة الماجستير 2005/2004 ، جامعة وهران .

المصادر والمراجع باللغة الأجنبية

- 1 - comment parler en public ; Dale Carnegie ; maison Hachette , 1ere publication
- 2 - Cours de linguistique générale , Saussure , 2eme édition , Enag 1994
- 3 - Dictionnaire encyclopédique , Larousse , tome 4 , librairie Arnaud Colin , Paris
- 4 - Elements de linguistique générale , A.Martinet , librairie Arnaud Colin , Paris
- 5 - Les figures du discours , Pierre Fontanier , Flammarion , sciences de l'homme
- 6 - Grand dictionnaire encyclopedique ; Larousse , tome 3
- 7 - Groupe ù , J.Dubois , J.M.Klinkenberg , P.Minguet , F.Pire , H.Trinon
(centre d'études poétiques , universite de Liege) , Rhétorique générale Editions du seuil 1977
- 8 - Micro – Robert : Dictionnaire du Français primordial , S.N.L , le Robert 1977
- 9 - Le petit Larousse illustré ,VUEF , 2003 Montreal Quebec
- 10 - Rhétorique générale , Groupe ù
- 11- Rhétorique de la poésie , ouvrage du groupe ù , Editions du Seuil , Octobre 1990
- 12 - Syntactic structures , Naom Chomsky , Mouton de Grayter formely Mouton , the hague , first edition , published 1957

. المواقع .

- 1- www.ahlalhadeeth.com
- 2 - www.aklaam.net النحو البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني ، دقي جلول
- 3 - www.altaalim.org خصائص التركيب البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني في ضوء الألسنية الحديثة
- 4 - www.alukah.net
- 5- www.arabsgate.com
- 6 - www.arood.com تأثير الخليل بن أحمد الفراهيدي والجرجاني في نظرية تشومسكي ، منتدى العروض
- 7 - www.atida.org اللغة ومشكلة المعرفة ، نعم تشومسكي ، ترجمة د/حمزة بن قبلان المريني
- 8 - www.dehsha.com نظرية اللغة بين عبد القاهر الجرجاني وتشومسكي ، د/ عود الله منيع القيسي
- 9 - www.equ.edu.sa العلاقات النحوية ، معان بلاغية
- 10 - www.flsh.unitim.fr . comparaison
- 11 - www.iwan7.com تأثير النحو العربي في نظرية تشومسكي ، د/ جاسم علي جاسم ، منتدى الإيوان
- 12 - www.marocs.net النحو التوليدي بين العالمين العربي والغربي، المساوي ، منتدى الجامعة نت
- 13 - www.ta5tub.com نظرات في البلاغة العربية والنماذج اللسانية الحديثة ، نظرية النحو الوظيفي
- 14 - www.voiceofarabic.net

. الفهرس .

- المدخل :

07

08

- مفهوم اللغة ووظائفها

28

- العملية التواصلية

. الباب الأول : اللغة والتواصل

59

. الفصل الأول : اللغة في ضوء المنهج التوليدي والتحويلي

60

- مفهوم اللغة

67

- مبادئ وأسس المنهج التوليدي

74

- أثر الدراسات الغربية في المنهج التوليدي

76

- أثر الدراسات النحوية والبلاغية العربية في المنهج التوليدي

82

- مفهوم الكلمة

88

- مفهوم الفونيم

91

- مفهوم الفون

93

- مفهوم المورفيم

98

- السوابق

99

- اللواحق

101

- المحدد

102

- مفهوم الإسناد في النحو التوليدي

114

- المركب الاسمي والمركب الفعلي

120

. الفصل الثاني : الصورة في التراث العربي

121

- البلاغة العربية والعملية التواصلية

124

- موقع علم البيان من البلاغة العربية

127	- الصورة في التراث العربي
128	- مقومات الصورة
141	- الغاية من الصورة
146	- الصورة الكلية والصورة الجزئية
147	1 . التشبيه
161	- أغراض التشبيه
163	- شروط حسن التشبيه
165	2 . الاستعارة
177	- أغراض الاستعارة
179	3 . الكناية
185	- أغراض الكناية
186	4 . المجاز المرسل
191	- علاقات المجاز
193	- أغراض المجاز

. الباب الثاني : الصورة البلاغية والعملية التواصلية

196	- الفصل الأول : الصورة في التراث الغربي
197	- مفهوم البلاغة في التراث الغربي
199	- مفهوم الصورة
207	- أشكال الصورة في البلاغة الغربية
209	1 . التشبيه
213	2 . الاستعارة
221	3 . الكناية
224	4 . المجاز

226	- الصورة والنظرية التأويلية
231	- طرق تحويل الصورة
238	- الفصل الثاني : نماذج تطبيقية على الصورة البيانية
245	1 . التشبيه
264	2 . الاستعارة
272	3 . الكناية
283	4 . المجاز
303	- الخاتمة
306	- المصادر والمراجع
317	- الفهرس